اسمٌ

فوقَ كُلِّ

اسمٍ

أليستر بيج &
سينكلير فيرجسون

اسمٌ
فوقَ
كُلِّ اسمٍ

أليستر بيج &
سينكلير فيرجسون

«لا يوجد موضوع كتابي أو لاهوتي يأسر قلبي ويحفِّز ذهني أكثر من موضوع مجد المسيح. فيومًا ما، ستجثو كل ركبة عند ذكر اسمه. وإن أردتَ أن تفهم سبب هذا (وأن يتَّضع قلبك، ويمتلئ بالامتنان، ويُحفَّز على السجود والعبادة)، أدعوك أن تتغذَّى على هذه النظرة العامة البسيطة، لكن العميقة في الآن ذاته، على مَن هو يسوع، وماذا فَعَل».

جون ماك آرثر (John MacArthur)
راعي كنيسة (Grace Community Church)؛
ورئيس كلية لاهوت (Master's College and Seminary)؛
ومتحدث في هيئة (Grace to You)

«إننا نجد كمؤمنين سهولة في التحدُّث عن عمل الله في كنائسنا وفي جميع أنحاء العالم. كما يسهُل علينا وصف نمونا في المسيح، وما نتعلَّمه منه. لكن مَن منا يتلذذون فقط بالتحدث عن يسوع؟ فإن فن التأمل في روعة المسيح — وغرس هذا الإعجاب والتقدير في حديثنا اليومي — هو تدريب إماتة. لكن في كتاب اسمٌ فوقَ كُلِّ اسمٍ، يدعونا صديقاي أليستر بيج وسينكلير فيرجسون إلى التأمل من جديد في مخلِّصنا المذهل، وفي كل ما يجعله فائق الجمال وجديرًا بالحمد. أوصي بشدة بقراءة هذا الكتاب اللافت للنظر».

جوني إيريكسون تادا (Joni Eareckson Tada)
المؤسس والمدير التنفيذي لمركز
(Joni and Friends International Disability Center)

«مَن هو يسوع؟ لا يوجد سؤال يمكن أن يواجه البشر أهم من هذا. يمدُّنا أليستر بيج وسينكلير فيرجسون بمعرفة غزيرة عن المسيح، عن طريق تناوُل كيفية حديث العهد الجديد عنه، وذلك باستخدام مجموعة من الصور البديعة. سيشيد كلُّ مؤمن بهذا

الكتـاب، إذ يصـل بنـا هـذان الكاتبـان الموهوبـان إلى فهـم أعمـق بشـأن مَـن هـو المسـيح، ومَـن هـو بالنسـبة لنـا».

ر. ألبرت مولر الابن (R. Albert Mohler Jr.)
رئيس كلية اللاهوت المعمدانية الجنوبية

«لـن يسـعنا أن نكتفـي البتـة مـن الكتـب الجيـدة عـن شـخص يسـوع المسـيح وعملـه. وهـذا كتـاب أكـثر مـن رائـع. يتنـاول أليسـتر بيـج وسـينكلير فيرجسـون في هـذا الكتـاب أهـم عقائـد الإيمـان بوضـوح، وأمانـة، وبصـيرة رعويـة، وحـس فكاهـة. فـإن المؤمنـين الجـدد، وغـير المؤمنـين، والمؤمنـين منـذ زمـان طويـل سيسـتفيدون عـلى حـد سـواء مـن هـذه الشروحـات المذهلـة».

كيفين ديانج (Kevin DeYoung)
الراعي الرئيسي لكنيسة (University Reformed Church)
بمدينة شرق لانسينج، في ولاية ميشيجان

«بالنسـبة لجميـع مَـن قـد قضـوا مثـلي كلَّ عمرهـم في الكنيسـة يسـتمعون إلى قصـص الكتـاب المقـدس، لكنهـم بـدأوا فقـط مؤخـرًا في اسـتيعاب القصـة المركزيـة للكتـاب المقـدس، يضـع كتـاب اسـمٌ فـوقَ كُلِّ اسـمٍ بطريقـة جذابـة وواضحـة النقـاط فـوق الحـروف. ففيـه يسـاعدنا مرشـدان حكيـمان عـلى رؤيـة يسـوع في كلِّ الكتـاب المقـدس — منـذ الوعـد بمجيئـه نسـلًا للمـرأة في سـفر التكويـن، وحتـى الوعـد بمجيئـه ثانيـة حمـلًا فـوق العـرش في سـفر رؤيـا يوحنـا».

نانسي جوثري (Nancy Guthrie)
معلِّمة للكتاب المقدس
وكاتبة لسلسلة (Seeing Jesus in the Old Testament)

اسمٌ فوقَ كُلِّ اسمٍ

Arabic Version © 2025 by Crossway

Name Above All Names
Original English Edition © 2013 by Alistair Begg and Sinclair B. Ferguson
Published by Crossway, 1300 Crescent Street, Wheaton, Illinois 60187, U.S.A.
Online Arabic edition published with permission of Crossway
ISBN: 979-8-8749-0509-5

إهداء

إلى

ديريك برايم

المؤمن

والراعي

والقدوة

والمشجِّع

والصَّديق

بكل الحب والامتنان

المحتويات

تمهيد ٩

١. يسوع المسيح، نسل المرأة ١٣

٢. يسوع المسيح، النبي الحقيقي ٤٥

٣. يسوع المسيح، رئيس الكهنة العظيم ٧١

٤. يسوع المسيح، الملك الغالب ١٠٣

٥. يسوع المسيح، ابن الإنسان ١٣٩

٦. يسوع المسيح، العبد المُتألِّم ١٨٧

٧. يسوع المسيح، الخروف الجالس على العرش ٢٢٩

تمهيد

يُعَـد هـذا الكتـاب، كـما يوحـي عنوانـه، شرحًـا مختـصرًا لمـا يسـمِّيه المؤمنـون عـادة «شـخص المسـيح وعملـه». فهـو يركِّـز عـلى بعـض الطـرق المختلفـة التـي يتحـدث بهـا الكتـاب المقـدس عـن هويـة المسـيح، ويصـف خدمتـه. وإن فصولـه هـي أبعـد مـا يكـون عـن أن تكـون وافيـة أو شـاملة، إذ لا تتنـاول سـوى سـبعة مـن أوصـاف يسـوع الكثـيرة التـي نجدهـا في الكتـاب المقـدس، كـما أنهـا لم تتنـاول أيًّـا مـن تلـك الأوصـاف بتفصيـل واسـتفاضة. لكـن كان الغـرض مـن هـذه الصفحـات هـو أن تكـون لمحـة بسـيطة، أو استكشـافًا مبدئيًّـا. صلاتنـا أن تسـاعد هـذه الصفحـات البعـض ممَّـن لم يصـيروا بعـد مؤمنـين، وأن تنـير أعـين مَـن هـم بالفعـل مؤمنـون، وأن تكـون بمثابـة تشـجيع للمؤمنـين الناضجـين، ولـذة جميـع مَـن يحبون المسـيح.

لا يسـعنا أن ندَّعـي أن هـذا كتـاب «مميَّـز»، لكننا نسـتطيع أن نقـول إن بـه شـيئين مميَّزيـن، ربمـا يحفِّـزان عـلى قراءتـه.

أولاً، هـذا الكتـاب هـو تعبيرٌ ملمـوسٌ عـن صداقـة، بـدأت في السـبعينيات مـن القـرن العشريـن، حـين كان كلانـا قسيسـين في ريعـان الشـباب في إسـكتلاندا، أي منـذ خمسـة عقـود. فقـد وُلدنـا في المدينـة نفسـها، وعشـنا السـنوات الأولى مـن حياتنـا فيهـا. وقـد كنـا نرتـاد الأماكـن نفسـها، وتعلَّمنـا المزامـير والتراتيـل والأغـاني الروحيـة نفسـها، وسـمعنا الوعـاظ أنفسـهم، وقمنـا بتكويـن شـبكة مـن الأصدقـاء المشـترَكين، بـل وكنـا نشـجع فريـق كـرة القـدم نفسـه، ولعبنـا في بعـضٍ مـن ملاعـب الجولـف نفسـها. ثـم أتى كلانـا للخدمـة في الولايـات المتحـدة في عـام ١٩٨٣، في العـام نفسـه فقـط مـع فـارق بضعـة أشـهر.

قطعًـا نحـن شـخصيتان مختلفتـان، ولـكلٍّ منـا عالمـه الخـاص (فقـد صـار أحدنـا مواطنًـا أمريكيًّـا، عـلى عكـس الآخـر؛ ويعـزف أحدنـا عـلى آلـة الجيتـار، عـلى خـلاف الآخـر؛ كـما أن أحدنـا معمـداني، والآخـر مشـيخي؛ ويقيـم أحدنـا في كليفلانـد، بينـما يقيـم الآخـر في كولومبيـا؛ وغـير ذلـك). أيضًـا لـكلٍّ منـا دائرتـه الخاصـة مـن الأصدقـاء، بالإضافـة إلى دوائـر أخـرى متداخلـة. لكـن عـلى مـدار هـذه السـنوات الكثـيرة، اسـتمتعنا معًـا بنـوع مـن الصداقـة، والتقديـر، والمحبـة أشـعرنا بأننـا أخـوان. لم يحـظَ أحدُنـا بـأخ قـط، بينـما فقـد الآخـر أخـاه. ولهـذا، وبشـكل جـزئي، يعـبِّر هـذا الكتـاب وموضوعـه عـن امتناننـا المشـترك للمخلِّـص، الـذي تمتَّعنـا فيـه بصداقـة ومحبـة كتلـك التـي توجـد بيننـا.

لكـن بالإضافـة إلى ذلـك، يتيـح لنـا كتـاب **اسـمٌ فـوقَ كُلِّ اسـمٍ** الفرصـة كي نفعـل شـيئًا تحدَّثنـا عنـه كثـيرًا عـلى مـدار السـنوات الماضيـة: وهـو أن نعـبِّر بطريقـة ملموسـة عـن امتناننـا المشـترك لديريـك برايـم (Derek Prime)، الـذي كان بالنسـبة لنـا نموذجًـا للراعـي، والصديـق، والمشـجِّع. ينطبق هذا بشـكل خـاص عـلى أليسـتر الـذي خـدم مـع ديريـك برايـم في كنيسـة (Charlotte Chapel)، بمدينـة إدينـبرج، مـن عـام ١٩٧٤ وحتـى عـام ١٩٧٦. فـإن شـعورنا الشـديد بالامتنـان لأجـل ذلـك القـدر الكبـير مـن التمركـز حـول المسـيح ومشـابهته، الـذي رأيناه ظاهـرًا بوضـوح في حياتـه وخدمتـه، يجعـل إهداءنـا لـه هـذا الكتـاب الصغـير عـن مخلِّصنـا وربِّنـا أمـرًا طبيعيًّـا جـدًا.

بـدأ جمـع محتويـات صفحـات هـذا الكتـاب كـما هـي في صورتهـا الحاليـة في أثنـاء إعدادنـا لمؤتمـر في الكنيسـة المشـيخية الثانيـة بمدينـة ممفيـس، في ولايـة تينيـسي. فإننـا مَدينـون لأعضـاء تلـك الكنيسـة، ولراعيهـا سـاندي ويلسـون (Sandy Willson)، لأنهـم أتاحـوا لنـا فرصـة أن نخدمهـم معًـا، ونقـدِّم لهـم البعـض مـن محتـوى هـذا الكتـاب في صـورة منطوقـة. كـما أننـا مَدينـون للسـيدة إيـف هوفـمان (Eve Huffman) لأجـل مسـاعدتها الإداريّـة لنـا، والتـي دُونهـا لمـا اكتمـل هـذا المـشروع.

رجاؤنـا هـو أن تشـجِّع هذه الصفحـات كل قارئ، وترشـده، وتنعشـه، وتتحـدَّاه. وحتـى نزيـد مـن الفائـدة العمليـة لهـذا

الكتاب، ولا سيما لمَن لا زالوا مبتدئين في معرفتهم بالكتاب المقدس، قمنا بإدراج الشواهد الكتابية للنصوص التي أشرنا إليها. هذه الشواهد موجودة في الحواشي السفلية، حتى يمكن قراءة الكتاب دون مقاطعة مستمرة من أقواس.

وإننا لسنا نطلب من قارئينا سوى خدمة واحدة. فمِن فوق الكثير من المنابر في إسكتلاندا، كثيرًا ما رأينا كلمات يراها الواعظ، بينما ظلت مكتومة عن مستمعيه: «يَا سَيِّدُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» (يوحنا ١٢: ٢١). نرجو إذن أن تكون هذه صلاتكم فيما تبتدئون في تقليب هذه الصفحات.

أليستر بيج
سينكلير فيرجسون

الفصل الأول
يسوع المسيح،
نسل المرأة

أُعطِي يسوع المسيح اسمًا فوقَ كُلِّ اسمٍ.[1] وتبدأ الأسماء التي نُسبت إليه من سفر التكوين وتنتهي في سفر رؤيا يوحنا. وهي تعَبِّر معًا عن طبيعة يسوع المسيح، مخلِّصنا وربِّنا، التي لا مثيلَ لها. وإن التأمل في هذه الأسماء يُعِدُّنا على نحو أفضل كي نستجيب لتحريضات الكتاب المقدس، ونثبِّت أنظارنا على المسيح، ونتأمَّل في مدى عظمته.

فإن القدرة على التفكُّر في الرب يسوع، مطوَّلًا وفي وَلَعٍ، هو نشاط يندثر. ففي الحياة المسيحية المعاصرة، هبطت التدريبات اللازمة للتأمل فيه لمدة طويلة، والافتتان به، إلى مرتبة ثانوية. وصار الفعل، لا التأمُّل، هو سمة العصر.

---

[1] فيلبي ٢: ٩.

وللأسف، في غالبية الأحيان، لا يكون ذلك الفعل مصبوغًا بنعمة المسيح وقوَّته.

كم يختلف هذا عن مثال الرسول بولس — الذي بالنسبة له كانت «الحياة هِيَ المَسِيحُ»[٢] — أو عن مثال كاتب الرسالة إلى العبرانيين، الذي حثَّنا قائلًا: «لَاحِظُوا ... يَسُوعَ».[٣]

نحتاج أن نتعلَّم كيف نستعيد مركزية المسيح في عصرنا المزدحم والمحموم هذا. فإن كثيرين منا بالطبيعة نافذو الصبر. وقد زادت الأجهزة التي نستخدمها بشكل يومي — مثل أجهزة الحاسوب وجميع الأجهزة التكنولوجية الأخرى — ببساطة من نفاذ الصبر هذا.

ولهذا، سيفيدُنا كثيرًا أن نقضي هذه الساعات القليلة في قراءة هذه الصفحات التي تسلِّط الضوء وتلفت الانتباه إلى شخص ربنا يسوع المسيح وعمله.

وكما تُذكِّرنا جولي أندروز (Julie Andrews)، إن البداية «هي أفضل مكان نبدأ منه». ويُعَد سفر التكوين هو سفر البدايات. وفيه نجد التلميح الأول إلى مجيء فادٍ؛ وهو نسل المرأة.

في جنة عدن:

إن عنوان هذا الفصل مُستمَد من الكلمات التي نطق

[٢] فيلبي ١: ٢١.

[٣] عبرانيين ٣: ١.

بها الله في جنة عدن. ففي حديث الله مع الحية التي كانت قد نجحت لتوِّها في إغواء آدم وحواء بارتكاب الخطية، قال:

وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ ٱلْمَرْأَةِ،
وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا.
هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ،
وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ.[٤]

نعلَم جيدًا خلفية هذا الكلام. فقد وضع الله آدم وحواء في جنة رائعة. وكانت كل شجرة في تلك الجنة شَهِيَّة لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَة لِلْأَكْلِ. لكن من جهة شجرة واحدة فحسب قال الله: «وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ».[٥]

من الواضح أن الأمر لم يكن يتعلق بوجود شيء سام في هذه الشجرة بالتحديد. بل في حقيقة الأمر، توصَف هذه الشجرة تمامًا كما وُصفت جميع الأشجار الأخرى. فهي لم تكن تحمل ثمارًا قبيحة المنظر، ذات عبير سام. لا، بل كان الشيء الوحيد الذي ميَّز هذه الشجرة هو **ما قاله الله بشأنها**. فإن الإله كليَّ السخاء، الذي أعطى آدم وحواء كلَّ شيء في الجنة للتمتُّع، أيضًا قال لهما:

---

[٤] تكوين ٣: ١٥.

[٥] تكوين ٢: ١٧.

الآن برهنا على محبتكما لي، وثقتكما فيَّ، وطاعتكما لي أنا الإله السخي؛ لا لوجود اختلاف بين تلك الشجرة وأية شجرة أخرى، بل فقط لأنني، بصفتي أباكما، قد أوصيتُكما قائلًا: «ثقا بي وأطيعاني» من جهة هذه الشجرة الواحدة.

تُعَد هذه دعوة إلى حياة الإيمان، وهي تمتد منذ بداية الكتاب المقدس وحتى نهايته:

ثِق وأَطع،	Trust and obey, for there's
فلا سبيل آخر	no other way
كي تَسعَد في يسوع،	To be happy in Jesus, but
سوى أن تثق وتطيع.	to trust and obey.[6]

لكن بعد هذا، ظهرت الحية منشدة لحنًا مختلفًا:

ثق بي وأطعني، فلا سبيل آخر
كي تَسعَد دون الله، سوى — أن تفعل ما أقول.

«هل وضعكما الله في هذه الجنة المليئة بكل هذه الأشجار الرائعة، وبكل هذه الثمار الشهية، ثم قال لكما: «لا تأكلا من ثمار **أي** شجرة منها»؟»

قطعًا حاولت حواء أن تتجادل مع الحية، لكنها أخفقت في هذا، وفي النهاية انجذبت إلى مكيدتها. فقد قيَّمت أهمية الشجرة بواسطة عينيها، لا بواسطة أذنيها! وبدلًا

[6] John H. Sammis, "Trust and Obey," 1887.

مـن أن تصغـي إلى **مـا قالـه اللـه بشـأنها**، فكَّـرت فيهـا فقـط مـن حيـث **مـا اسـتطاعت أن تـراه فيهـا**. ففـي النهايـة، بـدت الشـجرة بالفعـل شـهية وجذابـة. فهـي لم تسـتوعب المبـدأ الإلهـي القائـل إن المؤمنـين «يـرون» بآذانهـم، لا بعيونهـم، أي بالاسـتماع إلى كلمـة اللـه![٧]

لطالما كانت هذه بالتأكيد هي حيلة الحية.[٨]

بالإضافـة إلى ذلـك، أيـة وسـيلة يمكـن إسـقاط آدم بهـا أفضـل مـن — كـما أقـرت حـواء نفسـها لاحقًـا — خـداع حـواء ثـم اسـتخدامها؟ فقـد اسـتخدم إبليـس أفضـل هبـات اللـه لآدم حتـى يكتسـب نفـوذًا وتأثـيرًا عليـه، ويجتذبـه إلى الخطيـة. وهكـذا أيضًـا، جلـب آدم بـدوره الخـراب عـلى الكـون.

ثـم جـاء اللـه وافتضـح الزوجـين الخاطئـين؛ وحينئـذ نطقـا بتبريراتهـما المثـيرة للشـفقة، إذ ألقـى الرجـل باللـوم عـلى المـرأة، وألقـت المـرأة باللـوم عـلى الحيـة.

بعد ذلك، أصدر الله ثلاث كلمات دينونة.[٩]

١) كانـت الدينونـة الأولى التـي وقعـت عـلى آدم متصلـة بمهمِّتـه التـي تقتـضي الاعتنـاء بالجنـة، وأيضًـا بدعوتـه بـأن يحـوِّل العـالم بأكملـه إلى جنـة للـه.

---

[٧] ارتكب داود الملك هذا الخطأ نفسه (٢ صموئيل ١١: ١-٢).

[٨] انظر يشـوع ٧: ١٨، ٢٠-٢١؛ ٢ صموئيـل ١١: ٢ للاطـلاع عـلى أمثلـة إضافيـة مـن قصتـي عخـان وداود.

[٩] تكوين ٣: ١٥-١٧.

٢) وكانت الدينونة الثانية التي وقعت على حواء متصلة بشكل خاص بولادة الأبناء، وبتوجهها من نحو زوجها.
٣) ثم جاءت الدينونة الثالثة على الحية.

من المذهل أن تتضمن هذه الدينونة التي صدرت ضد الحية وعدًا بنسلٍ يحقق رجاء الإنجيل المجيد:

وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ ٱلْمَرْأَةِ،
وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا.
هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ،
وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ.[١٠]

قراءات الطريق إلى عمواس:

فيما نتتبَّع كيفية توسُّع العهد القديم في شرح هذه الفكرة، نجد أنفسنا نحاول، بشكلٍ ما، اللحاق بيسوع نفسه فيما كان يتحدث مع اثنين من تلاميذه في الطريق إلى عمواس، بعد ظهر يوم قيامته،[١١] كي نسترقَّ السمع إلى ما كان يقوله.

كان التلميذان متحيِّرين، ومرتبكين، ومنزعجين بسبب موت يسوع. لكنه في المقابل وجَّه أعينهما إلى الأسفار المقدَّسة، قائلًا: «ألا تدركان كيف توضح هذه الأسفار المقدسة أنه كان ينبغي للمسيا أن يتألم، ويموت، ويقوم ثانية، ويدخُل إلى ملكوته، ثم ينشُر ذلك الملكوت في العالم أجمع؟»

من الواضح أنهما لم يكونوا مدركَين لهذا.

---

[١٠] تكوين ٣: ١٥.
[١١] لوقا ٢٤: ١٣-٣٥.

كم كنا نود لو تواجدنا هناك في ذلك الوقت، ومعنا مسجِّل، كي نسجل هذا الحوار، فنتمكن من الاستماع إلى جميع نصوص العهد القديم التي لفت الرب انتباه التلميذين إليها. من الواضح أنه كان يعرِف هذه النصوص عن ظهر قلب! ويبدو أنه في تلك الرحلة القصيرة قد انتقل بسهولة وسرعة من نص إلى الآخر.[١٢] ثم لاحقًا، وخلال عدة أسابيع، ظل يعاود المجيء إلى التلاميذ، موضحًا لهم جميع الطرق التي أشار بها العهد القديم إليه.[١٣]

حين فعل الرب يسوع هذا — وكلما فعل هذا الآن بواسطة كلمته وبروحه القدوس — حقَّق ثلاثة أشياء:

- أولاً، قدَّم **شرحًا تفسيريًّا** للأسفار المقدسة.
- ثانيًا، جلب **استنارة** إلى الذهن.
- ثالثًا، خلق داخل القلب **شغفًا** من نحوه.

كان هذا هو رد فعل التلميذين بعد أن تركهما يسوع: «أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي ٱلطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا ٱلْكُتُبَ؟»[١٤]

وهذا هو الدور الذي تقوم به أية دراسة للكتاب المقدس. وهذا ما نرغب في حدوثه كلما قرأنا ما يعلّمه

---

[١٢] يقول لوقا: «ثُمَّ ٱبْتَدَأَ ... يُفَسِّرُ لَهُمَا ٱلْأُمُورَ ٱلْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ ٱلْكُتُبِ» (لوقا ٢٤: ٢٧؛ انظر أيضًا ٢٤: ٤٤-٤٧).

[١٣] أعمال الرسل ١: ٣.

[١٤] لوقا ٢٤: ٣٢.

لنا الكتاب المقدس عن يسوع. فإننا نقرأ الأسفار المقدَّسة أو نستمع إليها، ونطلب من الروح القدس أن يجلب استنارة إلى أذهاننا. وحين يفعل هذا، تلتهب قلوبنا فينا، أي «تشعر بدفءٍ عجيب» (بحسب كلمات جون ويسلي). وإن حدث واختبرنا هذا النوع من التهاب القلب مرة واحدة، سنرغب في أن تلتهب قلوبنا مرارًا وتكرارًا بالمحبة تجاه المخلِّص وتجاه تعليمه.

إن أردنا أن يحدث هذا، لا توجد نقطة انطلاق نبدأ منها أفضل من النقطة التي نعتقد أن يسوع نفسه قد بدأ منها، أي تكوين ٣: ١٥ — الوعد بصراعٍ بين نسلين.

كان أول وصف للخصمين هو: نسل المرأة ونسل الحية. لكن تعيَّن أن تكون ذروة هذا الصراع شخصية وفردية بدرجة أكبر — أي بين نسل المرأة والحية ذاتها. لم يعد الخصم الشرير الأخير هو نسل الحية بل الحية ذاتها. يوحي هذا ضمنًا إذن بأن النسل الأخير للمرأة أيضًا سيكون فردًا واحدًا. سيسحق كلٌّ من الخصمين الآخر. لكن بينما لن تسحق الحية سوى عقب نسل المرأة، سيسحق نسل المرأة رأس الحية — أي سيوجه إليها ضربة سيتَّضح أنها قاضية.

إن أُعطيتَ بطاقة فارغة، وطُلب منك أن تجيب على هذا السؤال: «لماذا ظهر ابن الله؟» ماذا ستكون إجابتك؟ شاهد إجابة الرسول يوحنا:

لأَجْلِ هَذَا أُظْهِرَ ٱبْنُ ٱللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ.[١٥]

هذا هو أول بعد من أبعاد رسالة الإنجيل المسجَّل لنا في الكتاب المقدس. رأى يوحنا نبوة الأصحاح الثالث من سفر التكوين تتحقق في فادينا يسوع المسيح. فقد أُظهِر المسيح كي يُبطِل ما فعلته الحية. ومن خلال حياته وخدمته، وفي النهاية من خلال موته وقيامته، نَقَض جميع أعمال إبليس.

ما هو الضوء الذي تلقيه هذه الكلمات على خدمة ربنا يسوع المسيح؟

حين نفكِّر في الخلاص، كثيرًا ما نستخدم كلمات من قبيل **الغفران والتبرير** — وهذا صوابٌ. لكن لاحظ أنه لم يَرِد في تكوين ٣: ١٥ أي ذِكرٌ للغفران أو للتبرير. هل يشكِّل هذا أهمية؟ قطعًا! فإن كلمات الله هنا تسلِّط كل الضوء على الصراع («وَأَضَعُ عَدَاوَةً...»)، ومن ثَمَّ على حاجتنا إلى أن نُعتَق من عبوديتنا للشرير، حتى لا نصير بعد أسرى «رَئِيسِ سُلْطَانِ ٱلْهَوَاءِ، ٱلرُّوحِ ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلْآنَ فِي أَبْنَاءِ ٱلْمَعْصِيَةِ».[١٦]

ولهذا، تُكسِبنا هذه الكلمات، التي ترد في أوائل سفر التكوين، فهمًا خاصًا عن رسالة الكتاب المقدس ككلٍّ. فإن هذا الكتاب المقدس هو سلسلة من أسفار تتتبع أثر صراعٍ كونيٍّ قديم للغاية بين «النسلَين».

---

[١٥] ١ يوحنا ٣: ٨.

[١٦] أفسس ٢: ٢.

الإنجيل الأول:

لطالما سُمِّي تكوين ٣: ١٥ باسم «الإنجيل الأول» (protevangelium)، أي الإعلان الأول عن بشارة الإنجيل. فهو يحوي أقدم وعد بمجيء المسيح — أي أنه يحوي نبوة بأن ظهوره سيشكِّل ذروة صراع دام طويلًا. لاحظ كيف عبَّر النص عن هذا:

أ) وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ ٱلْمَرْأَةِ،
ب) وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا.
ج) هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ

- في التصريح الأول (أ) يُعلِن الله نشأة عداوة بين الحية والمرأة.
- وفي التصريح الثاني (ب) يوضح أن هذه العداوة ستستمر حتى إلى ما بعد حواء، إذ ستشمل ذرية (نسل) الحية ونسل المرأة.
- في التصريح الثالث (ج) يقول الله إن هذه العداوة ستبلغ ذروتها حين يسحق (في صيغة المفرد المذكر) نسل المرأة رأس الحية. وسينتهي الصراع بانتصار نسل المرأة.

هناك إذن في هذه الآية تطوُّر وتدرُّج، من عداوة بين شخصين (الحية وحواء)، إلى عداوة بين سلالتين (نسلهما)، وصولًا إلى الخاتمة النهائية للعقدة: سيسحق نسل المرأة (في المفرد) رأس الحية.

إبليس؟

لا ترد في الأصحاح الثالث من سفر التكوين أية إشارة إلى إبليس. لكن حين تأمَّلت بقية أسفار الكتاب المقدس في الحدث الذي ورد في هذا النص، يتبيَّن لنا أن شخصية إبليس كانت تكمُن وراء الحية.

ردِّد بولس صدى تكوين ٣: ١٥ حين أخبر المؤمنين في رومية بأن «إِلَهُ ٱلسَّلَامِ سَيَسْحَقُ ٱلشَّيْطَانَ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ سَرِيعًا».[١٧] فقد أمسك بهذا الوعد القديم، مطبِّقًا إياه على مؤمني رومية. وكان المعنى الضمني لهذا هو أن الحية في الأصحاح الثالث من سفر التكوين كانت تتحدث بلسان الشيطان، وأن ذلك الصراع الذي تحدث عنه هناك كان قد بلغ ذروته. فقد غلب المسيح الشيطان — وهكذا سنغلبه نحن أيضًا.

يظهر هذا بأكثر وضوح في سفر رؤيا يوحنا. فإن الأصحاح الثاني عشر من سفر رؤيا يوحنا يعرِض لنا صورة دراميّة ومؤثرة عن بلوغ هذا الصراع القديم ذروته. يرى يوحنا تنينًا عظيمًا أحمرًا يبتلع البشرية. كان هذا هو «ٱلْحَيَّةُ ٱلْقَدِيمَةُ ٱلْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَٱلشَّيْطَانَ، ٱلَّذِي يُضِلُّ ٱلْعَالَمَ كُلَّهُ».[١٨] فإذ كانت حية عدن قد ابتلعت بالفعل الكثيرين جدًا من الجنس البشري على المستوى الروحي، نمت وصارت تنينًا عظيمًا.

---

[١٧] رومية ١٦: ٢٠.

[١٨] رؤيا ١٢: ٩.

في حقيقة الأمر، تبدو هذه الرؤيا النبوية وكأنها نسخة فيلمية من نص تكوين ٣: ١٥. فإننا فيها نُدعَى إلى أن نشاهد — في صورة درامية، عالية الدقة، بالألوان مع تأثيرات خاصة — هذا الصراع المستمر المُتنبَّأ به بين نسل المرأة ونسل الحية، وناتجه النهائي.[١٩]

هذا هي القصة الأساسية التي تمتد في الكتاب المقدس ككلٍّ. فإن هذا الصراع يظهر كجنينٍ في الأصحاح التالي مباشرة من سفر التكوين؛ حين خاض أخ (قايين) صراعًا مع أخيه (هابيل) بسبب قبول الله لذبيحة الأخير.[٢٠] فقد أسفر قبول الله للذبيحة عن غيرة وقتل، إذ سعى نسل الحية (قايين) إلى القضاء على نسل المرأة (هابيل).

أيضًا تظهر هذه القصة نفسها في حادثة برج بابل، حيث سعى الإنسان إلى بناء مملكته الخاصة في معاداة لملكوت الله. لكن أسقط الله، في سلطان سيادي، هذه المملكة، وقضى على وحدتها.[٢١] كما أن هذه هي القصة الكامنة وراء صراع مصر ضد إسرائيل،[٢٢] وجليات ضد داود،[٢٣] وبابل ضد أورشليم، ونبوخذ ناصر ضد دانيال.[٢٤] كما أنها

---

[١٩] يربط العهد الجديد ضمنًا، في نص آخر، بين الحية وإبليس: يوحنا ٨: ٤٤ ب.

[٢٠] تكوين ٤: ١ وما يليه.

[٢١] تكوين ١١: ١-٩.

[٢٢] خروج ١-١٢.

[٢٣] ١ صموئيل ١٧: ١٠، ٤٥.

[٢٤] دانيال ١: ١ وما يليه.

تكمُن وراء صراع إبليس ضد يسوع،[٢٥] ووراء سعي بيلاطس البنطي وهيرودس إلى القضاء على المخلِّص.[٢٦] وهي القصة التي تتغلغل داخل الأناجيل وما بعدها. فقد سعى اليهود إلى القضاء على يسوع في أثناء خدمته، فقال لهم: «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ».[٢٧] ثم انصبَّت هذه العداوة نفسها بعد هذا على الكنيسة المسيحية.[٢٨]

هكذا إذن، بدأت قصة العصور تتكشَّف بالفعل في تكوين ٣: ١٥.

صراع مستمر:

نحتاج أن نتذكَّر هذا الصراع ونحن نقرأ الأناجيل. فقد كان هو الطابع الأساسي الخفي الذي ميَّز حياة الرب يسوع وخدمته. وهو يتخلَّل كل صفحة من صفحات القصة. تروي الأناجيل قصة الصراع بين يسوع ونسل الحية — سواء في هيئة الأرواح النجسة، أو في إثارة العداء ضده، أو من خلال جهود الحية لتجنيد بطرس ويهوذا، تلميذي يسوع، لخدمتها. نجد هذا في الملخَّص المقتضَب الذي قاله يوحنا الشيخ: «لِأَجْلِ هَذَا أُظْهِرَ ٱبْنُ ٱللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ».[٢٩]

---

[٢٥] متى ١٦: ٢١-٢٣؛ لوقا ٤: ١-١٣، ٢٨-٢٩، ٣١-٣٧؛ ٢٢: ٣؛ ٥٣؛ يوحنا ١٢: ٢٧-٣٣؛ ١٣: ٢، ٢١-٣٢.

[٢٦] أعمال الرسل ٤: ٢٣-٢٨.

[٢٧] يوحنا ٨: ٤٤.

[٢٨] أعمال الرسل ٧: ٥٤-٨: ٣.

[٢٩] ١ يوحنا ٣: ٨.

هكذا إذن، منذ البداية وحتى النهاية — أي منذ تحوُّل جنة عدن إلى برية بسبب الخطية، وحتى الأصحاحين الحادي والعشرين والثاني والعشرين من سفر رؤيا يوحنا، حين صارت هذه البرية جنة مرة أخرى — يروي الكتاب المقدس ككلٍّ قصة هذا الصراع. فقد كان الوعد هو بأن يدوم هذا الصراع طوال العصور حتى يأتي المسيح، ثم أن يصل هذا الصراع، في خدمته، إلى مرحلة حرجة ومصيرية.

يعبِّر العهد الجديد عن هذا بعدة طرق مختلفة.

تَذَكَّر قول بولس إنه لَمَّا جَاءَ مِلْءُ ٱلزَّمَانِ، أَرْسَلَ ٱللهُ ٱبْنَهُ. واصفًا يسوع في جملتين اعتراضيتين، «مَوْلُودًا مِنِ ٱمْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ ٱلنَّامُوسِ».[٣٠] «مَوْلُودًا مِنِ ٱمْرَأَةٍ» — هل كان بولس هنا يردِّد صدى تكوين ٣: ١٥؟ نعم بالتأكيد؛ ففي كل الكتاب المقدس، كانت العادة هي تتبُّع النسب من الذكور.[٣١] لكن قال الله: «سيسحق نسل **المرأة** رأس الحية». إذن، كان بولس، إن جاز التعبير، يقول: «الآن يمكنكم حقًا في التجسد إدراك هوية نسل — أي مولود — المرأة. فهو الرب يسوع المسيح، وليس غير ذلك».

هل يمكن أن يكون هذا هو السبب الذي لأجله خاطب الرب يسوع مريم أمه بلقب «امرأة»؟ فقد فعل هذا في لحظتين لافتتين، لم يسجلهما سوى إنجيل يوحنا.

---

[٣٠] غلاطية ٤: ٤.

[٣١] انظر، على سبيل المثال، تكوين ٥: ١؛ ٦: ٩؛ ١٠: ١؛ متى ١: ١-١٧؛ لوقا ٤: ٢٣-٣٨.

أولاً، حدث هذا في العرس الذي ذهب إليه يسوع في قانا الجليل، في ردِّه على إصرار مريم بأن «يفعل شيئًا» بشأن كارثة وشيكة الحدوث. فقد كان الخمر على وشك النفاد. لكن أجابها يسوع: «مَا لِي وَلَكِ يَا **ٱلْمَرْأَةُ**؟ لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». لكنه بعد هذا بقليل، حوَّل الماء إلى خمر — وكانت هذه هي الآية الأولى، أي استعلانه الأول لمجده![٣٢]

ثم لاحقًا، وفي الساعة الأخيرة تقريبًا من حياة يسوع، خاطب أمه مرة أخرى بلقب «امرأة». فقد كان على وشك إكمال عمله على الأرض، العمل الذي فيه «جَرَّدَ [الله] ٱلرِّيَاسَاتِ وَٱلسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا».[٣٣] وفي غضون ذلك، التفت إلى يوحنا وأودع مريم أمه إلى رعايته. ثم قال لها: «يَا **ٱلْمَرْأَةُ**، هُوَذَا ٱبْنُكِ».[٣٤]

لطالما وجد المفسِّرون صعوبة في تفسير الدلالة الدقيقة لكلمات يسوع. ويبدو أنها تزعجهم قليلًا. ففي النهاية، متى كانت آخر مرة خاطبتَ فيها والدتك بهذا التعبير الجامد؟ وإن كنت قد فعلتَ هذا، ماذا كان جوابها؟ هل ذكَّرتك بهويتها؟ يبدو لنا وقع هذه اللغة وقحًا حين يستخدمها ابنٌ ليخاطب والدته التي تحبه. وقد تمادى بعض المفسرين وقالوا: «لا داعي أن يثير هذا ذهولنا. فقد كان من الطبيعي أن يقول يسوع هذا».

---

[٣٢] انظر يوحنا ٢: ١-١١.

[٣٣] كولوسي ٢: ١٥.

[٣٤] يوحنا ١٩: ٢٦.

لكـن هـل هـذا صحيـح؟ فـإن هـذا الأسـلوب في الحديـث بـين يسـوع وأمـه لا يَظهَـر في أي موضـع آخـر في الأناجيـل. هـل يمكـن أن يكـون هنـاك سـبب أعمـق دعـا يوحنـا إلى تسـجيل هــذه الكلــمات في كلٍّ مــن بدايــة خدمــة يســوع العلنيــة ونهايتهـا؟ هـل كان يقـول: «ألا تـرون مـا يجـري هنـا؟ كان يسـوع يـدرك أنـه **نسـل المـرأة** الـذي سيسـحق رأس الحيـة». هــل كان يســوع يذكِّــر أمــه بمصيرهــما الــذي عيَّنــه لهــما اللـه؟ ففـي النهايـة، يعلِّمنـا إنجيـل يوحنـا بأنـه فـوق صليـب الجلجثـة، سـحق ربنـا يسـوع المسـيح حقًّـا رأس الحيـة. فحـين أراد الأمــم أن يــروه، قــال: «اَلْآنَ دَيْنُونَــةُ هَــذَا ٱلْعَالَــمِ. اَلْآنَ يُطْـرَحُ رَئِيـسُ هَـذَا ٱلْعَالَـمِ خَارِجًـا».[٣٥]

يسوع يلتقي بالعدو:

يبـدو أن هنـاك نصًّـا آخـر في إنجيـل يوحنـا يتـماشى مـع هـذا المنظـور العـام، مـع أنَّ تفسـيره أيضًـا أبعـد مـا يكـون عــن الســهولة.

ففــي منتصــف الحديــث الوداعــي الــذي ألقــاه الــرب يسـوع (يوحنـا ١٣-١٧)، قـال لتلاميـذه: «قُومُـوا نَنْطَلِـقْ مِـنْ هَهُنَـا» (١٤: ٣١). لكـن لا تـرد في النـص أيـة إشـارة إلى تغيـير فعـلي للمـكان، أو إلى تحركهـم عـلى الإطـلاق. لكـنَّ اللغـة التـي اسـتخدمها يوحنـا هنـا قـد اسـتُخدمت خـارج العهـد الجديـد في سـياق حـربي، بمعنـى مواجهـة العـدو. إذن، ربمـا لم يكـن

[٣٥] يوحنا ١٢: ٣١.

يسوع يقول: «دعونا نتحرك من هنا»، بل بالأحرى، كان يقول: «في ضوء كل ما قلتُه لكم، وكل ما يحدث، حان الوقت أن نخوض الصراع الأخير ضد قوات الظلمة».[٣٦] فإنه «هَـذِهِ سَاعَتُكُمْ [ساعتهم] وَسُلْطَانُ ٱلظُّلْمَةِ».[٣٧] وسواء كان التلاميذ قد غادروا المكان بالجسد في ذلك الوقت أم لا، كان يسوع قطعًا على وشك دخول أرض يحتلُّها العدو.

وهكذا، يبدو أن الأناجيل تقول لنا: «هل تستطيعون رؤية كيف يبلُغ وعد الصراع ذروته في خدمة الرب يسوع؟»

ويمثل الأصحاح الثاني عشر من سفر الرؤيا صورة مسرحية لوعد تكوين ٣: ١٥. ففي رؤيا يوحنا، رأى ٱبْنًا ذَكَرًا عَتِيدًا أَنْ يَرْعَى جَمِيعَ ٱلْأُمَمِ؛ وكان على وشك أن يُولَد.[٣٨] لكن كان هناك تنين عظيم يقف منتظرًا خروجه من رحم أمه. وكان التنين ينوي ابتلاع الطفل. ويُعرَّف التنين بوضوح بأنه إبليس، وحية جنة عدن.[٣٩] يذكِّرنا هذا بوضوح بالمجزرة الوحشية والبشعة التي شنَّها هيرودس على أطفال بيت لحم.[٤٠] ففي هذا الهجوم، كان هناك تأثير

---

[٣٦] انظر يوحنا ١٤: ٣١. وانظر:

C. H. Dodd, The Interpretation of the Fourth Gospel (Cambridge, UK: Cambridge University Press, 1953), 407–9.

[٣٧] لوقا ٢٢: ٥٣.

[٣٨] تبيِّن لغته هنا أنه يرى هذا الابن من خلال عدسات مزمور ٢: ٩. فهو الملك المسياني الموعود به.

[٣٩] رؤيا ١٢: ٩.

[٤٠] متى ٢: ١٦-١٨.

شيطاني كبير، إذ كان يستهدف شخص الرب يسوع المسيح. فإن قصة الخلاص هي قصة حرب.

ظهرت هذه الحقائق نفسها في التجربة التي تعرَّض لها مخلِّصنا في البرية.[٤١]

آدم الثاني يدخل المعركة:

نرتكب أحيانًا خطًا بسيطًا ونحن نقرأ روايات قصة التجربة؛ إذ نفترض أن الغرض الرئيسي منها كان أن نتعلَّم شيئًا عن **تجاربنا** الشخصية، وكيف ينبغي أن نقاومها.

هذا صحيحٌ؛ فإن المثال الذي قدَّمه لنا ربنا في مقاومته للتجارب يساعدنا بالفعل في الصمود أمام تجاربنا. لكن لم يكن الغرض من هذه التجارب هو أن نقول: «قد جُرِّب يسوع، ونحن نجرَّب مثله تمامًا، ولهذا لنستجب للتجربة كما استجاب هو». من شأن هذا أن يجعل تجاربه مجرد نموذج نحتذي به. ليس هذا صحيحًا — فإننا نقرأ أن الروح القدس **اقتاد** يسوع، أي أنه «أخرجه» أو «ساقه» إلى البرية كي يُجرَّب.[٤٢]

لم تكن تجارب يسوع إذن سلسلة من الأحداث المؤسِفة التي أصابته على حين غرة؛ بل هي تمثِّل مواجهة ملحميّة تقع ضمن الخطة الإلهيّة. فإننا فيها نرى عمل يسوع من صراع، ونصرة، وخلاص. فقد وقف يسوع أمام إبليس

---

[٤١] متى ٤: ١-١١؛ مرقس ١: ١٢-١٣؛ لوقا ٤: ١-١٣.

[٤٢] «يقتاد» هو تعبير إنجيل لوقا، بينما «أخرجه» هو تعبير إنجيل مرقس.

وجهًا لوجه، بصفته الإنسان الجديد، أي آدم الثاني، حتى ينجح فيما أخفق فيه الإنسان القديم، أي آدم الأول. كان السؤال هو: مَن سيأخذ ممالك هذا العالم؟ وكيف سيُسترَد ملكوت الله ويُؤسَّس؟ والإجابة هي أن يسوع سيأخذها مرة أخرى نيابة عنا، ولأجل مسرة ومجد أبيه. وسيُسحَق إبليس تحت الأقدام!

يا لحكمة الله المُحِبة!	O loving wisdom of our God!
فحين سادت الخطية والعار،	When all was sin and shame,
جاء آدم ثانٍ	A Second Adam to the fight
إلى أرض المعركة نجدةً.	And to the rescue came.
ما أحكم هذه المحبة! إن اللحم والدم،	O wisest love! that flesh and blood,
الذي أخفق في آدم،	That did in Adam fail,
يَهُب من جديد ضد العدو،	Should strive afresh against the foe,
يَهُب ويغلب.	Should strive and should prevail.[43]

لهذا السبب قاسى يسوع الضعف والجوع الجارف (في مقابل آدم، الذي تمتَّع بالوفرة والخير). ولهذا واجه

[43] J. H. Newman, "Praise to the Holiest in the Height," from the poem The Dream of Gerontius, written in 1865 and later set to music by Edward Elgar for his oratorio of the same name.

التجربة في برية (على خلاف آدم، الذي وُضع في جنة فاتنة وجوَّادة). ولهذا أحيط بحيوانات برية (ليس كما كان آدم محاطًا بحيوانات طيعة، وطائعة، وعلى الأغلب مُروَّضة). فقد كان على يسوع، آدم الأخير، أن ينتصر ويغلب في خضم حالة الفوضى التي جلبتها خطية آدم الأول إلى العالم.

ولهذا، منذ بداية خدمة يسوع وحتى نهايتها، كان في مواجهة حربية مستمرة مع قوات الظلمة. ففي واقع الأمر، بعد التجارب التي تعرض لها يسوع مباشرة، وفيما كان يبدأ خدمته العلنية، اضطر أن يواجه هجومًا آخر من نشاط شيطاني في مجمع الناصرة.[٤٤] وبعد قليل، التقى برجل في كورة الجدريين كانت حياته واقعة تحت تأثيرٍ دخيلٍ مدمِّر وخارج عن السيطرة. فقد كان يهيم في القبور كحيوان بري، لا أحد يستطيع أن يخضعه.

وحين سأل يسوع الروح النجس في رفقٍ: «ما اسمك؟»

أجاب: « ٱسْمِي لَجِئُونُ، لِأَنَّنَا كَثِيرُونَ».[٤٥]

كان اللجئون الروماني يتألف نظريًا من حوالي أربعة آلاف إلى خمسة آلاف جندي. كان الرجل إذن يقول: «قد اجتاحت آلاف الشياطين حياتي».

لكن انتبه إلى هذا جيدًا. لا يتطلَّب الأمر للقضاء على إنسان سوى روحًا نجسًا واحدًا. لماذا إذن اجتاحت آلاف

[٤٤] لوقا ٤: ١٦-٣٠.

[٤٥] مرقس ٥: ٩.

الأرواح النجسة هذا الرجل؟ لأن الرب يسوع كان هناك. كان هذا هو بيت القصيد. لم يكن هذا مجرد رجل مسكين يسكنه لجئون من الأرواح النجسة. كان من شأن هذا أن يكون إسرافًا من إبليس في نشر قواته، لم يكن بوسعه تحمُّل نفقاته. لم يكن هذا الإنسان هو الهدف الأساسي، بل كان الهدف هو القضاء على خدمة يسوع.

لم يكن سبب كثرة سُكنى الأرواح الشريرة في البشر في الفترة الزمنية التي تسجِّلها الأناجيل هو — كما يُفترَض أحيانًا — أن هذا كان شيئًا طبيعيًّا في ذلك الزمان. بل في حقيقة الأمر، لم يكن هذا هو الوضع الطبيعي. بل قد اجتيحت الأرض آنذاك من الأرواح النجسة لأن المخلِّص كان يخوض حربًا لتحقيق النصرة التي يَعِد بها تكوين ٣: ١٥. ولهذا أُطلِق العنان لكل الجحيم كي يقاومه.

يتضح ذلك من خلال رد فعل الأرواح النجسة نفسها تجاه يسوع. فحين واجه الرجل المسكون بالأرواح النجسة يسوع في مجمع كفرناحوم، كان رد فعل الروح النجس هو: «أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا!»[٤٦]

ثم بعد ذلك، بالتأكيد، اتَّخذت هذه المقاومة الشريرة صورة أكثر مكرًا، إذ استخدمت واحدًا من أكثر ثلاثة رجال أحبهم يسوع في العالم؛ وذلك حين ردد سمعان بطرس

[٤٦] مرقس ١: ٢٤؛ قارن متى ٨: ٢٩ «أَجِئْتَ إِلَى هُنَا قَبْلَ ٱلْوَقْتِ لِتُعَذِّبَنَا؟»

صدى تجربة إبليس للمخلِّص، قائلًا له: «يا يسوع، لا تسلُك طريق الصليب».[٤٧]

كم كان يسوع حازمًا — وكم كان فطنًا إذ تبيَّن في كلمات بطرس لهجة الشرير — فأجابه: «اُذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!»[٤٨]

تغيير في الخطة:

في النصف الأول من روايات الأناجيل، وحتى مجاهرة بطرس بأن يسوع هو المسيح، كان إبليس يسعى إلى جعل يسوع ينحرف ويحيد عن الصليب. فقد قال له في البرية: «لا تذهب إلى الصليب. سأعطيك ممالك العالم إن انحنيت أمامي وسجدت لي». ومن خلال سمعان بطرس قال له: «لا تذهب إلى الصليب. ابحث عن وسيلة أخرى». وبدا أن الأرواح النجسة أيضًا كانت تقول له: «لا تذهب إلى الصليب».

لكن حدث بعد هذا شيء غير متوقَّع. فقد سلكت خطة إبليس مسارًا مختلفًا. فقد صار يحاول الذهاب بيسوع إلى الصليب بأقصى سرعة ممكنة، محاولاً إفساد توقيت الله بحيث يصير موت يسوع مأساة بشعة، وليس خدمة خلاصية في طاعة. ولذلك، بدلًا من أن يستخدم عضوًا متقلقلًا في جماعة التلاميذ (سمعان بطرس)، استخدم

---

[٤٧] انظر متى ١٦: ٢٢-٢٣.

[٤٨] متى ١٦: ٢٣؛ مرقس ٨: ٣٣.

أمين صندوقها (يهوذا الإسخريوطي). كان التلاميذ الآخرون يثقون في يهوذا ثقة عمياء، لدرجة أنه حين غادر العلية كي يسلِّم يسوع، ظن الكثيرون منهم حقًا أنه كان ذاهبًا للقيام بأحد خدمات الرحمة.[٤٩]

استخدم إبليس فيما سبق سمعان بطرس — ولكن كان هذا دون جدوى. لكنه بعد هذا دخل فعليًّا يهوذا الإسخريوطي.[٥٠] كانت هذه إشارة إلى بداية الصراع الأخير ليسوع. فقد قال لمن جاؤوا ليمسكوا به في بستان جثسيماني: «هَـذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ ٱلظُّلْمَةِ».[٥١] كان هذا السلطان عتيدًا أن يسحق عقبه؛ لكنه في ذلك الصراع كان عتيدًا أن يسحق رأس الحية.

إذن، تروي قصة الكتاب المقدس ككلٍّ قصة صراع مستمر. وتأتي بنا قصة الأناجيل إلى ذروة هذا الصراع.

الانتصار:

كيف سحق يسوع رأس الحية وقضَى على تأثيرها؟

قاوم يسوع إبليس تمامًا حيث استسلم له آدم. فقد كانت طاعته التامة لأبيه هي السمة التي ميَّزت مسار حياته ككلٍّ.

---

[٤٩] يوحنا ١٣: ٢٩.

[٥٠] يوحنا ١٣: ٢٧.

[٥١] لوقا ٢٢: ٥٣.

وبعد ثلاث سنوات، اقتيد يسوع أيضًا إلى شجرة، وجُرِّب هو أيضًا. لكن في حالته، كانت التجربة هي أن يمتنع عن الأكل من الثمار السامة لهذه الشجرة.[٥٢] لكن أبطلت طاعة آدم الأخير عصيان آدم الأول.

منح الله آدم وحواء متعة الأكل من كلِّ شجر الجنة، عدا شجرة واحدة. لم تكن الثمار المحرَّمة، كما رأينا قبلًا، ثمارًا قبيحة، تبدو مشؤومة؛ كما لم يكن ينبعث منها عبير منفِّر. بل بدت الثمار شهية. كانت كل غريزة طبيعية تقول من جهة هذه الشجرة: «هذه الشجرة — مثلها مثل جميع أشجار الجنة — شهية للنظر. ويبدو ثمرها جيد الشكل والرائحة».[٥٣]

لماذا إذن، في حين بدت شجرة جنة عدن جذابة بهذه الصورة، قال الله: «لا تأكلا من هذه الشجرة»؟ هذا لأن هذه الشجرة كانت تمتحن طاعة آدم، وتخلق بيئة يمكن لعلاقته بالله أن تنمو وتتطوَّر فيها. كان الله في الحقيقة يقول لآدم: «يا آدم، أطعني في هذا، حتى تبرهن على ثقتك بي ومحبتك لي. وإن فعلت هذا ستنمو في علاقتك بي». لكن للأسف، سلك آدم المسار نفسه الذي اندفعت إليه زوجته، متبعًا حواسه — كالنظر، والشم، والتذوق — لا كلمة الله.

---

[٥٢] المترجم: أي أن تجربة إبليس ليسوع كانت أن يحاول منعه من الذهاب إلى خشبة الصليب وإتمام الخلاص.

[٥٣] انظر تكوين ٢: ٩.

لكـن حـين جـيء بالإنسـان الثـاني إلى شـجرة الجلجثـة، أُوقِـف أمـام صـورة مـرآة معكوسـة لتجربـة الإنسـان الأول.

لم يكـن في الشـجرة الأولى أي شيء ينفِّـر آدم بالغريـزة مـن الأكل مـن ثمارهـا الشـهية للنظـر. ولم يكـن في الشـجرة الثانيـة أي شيء يجتـذب يسـوع نحـو الأكل مـن الثـمار المنفـرة لـترك اللـه. فقـد كانـت هـذه شـجرة ملعونـة.[٥٤]

لم تكـن هنـاك عظمـة واحـدة في جسـد المسـيح، أو جـرام واحـد مـن لحمـه، أو عاطفـة واحـدة في روحـه، كان مـن الممكـن أن ترغـب عـلى الإطـلاق في اختبـار شـعور تخـلي اللـه. بـل كانـت كل ذرة في كيانـه تنكمـش مـن ذلـك، إذ قـد أحـبَّ أبـاه!

هنـاك المزيـد أيضًـا. فـإن أي رد فعـل مـن جانـب يسـوع غـير الانكـماش مـن المـوت عـلى الخشـبة، باعتبـاره شـيئًا منفـرًا، كان لينقـص مـن قداسـته. فقـد دُعـي يسـوع إلى أن يقـاسي شـيئًا كانـت كل غريـزة فيـه تشـمئز منـه. كان عـلى يسـوع **ألا يرغـب في الأكل** مـن ثمـار الشـجرة بـكل كيانـه، ومـع ذلـك أن **يكـون عـلى اسـتعداد لـلأكل منهـا**. فقـد أبـدى اسـتعدادًا للطاعـة في حـين لم يكـن يرغـب في أن يُـترك! هـذا هـو ثمـن خلاصنـا. لا عجـب أن يسـوع صلَّى قائـلًا: « يَـا أَبَـا ٱلْآبُ ... أَجِـزْ عَنِّـي هَـذِهِ ٱلْـكَأْسَ».[٥٥]

---

[٥٤] انظر غلاطية ٣: ١٣.

[٥٥] مرقس ١٤: ٣٦.

نستطيع وضع التناقُض بين آدم ويسوع في جدولٍ كالتالي:

شخصان:	آدم الأول	آدم الأخير
مكانان:	الشجرة المحرَّمة	الشجرة الملعونة
وصيتان:	لا تأكل من الثمرة!	تجرَّع محتوى هذه الكأس!
رغبتان:	يريد أن يأكل	لا يريد أن يشرب
فعلان:	عصيان	طاعة
نتيجتان	موت	حياة

وفي ضوء هذه الخلفية يقول بولس: «أَطَاعَ حَتَّى ٱلْمَوْتَ، مَوْتَ ٱلصَّلِيبِ».[٥٦] فقد أبدى يسوع استعدادًا أن يأخذ على عاتقه اللعنة الإلهيّة، مع أن كلَّ ذرة في كيانه، وكلَّ رغبة مقدَّسة، كانت تتوق إلى البركة الإلهية، وتستحقها. فقد أخذ مكاننا — ومَن يستطيع أن يسبر غور لغز شعوره بالوحشة والاغتراب عن مجد السماء؟ فقد حمل اللعنة — كل هذا من أجل المحبة.

عوضًا عني،	In my place, condemned he
وقف مدانًا	stood
خاتمًا عفوي	Sealed my pardon with his
بدمه	blood
هللويا! يا له من مخلص!	Hallelujah! What a Savior![57]

[٥٦] فيلبي ٢: ٨.

[57] Philip Bliss, “Man of Sorrows,” 1875.

لكـن هنـاك المزيـد أيضًـا. فقـد فعـل يسـوع شـيئًا آخـر ذات أهميـة شـديدة.

كشف القناع:

فقد افتضح يسوع كذب إبليس.

يصـف بولـس سـقوط الإنسـان بهـذه الكلـمات: «ٱسْـتَبْدَلُوا حَـقَّ ٱللـهِ بِٱلْكَـذِبِ».[٥٨] مـا هـو هـذا الكـذب؟ بالتأكيـد كان الكـذب هـو مـا قالتـه الحيـة لحـواء:

> لقـد وضعكـما إلهكـما في هـذه الجنـة، وأعطاكـما خـيرات كثـيرة، وأشـجار جذابـة، والكثـير جـدًا مـن الثـمار الشـهية. لكنـه قـال لكـما: «هـا أنـا قـد أحطتُكـما بـكل هـذه الأشـياء الرائعـة والشـهية، **لكـن يتحتـم عليكـما ألا تحصـلا عـلى أيٍّ منهـا**».[٥٩]

هـل تـرى التلميـح الشـيطاني هنـا؟ «إن اللـه إلـه قـاسٍ ومتبلـد الشـعور؛ فهـو لا يريـد الأفضـل لكـما، كـما أنـه لا يعطيكـما الأفضـل. بـل هـو يعبـث بكـما لأجـل متعتـه الشريرة. فهـو لا يحبكـما بالحقيقـة، بـل يحتقركـما».

لا داعـي أن نـروي بقيـة القصـة. فقـد صارعـت حـواء مـع التجربـة، لكـن كانـت الفكـرة السـامة قـد غُرسـت بالفعـل داخـل ذهنهـا المشـوَّش، لتصـل إلى عواطفهـا وإلى إرادتهـا. ومـن هنـاك انتقلـت إلى شراييننـا؛ وهـي الآن داخـل أجهزتنـا. فهـي

[٥٨] رومية ١: ٢٥.

[٥٩] انظر تكوين ٣: ١ وما يليه.

ذلك الالتواء الموجود بداخلنا، الذي يدفعنا ألا نؤمن أو نثق في أن الله نفسه وكل شيء فيه — في شخصه، وفيما يفعله، ويوصي به، ويَعِد به — هو صلاحٌ وخيرٌ.

أحيانًا يقول لنا غير المؤمنين: «إن الإله الذي أؤمن به هو إله المحبة». لكن لا يعرف هؤلاء أنفسَهم جيدًا، لأن تحليل الكتاب المقدس لهم هو: «لا — بل قد استبدلتم حق الله بالكذب. لستم تؤمنون بأنه إله المحبة. لن تسلكوا هكذا لو كنتم حقًا تؤمنون بهذا».

إن لُبَّ الإنجيل هو هذا: كإثبات من الآب السماوي لمحبته، أرسل ابنه الوحيد كي يموت على الصليب عوضًا عنا، ولأجل خطايانا. «وَلَكِنَّ ٱللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ ٱلْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا».[٦٠]

الصليب وحده — وليس ظروف حياتنا — هو البرهان الأساسي على محبة الله من نحونا. ينبغي ألا نسمح لأنفسنا بأن ننخدع لنظن أنه إن كانت أحوالنا تسير على ما يرام، فإننا حينئذ نستطيع أن نتيقن من محبة الله. فكثيرًا ما تبدو الحياة مظلمة ومؤلمة؛ ولا تسير الأحوال دائمًا على ما يرام. لكن في المقابل، علينا أن نتطلَّع إلى ذبيحة الصليب، وإلى الإثبات الذي قدَّمه الله هناك عن محبته. هذا هو البرهان الذي نحتاجه. وهذا هو الحق الذي نحتاج أن نسمعه إن أردنا للكذب أن يتبدّد.

---

[٦٠] رومية ٥: ٨.

إن كان يسوع قد مات عني، فإنني إذن أستطيع أن أتيقن من أن الآب، والابن، والروح القدس سيفعلون كلَّ ما يستلزمه الأمر (دون أي استثناء!) كي يقدِّموا لي الخير والفائدة:

اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ٱبْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟[٦١]

لاحظ كيف كانت الجلجثة هي محور اهتمام رسالة الإنجيل، وكيف كان الصليب هو محور تركيزها، والمسيح هو مركزها. لكن الجلجثة، بكل ما فيها من شعور كئيب بالترك، هي إعلان أكثر تفصيلًا ووضوحًا عن النعمة. لأنها لا تمثل فقط:

١) ذروة طاعة يسوع. إذ قد «أَطَاعَ حَتَّى ٱلْمَوْتَ، مَوْتَ ٱلصَّلِيبِ».[٦٢]

لكنها تمثل أيضًا:

٢) ذروة محبة الآب لابنه المتجسِّد. فقد قال يسوع: «لِهَذَا يُحِبُّنِي ٱلْآبُ، لِأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي».[٦٣] وكانت اللحظة التي صرخ فيها: «يا إلهي، إنني قد تُرِكتُ! لماذا؟» هي اللحظة نفسها التي كان أبوه ينشد فيها، من خلال دموعه، هذه الكلمات:

---

[٦١] رومية ٨: ٣٢.

[٦٢] فيلبي ٢: ٨.

[٦٣] يوحنا ١٠: ١٧.

يا يسوعي، إنني أحبك،	My Jesus, I love thee,
أعلم أنك لي ...	I know thou art mine . . .
إن أكثر وقت أحبك فيه،	If ever I loved thee,
يا يسوعي، هو الآن.	My Jesus, 'tis now.

حدث كل هذا حتى يسحق يسوع رأس الحية، وينتزع من بين أنيابها الكذب السام الذي لا زال يدمي قلوب الكثير من المؤمنين، ويصيرهم مؤمنين خائفين ومتشككين.

لدينا هنا ملاحظة إضافية، يبدو أنها تلقي بالضوء على عمل المسيح بصفته النسل.

عودة البستاني:

تذكّر العمل الذي خُلق آدم ليؤديه: أن يكون البستاني.

كان كلُّ ما خلقه الله «حسنًا» — لكن لم يكن الكلُّ بعد جنة. أراد الله إذن أن يمارس آدم سلطته حتى يوسِّع من نطاق الجنة. وإذ أعطاه جنة كنقطة انطلاق، كان بهذا يقول له: «إليك يا آدم نقطة الانطلاق». كما حين نقول لأبنائنا: «إليك البداية. الآن اذهب وأكمل الباقي».

كان على آدم أن «يزرع» الأرض بأكملها، لمجد الآب السماوي. لكنه أخفق في هذه المهمة. وإذ خُلق كي يحوِّل التراب إلى ثمر، صار هو نفسه جزءًا من التراب.[٦٤]

---

[٦٤] تكوين ٣: ١٩.

وصارت جنة عدن بَرِّية هذا العالم. لكن هل تتذكَّر كيف سجَّل لنا إنجيل يوحنا ما حدث في صباح يوم قيامة يسوع من الأموات؟ فقد كان يسوع «هُوَ ٱلْبَدَاءَةُ [بداءة الخليقة الجديدة]، بِكْرٌ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ»؛[٦٥] لكن لم تتعرَّف عليه مريم المجدلية، بل تحدثت معه ظنًا منها «أَنَّهُ ٱلْبُسْتَانِيُّ».[٦٦] حسنًا، مَن يمكن أن يكون غير ذلك، في هذا الوقت من الصباح؟

البستاني؟ نعم، حقًا. فهو البستاني؛ وهو الإنسان الثاني؛ وآدم الأخير، الذي كان يبدأ الآن في استعادة الجنة واستردادها.

ثم في وقت لاحق من ذلك اليوم، أظهر يسوع لتلاميذه آثار المسامير والحربة في يديه وجنبه. فقد سحقت الحية عقبه بالفعل، لكنه سحق رأسها! والآن كان يخطِّط لتحويل البرية إلى جنة مرة أخرى. ولهذا، سرعان ما أرسل تلاميذه إلى العالم حاملين بشارة انتصاره. فإن كلَّ سلطان على الأرض — فقده آدم — قد تم الآن استرجاعه. ينبغي الآن أن يسترد يسوع الغالب كلَّ العالم!

في المشاهد الختامية من سفر رؤيا يوحنا، رأى يوحنا الأرض الجديدة نازلة من السماء. وكيف بدت؟ كانت عبارة عن جنة تقف في وسطها شجرة الحياة![٦٧]

---

[٦٥] كولوسي ١: ١٨.

[٦٦] يوحنا ٢٠: ١٥.

[٦٧] انظر رؤيا ٢١-٢٢.

يومًا ما، سيتحقَّق كل هذا.

هكذا إذن، جاء النسل، ونضح عقبه بالدماء من جراء سحقه. لكن في غضون ذلك، سُحِق رأس الحية. والآن يملك يسوع، وسيعظم ٱنْتِصَارُنَا بِٱلَّذِي أَحَبَّنَا![٦٨]

لكن لا يزال الطريق حتى خط النهاية طويلًا، ولا يزال هناك الكثير لنتعلَّمه عن المسيح إن أردنا أن نعرفه معرفة تامة. وقد حصلنا الآن بالفعل على بعض التلميحات بشأن ما لا بد أن يكونه يسوع: فهو لا بد أن يكون شخصًا يتكلَّم بالصدق الذي ينقض كذب إبليس، أي أن يكون نبيًا؛ وأن يكون شخصًا قادرًا على أن يمنحنا اليقين بشأن غفران خطايانا، أي أن يكون كاهنًا؛ وأيضًا أن يكون شخصًا قادرًا على أن يُخضِعنا ويملك علينا، أي أن يكون ملكًا. وهناك المزيد أيضًا.

[٦٨] رومية ٨: ٣٧.

الفصل الثاني
يسوع المسيح، النبي الحقيقي

يحثُّنا الكتاب المقدس على أن نثبِّت أعيننا على يسوع.[٦٩]

لم تُحِدث الكثير من الكتب تأثيرًا على حياتنا مثل كتاب (Memoir and Remains of Robert Murray M'Cheyne). كان روبرت ماكين (Robert M'Cheyne) هو الراعي الإسكوتلندي لكنيسة القديس بطرس بمدينة دندي، من عام ١٨٣٦ وحتى عام ١٨٤٣. وقد مات عن عمر يناهز التاسعة والعشرين. لكن تميَّزت حياته، ووعظه، بل وخدمته ككلٍّ بمركزية المسيح الشديدة. وإننا كثيرًا ما نتأمل في كلماته التي تقول: «اعرف الكثير عن الرب يسوع. وأمام نظرة واحدة إلى ذاتك، ألقِ على المسيح عشر نظرات؛ دع نفسك

[٦٩] عبرانيين ١٢: ١-٢.

تمتلئ بشعور بتميُّزه وروعته».[٧٠]

هذه هي حاجتنا العظمى — أن تمتلئ أذهاننا وقلوبنا بوعيٍ بعظمة المسيح، وبمجده الذي لا مثيل له. وحين نفكِّر في عصر النرجسية الشديدة هذا الذي نعيش فيه، وكم أننا نُغوَى ونُحَث على التركيز على أنفسنا، يتردَّد صدى كلمات ماكين هذه في آذاننا عبر أروقة الزمن. نحتاج أن نأخذ هذه الكلمات على محمل الجد، وأن نعيرها انتباهنا الكامل كلَّ يوم.

ذكَرنا بالفعل أن واحدة من «النظرات» التي يمكن أن نلقيها على يسوع هي أن نراه بصفته نسل المرأة. يساعدنا الكتاب المقدس أيضًا على أن نراه بصفته المسيح. كلمة **المسيح** تعني «الممسوح». في العهد العتيق، كان ثلاثة أشخاص على وجه التحديد يُمسَحون لخدمة الله: النبي، والكاهن، والملك. هذه الأبعاد الثلاثة تُظهِر لنا بأشد وضوح كلًّا من شخص يسوع وعمله.

تدين الكنيسة بأسرها من نواحٍ عديدة لجون كالفن لأجل الشرح الذي قدَّمه عن أهمية هذه «الوظيفة الثلاثية».

في المقدِّمة التي كتبها كالفن عن هذا الموضوع في كتابه «**أُسُس الدين المسيحي**» (Institutes of the Christian Religion)، ذكر أن بعض معاصريه قد استخدموا ألقاب يسوع هذه

[70] Andrew Bonar, Memoir and Remains of Robert Murray M'Cheyne (1844; repr. Edinburgh: Banner of Truth, 1966), 293.

«ببرودة وبصورة عقيمة، إذ هم لا يدرون ما تعنيه أيٌّ من تلك الحقائق».[٧١] في كلماتٍ بسيطة، ربما نبرع في استخدام هذه التعبيرات، بل ونستخدمها على نحو ضليع، لكن مع ذلك تظل قلوبنا باردة بحيث يخفق تعليمنا في التعبير عن قوة الحق الذي نصفه. ينتهي بنا الحال إذن مفسِّرين مفاهيم، دون أن نوجه العيون إلى يسوع نفسه. ثمة أهمية، إذن، أن نستخدمها بصورة سليمة إن أردنا استخدام هذه الشبكة من المصطلحات كي نفهم المسيح.

سنتحدث في هذا الفصل عن يسوع بصفته النبي المُرسَل من السماء، وسنتأمل في هذا من أربع نواحٍ.

جرت العادة أن تُسمَّى أساسيات التعليم والتعلُّم باسم «the three R's» – نسبة إلى reading (القراءة)، writing (الكتابة)، arithmetic (الحساب). هذه الأساسيات هامة ولازمة كي نتمكن من أداء وظيفتنا في العالم. كذلك أيضًا، نستطيع أن نقول إنه توجد أربعة أشياء هامة ولازمة كي نتمكن من معرفة المسيح باعتباره نبيَّنا، ونستمتع بالشركة معه (وهي أربعة أشياء تبدأ في اللغة الإنجليزية بحرف «R»، ولذلك نستطيع تسميتها «the four R's»).

[71] John Calvin, Institutes of the Christian Religion, ed. J. T. McNeil, trans. Ford Lewis Battles (Philadelphia: Westminster, 1960), 2.15.1.

فإن وظيفة النبي:

١- لازمة (Required):

فإن حالتنا الساقطة تستلزم أن يكون يسوع نبيًّنا. استُخدِمت كلمة «لازمة» هنا في معناها الأساسي، وهو: «شيء ضروري لأجل تحقيق غرض معيَّن؛ ونعتمد عليه في النجاح أو في البقاء على قيد الحياة».

يحمل كلُّ لقب من ألقاب يسوع الثلاثة — نبي، وكاهن، وملك — في طياته قضاءً ودينونة علينا. فإن يسوع، كملك، يأتينا كي يُخضِع ويكبح عصياننا وتمردنا؛ وككاهن، يأتي كي يتولَّى أمر خطايانا. لكنه يأتينا كنبيٍّ كي يتولَّى أمر جهلنا.

كان الجهل الروحي هو السبب الذي دعا الله إلى إرسال أنبياء طوال التاريخ الكتابي — وأيضًا في النهاية إلى إرسال نبيَّه الحقيقي والنهائي، الرب يسوع.

فبعد خطية الإنسان الأولى، وسقوطه الذي تحدث عنه الأصحاح الثالث من سفر التكوين، رأى الله «أَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ».[٧٢] فقد انحرف قلب الإنسان وذهنه في الاتجاه الخاطئ.

وحين نتابع القراءة في الكتاب المقدس، نكتشف شيئًا آخر: أنه بسبب تمرُّدنا المتعمَّد، اندسَّت الحماقة إلى قلوبنا،

[٧٢] تكوين ٦: ٥.

فـزادت مـن التأثـير عـلى جهلنـا. يقـول كاتـب المزمـور: «قَـالَ ٱلْجَاهِـلُ فِي قَلْبِـهِ: «لَيْـسَ إِلَـهٌ»».[٧٣] وحـين نـأتي إلى العهـد الجديـد، مثـلًا في رسـالة رومية، ثـم أيضًـا رسـالة أفسـس، نجـد بولـس يؤكِّـد عـلى هـذا الحـق نفسـه:

بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ ٱلْغَبِيُّ.[٧٤]

إِذْ هُـمْ مُظْلِمُـو ٱلْفِكْـرِ، وَمُتَجَنِّبُـونَ عَـنْ حَيَـاةِ ٱللهِ لِسَـبَبِ ٱلْجَهْـلِ ٱلَّـذِي فِيهِـمْ بِسَـبَبِ غِلَاظَـةِ قُلُوبِهِـمْ.[٧٥]

إلى هـذا الوضـع المأسـاوي والمحـزِن مـن الجهـل الأخلاقـي والروحـي، جـاء المسـيح. ومـن خـلال خدمتـه النبويـة، كان ينبغـي أن يسـطع النـور داخـل ظلمتنـا. «فِيـهِ كَانَـتِ ٱلْحَيَـاةُ، وَٱلْحَيَـاةُ كَانَـتْ نُـورَ ٱلنَّـاسِ».[٧٦]

يرتعـب الأطفـال بالطبيعـة مـن الظـلام، ولهـذا يطلبـون مـن أبويهـم تـرك ضـوء غرفـة نومهـم مضـاءً. يـدلي تومـاس واطسـون (Thomas Watson)، التطهّـري البريطـاني، بتعليـق حكيـم في هـذا الشـأن. فقـد لاحـظ أننـا في حـين نـدرك المخاطر التـي تهدِّدنـا في الظـلام الطبيعـي، يبـدو أننـا لا نعـرف الخـوف في الظلمـة الروحيـة.

---

[٧٣] مزمور ١٤: ١؛ ٥٣: ١.

[٧٤] رومية ١: ٢١.

[٧٥] أفسس ٤: ١٨.

[٧٦] يوحنا ١: ٤.

لكـن الظلمـة الروحيـة لا يصاحبهـا رعـبٌ؛ فـإن البـشر لا يرتعـدون مـن حالتهـم، بـل يحبونهـا بمـا فيـه الكفايـة.[٧٧]

قطعًـا، يوضِّـح ويؤكِّـد هـذا مـا قالـه يوحنـا: «أَحَـبَّ ٱلنَّاسُ ٱلظُّلْمَـةَ أَكْـثَرَ مِـنَ ٱلنُّـورِ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُـمْ كَانَـتْ شِرِّيـرَةً».[٧٨] بـل إن هـذه الظلمـة — أي الظلمـة الداخليـة — تكـون شـديدة لدرجـة أن الشـخص نفسـه يصـير أعمـى عـن حقيقـة عـماه ذاتهـا! فهـو لا يعـي عنهـا شـيئًا إلا حـين يـأتي الـرب يسـوع فيكشـفها لـه. فبسـبب خطيتـه وحالتـه السـاقطة، فقـط بواسـطة نعمـة اللـه يكتشـف في النهايـة أنـه لا يوجـد طريـق عقـلي يـؤدي إلى اللـه. أبـدى مارتـن لوثـر ملاحظـة تقـول إن الإنسـان بطبيعتـه *incurvatus in se* — أي متمحـور حـول ذاتـه. ونتيجـة لهـذا، لا يتَّسـم منظـوره عـن العـالم بالحياديـة، بـل هـو منظـور مشـوَّه، ويتسـم بالتحيُّـز — مـن جهـة كل شيء. يقـول جـون كالفـن: «إن قلـب الإنسـان مصنع مسـتديمٌ للأوثـان».[٧٩] أو بكلـمات ويليـام تمبـل (William Temple): «إننـي في كل يـوم أضـع نفـسي في مركـز هـذا الكـون بـآلاف الطـرق والوسـائل».[٨٠]

---

[77] Thomas Watson, A Body of Divinity (1692; repr. Edinburgh: Banner of Truth, 1958), 169.

[٧٨] يوحنا ٣: ١٩.

[79] Calvin, Institutes, 1.11.8.

[80] Cited in James Philip, The Growing Christian (Ross-shire, UK: Christian Focus, 2010), 57.

داخل هذه الظلمة وهذا الجهل تكلَّم الله بواسطة الأنبياء «بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ».[٨١] وقد صَّرح الأنبياء بوضوح شديد وباستمرار بأن الله هو من كان يتكلَّم بواسطتهم، قائلين: «هذا ما يقوله الرب»، و«استمعوا إليَّ يا بيت يعقوب وبيت إسرائيل». على الشعب إذن أن يستمعوا إلى كلمة الرب. فقد «كانت نبوة العهد القديم وسيلة استخدم بها الإله المعصوم من الخطأ بشرًا غير معصومين من الخطأ كي يقدِّم كلمة معصومة من الخطأ لبشرٍ غير معصومين من الخطأ».[٨٢] وقد واجه هؤلاء الأنبياء معاصريهم بحماقة وبُطل عبادة الأوثان.

فإننا نجد إشعياء يتحدث بأشدِّ أسلوب لاذع، قائلًا:

> قَطَعَ لِنَفْسِهِ أَرْزًا وَأَخَذَ سِنْدِيَانًا وَبَلُّوطًا، وَٱخْتَارَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَشْجَارِ ٱلْوَعْرِ. غَرَسَ سَنُوبَرًا وَٱلْمَطَرُ يُنْمِيهِ. فَيَصِيرُ لِلنَّاسِ لِلْإِيقَادِ. وَيَأْخُذُ مِنْهُ وَيَتَدَفَّأُ. يُشْعِلُ أَيْضًا وَيَخْبِزُ خُبْزًا، ثُمَّ يَصْنَعُ إِلَهًا فَيَسْجُدُ! قَدْ صَنَعَهُ صَنَمًا وَخَرَّ لَهُ. نِصْفُهُ أَحْرَقَهُ بِٱلنَّارِ. عَلَى نِصْفِهِ يَأْكُلُ لَحْمًا. يَشْوِي مَشْوِيًّا وَيَشْبَعُ! يَتَدَفَّأُ أَيْضًا وَيَقُولُ: «بَخْ! قَدْ تَدَفَّأْتُ. رَأَيْتُ نَارًا». وَبَقِيَّتُهُ قَدْ صَنَعَهَا إِلَهًا، صَنَمًا لِنَفْسِهِ! يَخُرُّ لَهُ وَيَسْجُدُ، وَيُصَلِّي إِلَيْهِ وَيَقُولُ: نَجِّنِي لِأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهِي.

---

[٨١] عبرانيين ١: ١.

[82] John Blanchard, Major Points from the Minor Prophets (Carlisle, PA: Evangelical Press, 2012), 25.

لَا يَعْرِفُونَ وَلَا يَفْهَمُونَ لِأَنَّهُ قَدْ طَمَسَتْ عُيُونَهُمْ عَنِ ٱلْإِبْصَارِ، وَقُلُوبَهُمْ عَنِ ٱلتَّعَقُّلِ. وَلَا يُرَدِّدُ فِي قَلْبِهِ وَلَيْسَ لَهُ مَعْرِفَةٌ وَلَا فَهْمٌ حَتَّى يَقُولَ: «نِصْفَهُ قَدْ أَحْرَقْتُ بِٱلنَّارِ، وَخَبَزْتُ أَيْضًا عَلَى جَمْرِهِ خُبْزًا، شَوَيْتُ لَحْمًا وَأَكَلْتُ. أَفَأَصْنَعُ بَقِيَّتَهُ رِجْسًا، وَلِسَاقِ شَجَرَةٍ أَخُرُّ؟» يَرْعَى رَمَادًا. قَلْبٌ مَخْدُوعٌ قَدْ أَضَلَّهُ فَلَا يُنَجِّي نَفْسَهُ وَلَا يَقُولُ: «أَلَيْسَ كَذِبٌ فِي يَمِينِي؟»»[٨٣]

حين نقرأ هذا، نُغوَى بأن نقول لأنفسنا: «كان هذا منذ أمدٍ طويل، وقد تجاوزنا اليوم هذه الحماقة». لكن الحقيقة هي أننا لا زلنا نصنع آلهتنا الخاصة — دائمًا على صورتنا نحن. تتخذ هذه الآلهة التي من ابتكارنا الكثير من الصور المختلفة، لكن تجمع بينها جميعًا نظرة حلوليّة وجودية عن الواقع. «فإن جميعها، بشكل أو بآخر، تفترض أن الطبيعة تشمل وتحوي ما هو مقدَّس؛ كما تفترض أن وسيلة تواصلنا مع الله هي أن نجده داخل أنفسنا. فهو موجود في أعمق جزء من كياننا».[٨٤]

نُشِر مؤخرًا مقال في جريدتنا المحلية يصف روح عيد الميلاد بأنها احتفالٌ بالإيمان بوجود طاقة سرمدية! ونجد صورة شخصية متطرِّفة من فكرة اكتشاف هذه الطاقة

---

[٨٣] إشعياء ٤٤: ١٤-٢٠.

[84] David F. Wells, What Is the Trinity? Basics of the Faith (Philipsburg, NJ: P&R, 2012), 11.

بداخلنا في كتاب صدر في الثمانينيات من القرن العشرين بعنوان (*Habits of the Heart*).[٨٥] يعرِّفنا هذا الكتاب بشخصية شيلا لارسون، وهي ممرضة شابة ابتكرت ديانة خاصة بها، فيها يكون الله هو كلُّ ما يسدد احتياجاتها. وقد أطلقت على هذا «الإيمان»، دون أدنى خجل، اسم «الديانة الشيلاوية» (نسبة إلى اسمها).

علَّق ج. ك. تشسترتون (G. K. Chesterton) في فطنة على هذا النوع من التفكير، حين قال إنه بمجرد توقُّف الناس عن الإيمان بإله الكتاب المقدس، لن يؤمنوا بلا شيء — بل سيبدؤون في الإيمان بأي شيء!

لهذا نحتاج إلى نبي يستطيع أن يطيح بجهلنا من فوق العرش. وما لم نتحرّر من هذا الجهل بواسطة هذا النبي العظيم والحقيقي، سنمكث في الظلمة، وفي بُطل ذهننا.

٢- إعلانية (Revealed):

الكلمة الثانية هي — كما هو متوقَّع — هي كلمة «إعلانية». يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين: «ٱللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ ٱلْآبَاءَ بِٱلْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ ٱلْأَيَّامِ ٱلْأَخِيرَةِ فِي ٱبْنِهِ».[٨٦]

---

[85] Robert N. Bellah and Richard Madsen, Habits of the Heart: Individualism and Commitment in American Life (Berkeley, CA: University of California Press, 1985).

[٨٦] عبرانيين ١: ١-٢.

يشكِّل هذا الدور النبوي الإعلاني جزءًا حيويًّا من خدمة يسوع.

في حين كان موسى هو النبي الرئيسي الأول، إلا أنه تحدث عن نبي آخر عتيد أن يأتي: «يُقِيمُ لَكَ ٱلرَّبُّ إِلَهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ». وأيضًا: «قَالَ لِيَ ٱلرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنُوا فِي مَا تَكَلَّمُوا. أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ».[٨٧]

هذا وصف مثالي لخدمة ربِّنا النبويّة: جعل الله كلامه في فم يسوع، فتكلَّم يسوع بكل ما أوصاه به الآب. أيضًا تكمُن هذه الفكرة بالتأكيد وراء صلاة الرب كرئيس كهنة في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا. فقد كانت هذه الصلاة هي صلاة النبي العظيم:

> وَٱلْآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، لِأَنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِينًا أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي.[٨٨]

يتغلغل هذا التوقُّع بشأن خدمة المسيح هذه في كلِّ العهد القديم وصولًا إلى العهد الجديد. يعلِّق كالفن على

---

[٨٧] تثنية ١٨: ١٥-١٨.

[٨٨] يوحنا ١٧: ٧-٨.

هـذا قائـلًا إنـه «لطالمـا رسـخت في عقـول الأتقيـاء تلـك القناعة بأنهـم يجـب ألا يتوقعـوا أن يفهمـوا ذلـك التعليـم فهـمًا كامـلًا قبـل مجـيء المسـيا».[٨٩] انظـر، عـلى سـبيل المثـال، كيـف حمـل سـمعان الشـيخ الطفـل يسـوع بـين ذراعيـه في الهيـكل، قائـلًا: «لِأَنَّ عَيْنَـيَّ قَـدْ أَبْصَرَتَـا خَلَاصَـكَ ... نُـورَ إِعْـلَانٍ لِلْأُمَـمِ ...».[٩٠] فإنـه في تقـواه الشـديدة التـي تمثَّلـت في انتظـاره، كان ينتظـر تجسـيد وتتميـم الكلمـة النبويـة القديمـة.

نـرى الـشيء ذاتـه في حديـث يسـوع مـع المـرأة السـامرية التـي التقـى بهـا عنـد بـئر يعقـوب. فـإن هـذا التوقُّـع (كـما يقـول كالفـن أيضًـا) «قـد تجـاوز الأمنـاء، وتسـلَّل إلى أذهـان السـامريين».[٩١] فقـد كانـت المـرأة السـامرية تعـرف قـدرًا كافيًـا مـن اللاهـوت مكَّنهـا مـن أن تقـول ليسـوع: «فَمَتَـى جَـاءَ ذَاكَ [المسـيا] يُخْبِرُنَـا بِـكُلِّ شَيْءٍ».[٩٢] يـا لـه مـن تصريـح مذهـل مـن مصـدر غـير متوقَّـع تمامًـا! فهـوذا امـرأة سـامرية، كان لهـا مـن قبـل عـدة أزواج، والآن تعيـش مـع رجـل ليـس زوجهـا. وقـد التقـت بهـذا الرجـل اليهـودي الغريـب الجنـس عنـد البـئر، فـدار حديـث غـير مألـوفٍ بينهـما. أليـس هـذا لافتًـا للنظـر؟ وبينـما كان يسـوع يتحـدث إليهـا، أجابـت عـلى الفـور: «أَرَى أَنَّـكَ نَبِـيٌّ!». ثـم في أثنـاء الحـوار، حاولـت، عـلى مـا يبـدو، إنهاء

---

[89] Calvin, Institutes, 2.15.1.

[٩٠] لوقا ٢: ٣٠-٣٢.

[91] Calvin, Institutes, 2.15.1.

[٩٢] يوحنا ٤: ٢٥.

الحديث بإخبار هذا الغريب ببساطة بأن كلَّ شيء سيتضح حين يأتي المسيا. «لأنه متى جاء — سيصير كل شيء واضحًا وضوحًا مُطلَقًا». لكنها لم تكن تتوقع ردَّ يسوع: «أَنَا ٱلَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ».[٩٣] يتساوى ذهولها هنا مع ذهول الحاضرين في مجمع الناصرة بعد أن قرأ يسوع من إشعياء ٦١ ثم قال: «إِنَّهُ ٱلْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا ٱلْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ».[٩٤] فقد تعجَّب الجميع من كلماته!

كان أول وصف قاله معاصرو يسوع عنه هو أنه **نبيٌّ**. نرى هذا في جميع أنحاء الأناجيل. فبعد إشباع الخمسة آلاف مباشرة، كانت الكلمات التي ترددت على شفاه الجميع هي: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِٱلْحَقِيقَةِ **ٱلنَّبِيُّ** ٱلْآتِي إِلَى ٱلْعَالَمِ!»[٩٥]

وحين أوقف يسوع موكبًا جنائزيًا خارج قرية نايين كي يقيم الشاب الميت، ويعيده إلى أمه. كان رد فعل الشعب هو: «قَدْ قَامَ فِينَا **نَبِيٌّ عَظِيمٌ**».[٩٦]

وحين جاء نيقوديموس، ذلك الفريسي واسع الاطلاع وشديد التديُّن، إلى يسوع متسترًا بالظلام، كي يطرح عليه بعض الأسئلة، قال له: «نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ ٱللهِ

---

[٩٣] يوحنا ٤: ٢٦.

[٩٤] لوقا ٤: ٢١.

[٩٥] يوحنا ٦: ١٤.

[٩٦] لوقا ٧: ١٦.

مُعَلِّمًا». بمعنى آخر، «أرى أنك **نبي**».[٩٧] ولاحقًا، حين سأل يسوع تلاميذه: «ما هو الكلام الذي يقال عني في الخارج؟ «مَنْ يَقُولُ ٱلنَّاسُ إِنِّي أَنَا» كان أحد الردود الأولى هو: «وَآخَرُونَ ... **وَاحِدٌ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ**».[٩٨]

صدَّق يسوع على هذه التسمية — لكنه أراد أن تُفهَم بطريقة صحيحة، لأنها لم تكن كذلك. فعلى سبيل المثال، بعد أمسية مجمع الناصرة، استشعر يسوع رد الفعل العدائي للشعب، فقال: «لَيْسَ **نَبِيٌّ** مَقْبُولًا فِي وَطَنِهِ».[٩٩]

ولاحقًا قال إنه لَا يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ.[١٠٠]

نحتاج إلى نبيٍّ بسبب جهلنا. إن يسوع هو نفسه نبي، بل هو بالحقيقة النبي **الوحيد** الذي نحتاجه.

٣- مُدرَكة (Recognized):

يصحبنا هذا إلى مرحلة أبعد مِن «الإعلان». فبشكل أساسيٍّ، ينبغي أن يُعرَف يسوع ويُدرك، ليس فقط بصفته رسولًا جاء بإعلانٍ من الله، بل بصفته **المصدر** نفسه لذلك الإعلان. فإن يسوع ليس المُعلِن فحسب، بل **هو الإعلان ذاته!** لهذا السبب كانت الهمهمة التي انتشرت في أنحاء المدينة بعد الكلمات التي قالها في مجمع الناصرة

[٩٧] انظر يوحنا ٣: ١-٢.

[٩٨] انظر متى ١٦: ١٤.

[٩٩] لوقا ٤: ٢٤.

[١٠٠] لوقا ١٣: ٣٣.

هي: «أَلَيْسَ هَذَا ٱبْنَ يُوسُفَ؟ من يظن نفسه حتى يقرأ الكتب المقدسة بهذه الطريقة؟ مَن يظن نفسه حتى ينصِّب نفسه معلِّمًا؟ من هو هذا الرجل الذي ظلت أعيننا شاخصة إليه وكأنه مغناطيس؟ من هو هذا الذي يقول «إِنَّهُ ٱلْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا ٱلْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ»؟»[١٠١]

ثم لاحقًا، وكما قرأنا في الفصل الأول، حدث الشيء نفسه مرة أخرى في الطريق إلى عمواس. لم يكن لدى التلميذين خائبَي الآمال أدنى فكرة عن أنهما كانا يكلِّمان ذاك الذي قام من الأموات. ولهذا السبب، في أثناء حديث يسوع معهما، وبَّخهما برفق، قائلًا:

«أَيُّهَا ٱلْغَبِيَّانِ وَٱلْبَطِيئَا ٱلْقُلُوبِ فِي ٱلْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ٱلْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ ٱلْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟». ثُمَّ ٱبْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ ٱلْأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا ٱلْأُمُورَ ٱلْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ ٱلْكُتُبِ».[١٠٢]

هل كان بإمكان أيِّ نبي من الأنبياء الآخرين أن يقول هذا؟ فقد كان يسوع وحده هو التجسيد لكلِّ ما قاله الأنبياء سابقًا. كان يسوع هو الوحيد القادر أن يُمسِك بالكتب المقدسة، ويفتحها قائلًا: «أترون؟ هذا السفر يدور حولي. بل إن هذا الكتاب ككلٍّ هو عني!»

---

[١٠١] انظر لوقا ٤: ١٦-٢٢.

[١٠٢] لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧.

وفيما كان يسوع يفسِّر لهما الكتب، انفتحت أعينهما. فقد استمعا إلى شرح وتفسير دقيق للكتب، واختبرا استنارة لأذهانهما، واكتشفا حماسًا وشغفًا جديدًا — أي لهيب نار — بزع داخل قلبيهما؛ وحينئذ عرفاه **وأدركاه!**

فَٱنْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ ثُمَّ ٱخْتَفَى عَنْهُمَا، فَقَالَ بَعْضُهُمَا لِبَعْضٍ: أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا فِي ٱلطَّرِيقِ وَيُوضِحُ لَنَا ٱلْكُتُبَ؟[١٠٣]

فعل يسوع الشيء ذاته في ظهوره التالي للتلاميذ. فقد جاء لا كي يفتح، أي يوضح، الكتب فحسب، بل أيضًا كي يفتح القلوب، فقد «فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا ٱلْكُتُبَ. وَقَالَ لَهُمْ: هَكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهَكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ ٱلْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ ...».[١٠٤] كان يسوع بهذا يقول: «هذا هو ما كُتب آنذاك، وما حدث الآن فيَّ هو التتميم لكلِّ شيء». كان كلُّ هذا جزءًا من خطة إعداده لهؤلاء التلاميذ ليخرجوا بقوة روح الله، ويكرزوا بالحق المتجسِّد فيه بصفته نبي الله النهائي والأخير.[١٠٥]

إذن، تُعَد وظيفة يسوع النبوية لازمة للقضاء على جهلنا. وهي **إعلانية** في يسوع نفسه. وهي **مُدركة** في كل ملئها في ختام خدمته على الأرض.

---

[١٠٣] لوقا ٢٤: ٣١-٣٢.

[١٠٤] لوقا ٢٤: ٤٥-٤٦.

[١٠٥] انظر لوقا ٢٤: ٤٦-٤٩.

لكـن يلـزَم أن نخطـو خطـوة إضافيـة إن أردنا أن نسـتوعب بالكامـل معنـى أن يكـون يسـوع نبيًّا. تصـف الجوانـب الثلاثـة الأولى أعـلاه عمـل يسـوع **المُكتمِـل**، وخدمتـه المُتمَّمـة. لكـن هنـاك جانـب رابـع — وهـو عملـه **الـذي لم يكتمـل بعـد**. فـإن الـرب يسـوع لا يـزال يخـدم كنبـيٍّ للـه.

٤- تُستكمَل (Realized):

ينبغـي أن تُسـتكمَل خدمـة يسـوع النبويـة — لكـن كيـف؟ مـن خـلال الكـرازة وتعليـم الكتـاب المقـدس. فقـد اسـتمرت خدمـة المسـيح النبويـة مـن خـلال خدمـة الكـرازة والتعليـم التـي قـام بهـا الرسـل. لكـن ينطبـق هـذا أيضًـا عـلى كافـة الكارزيـن الذيـن خلفـوا هـذه السـلطة الرسـولية في الصـف، وأُفـرِزوا باعتبارهـم عطايـا المسـيح الصاعـد إلى السـماء. وتقتـضي مهمتهـم المسـتمرة أن يقدِّمـوا الكتـب المقدسـة إلى أذهـان الحمقـى والجهـال في زمانهـم وجيلهـم.

إن أخفقنـا في فهـم هـذا، تصـير كلٌّ مـن كرازتنـا واسـتماعنا إلى الشـهادة الكتابيـة عـن المسـيح إذن مفلِسـة وضعيفـة. مـرة أخـرى، قـدم لنـا كالفـن مسـاعدة في هـذا الشـأن، حـين قـال عـن يسـوع إن:

مسـحَه هـذا لم يكـن لأجـل نفسـه فقـط ليقـوم بـدور المعلِّـم، بـل مـن أجـل جسـده كلِّـه، كيـما تظهـر قـدرة الـروح القـدس مـن خـلال الكـرازة المسـتمرة بالإنجيـل.[١٠٦]

[106] Calvin, Institutes, 2.15.2.

إذن، لا تقدِّم خدمة المسيح النبوية الحالية أية أفكار غريبة، أو عجيبة، أو جديدة من محض الخيال. بل تكمُن هذه الخدمة في فتح وتوضيح الكلمة، وفي المناداة بالإنجيل، وفي الكرازة بالمسيح. هذه هي الوسائل التي نرى من خلالها — أو ربما من الأفضل أن نقول إننا نسمع من خلالها — العمل النبوي المستمر للمسيح. وهذا هو ما قصده بولس حين كتب لأهل كورنثوس هذه الكلمات: «إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ ٱلْمَسِيحِ، كَأَنَّ ٱللهَ يَعِظُ بِنَا».[١٠٧] هل كان الله يعظ به هو؟ وبتيموثاوس؟ وبتيطس؟ ألا يعني هذا ضمنًا أنه يعظ بنا نحن أيضًا؟ إن الله يعظ بنا!

في ختام خدمة يسوع على الأرض، قال لتلاميذه: «أريدكم أن تخرجوا من هنا إلى العالم، وتكرزوا بالإنجيل. لكن اسمعوا هذا جيدًا: ها أنا معكم كلَّ الأيام».

كان هؤلاء الرجال ذاهبين لمواجهة عالم معادٍ، وهم على دراية شديدة بمحدوديتهم، وهشاشتهم الشخصية، وعدم فاعليتهم. ولهذا قطع يسوع لهم وعدًا يقينيًّا ثابتًا: «سأكون معكم هناك. فقد ارتفعت عن الأرض مرة على الصليب، وسأرتفع مرة أخرى بواسطة شهادتكم، لأجذب إليَّ الجميع».[١٠٨]

---

[١٠٧] ٢ كورنثوس ٥: ٢٠.

[١٠٨] انظر يوحنا ١٢: ٣٢.

تنطوي مهمة الكرازة بالإنجيل على الشهادة ببساطة ووضوح عن المسيح. كما تنطوي على التحدث عن شخصه وعما فعله في التاريخ، مع توضيح معنى ودلالة موته، ومعجزة قيامته من الأموات، وحقيقة صعوده إلى السماء، وغير ذلك. وقد وعَد المسيح بأنه سيكون حاضرًا في هذه الخدمة المستمرة لكلمة الله، وبأنه سيظل يتكلم. لكن سنحتاج أن نقول المزيد عن هذا في الفصل الثالث.

الشغف والحماس:

هناك فرق شاسع بين نقل معلومات للآخرين، على نحو يمكن أن يكون باردًا وعقيمًا، والكرازة والشهادة الحقيقية.

كان صديق قديم لنا يقود سيارته ذات مرة في شمال إسكتلاندا، وكان برفقته الأستاذ الراحل جون موراي (John Murray)، الذي كان من أبناء وطننا، وكان معلِّمًا في كلية وستمنستر للاهوت بمدينة فيلادلفيا. وقد قرر الأستاذ موراي أن يحوِّل هذه الرحلة إلى امتحانٍ صغير! فطرح سؤالًا: «تُرى ما الفرق بين المحاضرة والكرازة أو الوعظ؟»

حاول صديقنا جاهدًا أن يعطي إجابة جيدة، لكن لم ترضِ الأستاذ موراي أية إجابة.

وحين استسلم صديقنا أخيرًا، قال: «حسنًا يا أستاذ موراي، ما هي الإجابة؟ ما الفرق بين المحاضرة والكرازة أو الوعظ؟»

أجابه جون موراي: «هذا هو الفرق ببساطة: الكرازة هي مناشدة شخصية بحماسٍ وشغفٍ».

حينئذ أجاب صديقنا: «لكن ما هي المناشدة الشخصية بحماس وشغف؟»

في سرعة البرق، أجابه الأستاذ موراي، مستعيرًا كلمات بولس: «نَطْلُبُ [المترجم: أو «نتوسل إليكم» (implore you) بحسب الترجمة الإنجليزية] عَنِ ٱلْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ ٱللهِ».[١٠٩]

هذا هو كلُّ ما في الأمر!

لا يقتصر هذا على كرازة المنبر أو على الكرازة في حدث علني ضخم، لكنه ينطبق على كرازة متجر البقالة، وملعب الجولف، والمقهى. فأينما نكلِّم الآخرين عن الرب يسوع، بقوة الله، وعن وعي بأن المسيح نفسه هو النبي العظيم لله، فإننا نقول — بتعبيرنا الشخصي — «أناشدكم وأتوسل إليكم أن تتصالحوا مع الله. اقبلوا المصالحة التي أتاحها لكم». وحين يبدأ عمل الله، يقول الناس: «لم أكن أعلم شيئًا عن هذا! أخبرني بالمزيد». وحينئذ نستطيع أن نجيبهم: «حسنًا إذن، يُسرُّني أن أحدِّثك عن هذا؟ دعني أخبرك بالقصة». وهكذا إذن، تتاح لنا الفرصة كي نتكلَّم إلى ظلمة عقولهم، وبُطل ذهنهم.[١١٠]

ينبغي أن نفعل هذا كأدوات متَّضعة في يد خدمة المسيح المستمرة. استمع مرة أخرى إلى كلمات جون كالفن في هذا الشأن:

---

[١٠٩] ٢ كورنثوس ٥: ٢٠.

[١١٠] رومية ١: ٢١.

> حتى إن الذين لم يرضِهم مضمون البشارة، فباتوا يلصِقون بها ما هو دخيل عليها، ينتقصون من سلطة المسيح.[١١١]

علينا أن نحذر جيدًا من هذا الخطر! لماذا قال كالفن «ينتقصون مِن سلطة المسيح»؟ لأن ما يقدَّم إلى أذهاننا من خلال هشاشة ووهن الأدوات التي يختار الله أن يستخدمها هي كلمة المسيح النبوية — الموجودة في الكرازة وتعليم الكتاب المقدس.

ننال من هذا إذن تشجيعًا ضخمًا. فإن لم يكن الأمر كذلك، لما عرفنا بالحقيقة مَن يفعل ماذا، أليس كذلك؟ لكن حين نكون على دراية بالحق القائل إن الله قد وضع هذا الكنز في «أوانٍ خزفية»،[١١٢] سنقول: «حسنًا، لا بد أن الله هو مَن يفعل هذا!» استمع إلى ما يقوله كالفن عن هذه الفكرة:

> فهو يتنازل ويقدِّس أفواه البشر وألسنتهم لخدمته، جاعلًا صوته يُسمَع فيهم. وكلما سُرَّ الله بمباركة تعبهم، يعطي فاعلية لتعليمهم بقوة روحه، فيصير الصوت الذي هو في ذاته فانٍ أداةً لنقل الحياة الأبدية.[١١٣]

---

[111] Calvin, Institutes, 2.15.2.

[١١٢] ٢ كورنثوس ٤: ٧.

[١١٣] مقتبس في المصدر التالي:

James Philip, Pulpit and People, ed. M. Cameron and S. Ferguson (Edinburgh: Rutherford House, 1986), 13.

استخدم جيمس س. ستيوارت (James S. Stewart)، في محاضرات مؤسسة ليمان بيتشر (Lyman Beecher)، التي أُلقيت في جامعة ييل، تعبيرًا رائعًا. فقد قال إن الرسل ضربوا شوارع أورشليم «برياح فوق طبيعية».[١١٤] **رياح فوق طبيعية!** لم يكن يقصد بهذا تلك الظواهر العجيبة وغريبة الأطوار التي نراها في البرامج الدينية التي تُعرَض على التلفاز، بل كان يتحدث عما لا بد أن بطرس قد شعر به في يوم الخمسين.

كان بطرس يعلَم جيدًا مدى اقترابه في وقت سابق من حافة الإخفاق التام؛ لكنه وجد نفسه في يوم الخمسين محاطًا بأبناء أمته بالإضافة إلى زائرين من الخارج. وهناك وقف بطرس — في شوارع أورشليم نفسها التي شهدت ركوضه منذ بضعة أسابيع للاختباء، بعد أن أنكر حتى أنه يعرف يسوع. لكنه الآن كان يخاطب الجموع في بسالة وجرأة، وفي فهم واضح لرسالة الكتاب المقدس التي هي ببساطة رائعة ومذهلة. وفي ذلك اليوم اعتمد ثلاثة آلاف شخص! نعم! قد هبَّت في ذلك اليوم «رياح فوق طبيعية»، وأصابت هدفها.

أليس هذا هو ما من المفترض أن يحدث؟

---

[114] James S. Stewart, A Faith to Proclaim: The Lyman Beecher Lectures at Yale University (London: Hodder & Stoughton, 1966), 45.

نقتبس هنا كلمات دونالد ماكولو (Donald McCullough)، التي تقول: «حين يُكرَز بالإنجيل ... يتمشَّى المسيح بنفسه بين شعبه؛ ففي كل مرة، تُصنَع معجزة ميلاد المسيح مرة أخرى: يتسربل المسيح بالناسوت، رافضًا لغة الملائكة، حتى يتكلم من خلال ألسنة البشر الفانين».[١١٥]

يلزم أن نقول شيئين إضافيين هنا كتطبيق.

الثقة الباسلة:

إن قبلنا كلَّ هذا، وسجدنا أمام حقيقة خدمة المسيح النبوية، ثم وقفنا على أقدامنا متأهِّبين لخدمة الرب، سيحدث شيءٌ ما. فإننا سنُعطَى شعورًا بالثقة واليقين، الذي يستمد عزيمته من الله، والذي سيتيح لنا أن نتحلى بالشجاعة في وجه جميع التحديات التي تواجهنا في أيامنا هذه. فهو سيجعلنا بواسل كفاية — لا طنانين ومتحذلقين، بل بواسل كفاية — كي نكون أمناء من نحو ربنا، ومن نحو إرساليته، على الرغم من كلِّ تعدديّة وتوفيقيّة بين الأديان والمعتقدات موجودة في مجتمعنا.

سيمدُّنا هذا بالشجاعة حتى نقول إنه ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن يخلُصوا.[١١٦] وحينئذ لن يصيبنا الحرج أو الخجل من قول يسوع: «أَنَا هُوَ ٱلطَّرِيقُ وَٱلْحَقُّ وَٱلْحَيَاةُ ...»، ولن نختم الجملة عند

[115] Donald McCullough, The Trivialization of God: The Dangerous Illusion of a Manageable Deity (Colorado Springs, CO: NavPress, 1995), 127.

[١١٦] أعمال الرسل ٤: ١٢.

هـذا الحـد، بـل سـنكون عـلى اسـتعداد أن نكمِـل تصريـح يسـوع القائـل: «... لَيْـسَ أَحَـدٌ يَـأْتِي إِلَى ٱلْآبِ إِلَّا بِي».[١١٧] كـما لـن تُخجِلنـا الطابـع الحـصري (exclusivism) في خـلاص المسـيح — أي أنـه هـو وحـده الطريـق إلى اللـه، والوسـيط الوحيـد بـين اللـه والنـاس، وسـنتحلى بالشـجاعة كي نخـبر الآخريـن عنـه لأننـا نعلـم أنـه «يَقْـدِرُ أَنْ يُخَلِّـصَ أَيْضًـا إِلَى ٱلتَّـمَامِ ٱلَّذِيـنَ يَتَقَدَّمُـونَ بِـهِ إِلَى ٱللـهِ».[١١٨]

فإننا نحصل من هذا على بسالة وجرأة وفيرة.

في القـرن السـادس عـشر، شـدَّد جـون نوكـس (John Knox) الرعـاة الإسـكوتلنديين بتذكيرهـم بأنـه حـين تُسـمَع الكلمـة النبويـة في شرح وتقديـم النـص الكتـابي، «يلتقـي مَـنْ سَـلَكَ فِي ٱلطَّرِيـقِ، حَتَّـى ٱلْجُهَّـالُ، بإلههـم في الكتـاب المقـدس، ويسـمعون صوتـه، ويأخـذون وعـوده، وتعزياتـه، وتوبيخاتـه بمحمـل شـخصي ومبـاشر عـلى أنفسـهم، ويفهمـون مـن الـكلام مـا يكفـي حتـى يقبلـوا، بالإيمـان، الخـلاص».[١١٩]

تعاطُف حقيقي:

لكـن إلى جانـب هـذه الجـرأة والبسـالة، هنـاك نتيجـة أخـرى تـأتي مـن اقتناعنـا بـأن المسـيح هـو نبينـا الحقيقـي، وهـي: **التعاطـف** — التعاطـف الـذي يحرِّكنـا ونحـن ننشـد

---

[١١٧] يوحنا ١٤: ٦.

[١١٨] عبرانيين ٧: ٢٥.

[١١٩] مقتبس من المصدر التالي:

Philip, Pulpit and People, 12.

كلـمات الترتيلـة القديمـة التـي تقـول:

أنقذوا الهالكين، اهتموا بالمحتضرين؛	Rescue the perishing, care for the dying,
اختطفوهم في شفقة من الخطية والقبر؛	Snatch them in pity from sin and the grave;
نوحوا على الخطاة، وارفعوا الساقطين،	Weep o'er the erring one, lift up the fallen,
أخبروهم عن يسوع، القادر أن يخلِّص.	Tell them of Jesus, the mighty to save.[120]

يبـلي البعـض منـا بـلاءً حسـنًا في الجـرأة والبسـالة، لكـن ليـس في التعاطـف والشـفقة. فإننـا ننجـذب إلى جميـع النصـوص التـي تُظهِـر بسـالة، بينـما نشـيح بأنظارنـا عـن دعـوة الإنجيـل إلى إظهـار تعاطـف حقيقـي.

نحتـاج أن نتذكـر بسـالة يسـوع وجرأتـه. فإنـه هـو المسـيح الـذي أكلتـه غـيرة بيـت أبيـه في الهيـكل؛ وهـو المسـيح الـذي طـرد الباعــة والصيارفــة لأنهــم جعلــوا بيــت أبيــه ســوق تجاريـة.[121] وهـو المسـيح الـذي ثبَّـت وجهـه ليذهـب إلى أورشـليم وإلى الصليـب — دائمًـا كي يتمِّـم عمـل أبيـه.

لكـن ينبغـي ألا تغيـب عـن أنظارنـا البتـة حقيقـة أنـه بعـد أن رتَّـل يسـوع مزامـير المصاعـد[122] مـع الحُجَّـاج الآخريـن إلى

[120] Fanny Crosby, "Rescue the Perishing," 1869.

[121] يوحنا ٢: ١٣-١٧.

[122] المزامير ١٢٠-١٣٤.

أورشليم، بلغ أورشليم، فهتف قائلًا:

يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكِ كَمَا تَجْمَعُ ٱلدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا![١٢٣]

حين نُقِرُّ بيسوع النبي الحقيقي، الذي يمارس خدمته في بسالة شفوقة ومترائفة، حينئذ قد نتعلَّم كيف نتحلَّى ببسالة هو مصدرها، على الرغم من ضعفنا الطبيعي؛ وكيف نُبدِي شفقة وتعاطفًا هو مصدرهما، على الرغم من أنانيتنا الطبيعية، فنقول: «يا كليفلاند، يا كليفلاند! يا كولومبيا، يا كولومبيا! يا جلاسكو، يا جلاسكو! — أو أية مدينة أخرى تعيش بها.

فيما تبدأ الآن خدمة المسيح في التكشُّف تدريجيًّا أمامنا، نرى أنَّ لقب «نبي» غير كافٍ للتعبير جيدًا عن روعة شخصه وعمله. ولهذا السبب ينبغي ألا نراه باعتباره نبيًّا إلا إن كان هذا داخل إطار **وظيفته الثلاثية**. ينبغي ألا تنفصل خدمته النبوية البتة عن وظيفتيه الأخريين، وكأنه يمكننا بشكل أو بآخر أن نرى المسيح نبيًّا بمعزل عن كونه أيضًا كاهنًا وملكًا. يجمع نيوتن هذه الوظائف الثلاثة معًا في ترتيلته بعنوان (How Sweet the Name of Jesus Sounds) [ما أحلى وقع اسم يسوع!]:

---

[١٢٣] متى ٢٣: ٣٧.

يا يسوع، الراعي، والزوج، والصديق	Jesus, my shepherd, husband, friend
النبي، والكاهن، والملك.	My prophet, priest and king
ربي، وحياتي، وطريقي، وغايتي	My Lord, my life, my way, my end
تقبَّل الحمد الذي آتي به إليك.	Accept the praise I bring.

ينبغـي الآن أن نمـضي قُدُمًـا كي نتحـدث عـن المسـيح بصفته كاهنًـا وملكًا.

الفصل الثالث
يسوع المسيح،
رئيس الكهنة العظيم

في بعض الأحيان — وخاصة في الولايات المتحدة — يخترق الناس عن غير قصد مساحتنا الشخصية قليلًا طارحين هذا السؤال: «هل لديك آية تتخذها شعارًا لحياتك؟» ونحن نفهم جيدًا أنهم يقصدون هذا: «هل هناك نص معيَّن في الكتاب المقدس لطالما كان مُوجِّهًا لك طوال حياتك المسيحية؟»

يبدو البعض شديدي الجرأة بطرحهم هذا السؤال، حتى أننا في بعض لحظات التخيُّل الجامح نتصورهم يخترقون الجموع، متَّجهين مباشرة صوب الرسول بولس، سائلين إياه: «إذن، يا بولس، هل لديك آية تتخذها شعارًا لحياتك؟»

هل تعتقدون أنه كان سيجيبهم قائلًا: «ألم تقرأوا رسائلي؟»

لكـن ربمـا يكـون النـص الكتـابي الأقـرب إلى أن يكـون «شـعار حيـاة» بولـس هـو نـص فيلبـي ٣: ٨ القائـل:

إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي.

بكلـمات بسـيطة، كان بولـس يقـول: «أريـد أن أعـرف المسـيح».

لم يكـن هـذا مجـرد اختبـار شـخصي، لأن بولـس يفـترض أن هـذا لا بـد أن يكـون اختبـار حيـاة كل مؤمـن. فقـد تابـع حديثـه قائـلًا:

فليفكِّـر بهـذه الطريقـة جميـع الذيـن يظنـون منكـم أنهـم مؤمنـون ناضجـون وكاملـون. وَإِنِ ٱفْتَكَرْتُـمْ شَـيْئًا بِخِلَافِـهِ، سـيعيدكم اللـه بنعمتـه مـرة أخـرى إلى هـذا الفكـر.[١٢٤]

هـذه هـي القناعـة التـي تحـرك كلَّ فصـلٍ مـن فصـول هذا الكتـاب. إذن، بعـد أن رأينـا مـا يعنيـه أن يكـون المسـيح نبيًّـا، سـنتجه الآن إلى التأمـل فيـما يعنيـه أن يكـون كاهننـا.

إن لقـب «الكاهـن» هـو اللقـب الوحيـد ليسـوع الـذي تـم فعليًّـا تخصيـص سـفر كامـل في العهـد الجديـد لشرحـه وتفسـيره — وهـي الرسـالة إلى العبرانيـين.

لا نعلَـم هويـة كاتـب الرسـالة إلى العبرانيـين؛ لكـن يصفهـا الكاتـب بأنهـا كلمـة وعـظ أو كلمـة تشـجيع.[١٢٥] وإن محـور

[١٢٤] انظر فيلبي ٣: ١٥.

[١٢٥] عبرانيين ١٣: ٢٢.

هـذا الوعـظ هـو حـث الكاتـب إيّاهـم عـلى أن «يلاحظـوا يسـوع»،[١٢٦] و«ينظـروا إلى يسـوع»[١٢٧] — وعـلى وجـه الخصوص أن يـروه باعتبـاره رئيـس كهنتنـا.

مواجهة المحن:

لماذا شكَّل هذا أهمية لدى هؤلاء العبرانيين؟

قـاسى هـؤلاء العبرانيـون المحـن ذاتهـا التـي قاسـاها بولـس حـين صـار مسـيحيًّا.

أولاً، حُـرِم هـؤلاء مـن حقوقهـم الطبيعيـة أو مـن ميراثهـم الشرعـي. فقـد «خـسروا كلَّ الأشـياء».[١٢٨] لا بـد أن هـذا كان مصـير الكثـير مـن اليهـود الذيـن آمنـوا بـأن يسـوع هـو المسـيَّا. وإلى يومنـا هـذا، حـين يصـير فـردٌ مـن عائلـة يهوديـة محافظـة وصارمـة مسـيحيًا، قـد يُحـرَم حرفيًـا مـن ميراثـه الشرعـي.

يبـدو واضحًـا إذن أن الكثـير مـن هـؤلاء المؤمنـين الجُـدُد قـد عانـوا مـن حرمـان ومـن خسـائر ماديـة فادحـة نتيجـة إيمانهـم بالمسـيح.[١٢٩] لم يقتـصر الأمـر عـلى **حرمـان شـخصي مـن المـيراث الشرعـي**، لكنهـم أيضًـا عانـوا مـن **الإقصـاء** الاجتماعـي والروحي.

ضـع نفسـك مـكان هـؤلاء. فإنـك مواطـنٌ مسـتقيم وملتـزم بالقانـون؛ تعيـش في مدينـة ممفيـس، أو كولومبيـا، أو كليفلانـد، أو إدينـبرغ، أو لنـدن، أو في أي مـكان آخـر. لكـن لأنـك كرسـت

[١٢٦] عبرانيين ٣: ١.

[١٢٧] عبرانيين ١٢: ٢.

[١٢٨] فيلبي ٣: ٨.

[١٢٩] عبرانيين ١٠: ٣٢-٣٤.

حياتك ليسوع المسيح، حُرِمت من حقوقك الطبيعية أو من ميراثك الشرعي. ما الذي يترتب تلقائيًّا على هذا؟ يترتب على هذا أن تصير «شخصًا غير مرحَّب به» (*persona non grata*) في كافة المؤسسات، والنوادي الاجتماعية، والشبكات، والدوائر الاجتماعية للأصدقاء (ومدارس الأبناء!)؛ تلك الدوائر التي شكلَّت نسيج حياتك. صار كل هذا الآن محظورًا عليك. فقد أقصيتَ عن عائلتك وعن مجتمعك.

أضف إلى هذا أيضًا مكان العبادة الذي كنت ترتاده منذ الطفولة، حتى ترسَّخ أعضاؤه، وخدماته، واحتفالاته، وأناشيده، وعبادته الجماعية، وكافة أنشطته عميقًا داخل كيانك. لكن الآن فقط، حين لم تَعُد تستطيع التواجُد هناك، صرت تدرك مدى تشكيل هذه الأشياء لهويتك. لم يُعُد الآن مرحَّبًا بك هناك؛ ولم تعد جزءًا من تلك الكنيسة التي لا زالت قائمة كتذكار للمجتمع الذي أنشأك، والهوية التي كنت تحملها سابقًا باعتبارك جزءًا منه. وفي المقابل، صرتَ الآن تلتقي مع بعض الأشخاص الآخرين في منزل أحد الأصدقاء. مضت جميع الأشياء التي اعتدتَ قبلًا الاستمتاع بها — والتي كانت فيما سبق «ذات مغزى» كبير بالنسبة لك — كالطقوس، والقساوسة المسؤولين، والعبادات الجماعية، والموسيقى، وجماعات العابدين، والحشود الضخمة، وأيام الاحتفالات الخاصة. والآن صرتم تلتقون في منزل أحدهم، حتى أنه ليس لديهم بيانو!

كان هـذا هـو حـال القـراء الأصليـين لرسـالة العبرانيـين. فإن عبادتهـم لم تَعُـد متصلـة بفخامـة الهيـكل، والجوقـة الجماعيـة، واللحظـات الخاصـة. لم تعـد أعينهـم تقـع عـلى رئيـس الكهنـة — الرجـل الوحيـد الـذي كان مسـموحًا لـه، مـرة واحـدة في السـنة، في يـوم الكفـارة، بدخـول قـدس الأقـداس كي يسـأل غفـران اللـه عـن الشـعب. ولم يعـودوا ينتظـرون ظهـوره مـن جديـد، رافعًـا يديـه ناطقًـا بكلـمات البركـة الهارونيـة الشـهيرة، مطمئنًـا إيّاهـم بـأن لهـم بركـة مـن الـرب وسـلامًا لأن «عنـده المغفـرة». فـإن هـذا الوعـي المنظـور بـأن خطاياهـم قـد سُـتِرت مـرة أخـرى، وبـأن وجـه اللـه يبتسـم لهـم باعتبارهـم شـعب العهـد — كل هـذا قـد مـضى، بـلا رجعـة إلا إذا ...

إغواءٌ بالرجوع:

إلا إذا ماذا؟

إلا إذا رجعوا إلى كلِّ هذا.

فقد أُغوِي البعض منهم بالرجوع.

ربمـا تذهـب إلى كنيسـة محبَّبـة بشـدة لـدى جميـع أعضائهـا، ومركـز العبـادة فيهـا هـو اللـه، ووعظهـا كتـابي، والشركـة مليئـة بالاهتـمام والرعايـة، والرؤيـة لأجـل الإرسـاليات إلى العـالم قويـة وصلبـة، وفيهـا تسـدَّد الاحتياجـات الروحيـة للرعيَّـة. وقـد كان لديـك أصدقـاء تسـبَّبت ظـروف عملهـم في انتقالهـم إلى موضـع آخـر؛ وهـم الآن يبحثـون عـن كنيسـة جديـدة كي ينتمـوا إليهـا. لكـن كلـما حادثتهـم عـلى الهاتـف،

وسألت عن أحوالهم، تجدهم يقولون: «نحن بخير، عدا أن ....، يا ليتنا نعود مرة أخرى إلى كنيستنا القديمة؛ فإننا نعجز عن العثور هنا على شيء نظيرها!»

كان هذا هو حال القراء الأصليين لرسالة العبرانيين. ففي الماضي، كانوا يستطيعون أن يروا، ويلمسوا، بل وأن يشُمُّوا خدمات العبادة — والصحبة الرائعة من الشعب، والموسيقى، وسائر الجوانب المجيدة الأخرى لعبادة العهد القديم التي أعطاها الله. والآن قد مضى كل هذا.

لكن هل مضى كل هذا بالفعل — مقابل لا شيء؟

ماذا كان الحل؟ وكيف يمكن لكاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يكتب شيئًا يشجِّعهم به في هذا الوضع؟ صاغ الكاتب ردَّه كالتالي:

> لا تتراجَعوا. وإن كنتم تغوون بفعل هذا، فأنتم إذن كنتم فيما سبق تنظُرون في الاتجاه الخاطئ. فقد كنتم ترون الأشياء من الزاوية الخاطئة! يُعوِزكم بُعد النظر! لستم ترون الأمور بوضوح كافٍ! ألا ترون الشيء الذي يمثل أهمية حقيقية؟ ارفعوا عيونكم عن البنايات، وطقوس العبادة، والحشود، والموسيقى؛ وثبِّتوها على يسوع!

استمع إلى بعض الأشياء التي قالها عن يسوع كي يشجِّعهم:

١) لهم رئيس كهنة عظيمٌ:

فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ ٱجْتَازَ ٱلسَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ٱبْنُ ٱللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِٱلْإِقْرَارِ. لِأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ ٱلنِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْنًا فِي حِينِهِ.[١٣٠]

٢) لهم خلاص حقيقيٌّ:

وَأُولَئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ مَنْعِهِمْ بِٱلْمَوْتِ عَنِ ٱلْبَقَاءِ، وَأَمَّا هَذَا فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى ٱلْأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لَا يَزُولُ. فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى ٱلتَّمَامِ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى ٱللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ.[١٣١]

٣) لهم رئيس كهنة كاملٌ:

لِأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلَا شَرٍّ وَلَا دَنَسٍ، قَدِ ٱنْفَصَلَ عَنِ ٱلْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ ٱلسَّمَاوَاتِ، ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ ٱضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا ٱلشَّعْبِ، لِأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ.[١٣٢]

---

[١٣٠] عبرانيين ٤: ١٤-١٦.

[١٣١] عبرانيين ٧: ٢٣-٢٥.

[١٣٢] عبرانيين ٧: ٢٦-٢٧.

٤) لهم رئيس كهنة أفضل:

ٱلَّذِينَ [رؤساء كهنة إسرائيل] يَخْدِمُونَ شِبْهَ ٱلسَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا ... وَلَكِنَّهُ [المسيح] ٱلْآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ.[١٣٣]

٥) لهم ذبيحة نهائية:

وَأَمَّا ٱلْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ ٱلْعَتِيدَةِ، فَبِٱلْمَسْكَنِ ٱلْأَعْظَمِ وَٱلْأَكْمَلِ، غَيْرِ ٱلْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ ٱلَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ ٱلْخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا.[١٣٤]

٦) لهم موضع مقدس أفضل:

لِأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ ... بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ ٱللهِ ٱلْحَيِّ، أُورُشَلِيمَ ٱلسَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلَائِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، وَإِلَى ٱللهِ دَيَّانِ ٱلْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ ٱلْعَهْدِ ٱلْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ.[١٣٥]

---

[١٣٣] عبرانيين ٨: ٥-٦.

[١٣٤] عبرانيين ٩: ١١-١٢.

[١٣٥] عبرانيين ١٢: ١٨-٢٤.

في حقيقة الأمر، كان الكاتب يقول:

> ما سيجعلكم تمضون قُدُمًا في طريق إنجيل يسوع المسيح هو أن تروا لمحة من عظمته، وتدركوا **عظمته الشديدة** كرئيس كهنة. لم تخسروا — بل قد ربحتم. ليس لديكم قدر أقل — بل أكبر. فقد فعل المسيح كل ما عجزت أجيالٌ من رؤساء الكهنة عن فعله. لم يكن هؤلاء سوى ظلال — وكان هو الحقيقة!

بُعدان:

رأينا أن خدمة يسوع كنبيٍّ كان لها بُعدٌ مكتمل بالفعل، وبُعدٌ لم يكتمل بعد. كلا هذين البُعدين موجودان في كلِّ وظيفة من وظائف يسوع — في الوظيفة النبوية، والكهنوتية، والملوكية.

هناك **عمل مكتملٌ للمسيح**.

قد أُكمِل كلُّ العمل،	All his work is ended,
ونحن ننشد فرحين.	Joyfully we sing.
قد صعد يسوع،	Jesus has ascended,
لملكنا المجدُ.	Glory to our King.[136]

صرخ يسوع: «قَدْ أُكْمِلَ».[١٣٧] ففي موته وقيامته، فعل كلَّ ما يلزم كي يتمِّمَ خلاصَنا.

[136] Frances Ridley Havergal, "Golden Harps Are Sounding," 1871.

[١٣٧] يوحنا ١٩: ٣٠.

لكنه بعد ذلك يطبِّق هذا الخلاص.

ومن ثَمَّ، هناك أيضًا **عملٌ للمسيح لم يكتمل بعد.** لدى يسوع خدمة حالية مستمرة. فهو كنبيٍّ لا يزال يتكلم إلى الإنسان برسالة من عند الله.[١٣٨] يجمع الأصحاح الثاني من رسالة العبرانيين هذين البعدين معًا على نحو لافت للنظر. يصف هذا النص عمل المسيح المكتمِل كالتالي:

فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ ٱلْأَوْلَادُ فِي ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ ٱشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِٱلْمَوْتِ ذَاكَ ٱلَّذِي لَهُ سُلْطَانُ ٱلْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ -خَوْفًا مِنَ ٱلْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ ٱلْعُبُودِيَّةِ. لِأَنَّهُ حَقًّا لَيْسَ يُمْسِكُ ٱلْمَلَائِكَةَ، بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ. مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلهِ حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا ٱلشَّعْبِ.[١٣٩]

لاحظ هنا جانبي عمل المسيح:[١٤٠]

١) هو يعتقنا من عبوديتنا لإبليس:

«فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ ٱلْأَوْلَادُ فِي ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ ٱشْتَرَكَ

---

[١٣٨] وكما سنرى لاحقًا، هو لا يزال كملك يثبِّت ملكوته، ويملُك على الإنسان نيابة عن الله.

[١٣٩] عبرانيين ٢: ١٤-١٧؛ يوحنا ١٩: ٣٠.

[١٤٠] انظر أيضًا إشعياء ٤١: ٨-٩؛ لوقا ٢٢: ٢٨؛ يوحنا ١: ١٤؛ ١٦: ١١؛ رومية ٨: ١٥؛ ١٥: ١٧؛ ١ كورنثوس ١٥: ٥٤-٥٦؛ فيلبي ٢: ٧؛ كولوسي ٢: ١٥؛ ٢ تيموثاوس ١: ١٠؛ عبرانيين ٢: ١٤-١٨؛ ٤: ١٥-١٦؛ ٥: ١-٢، ٧-٨؛ ٨: ٩؛ ١ يوحنا ٣: ٨.

هُـوَ أَيْضًـا كَذَلِـكَ فِيهِـمَا، لِـكَيْ يُبِيـدَ بِٱلْمَـوْتِ ذَاكَ ٱلَّـذِي لَـهُ سُـلْطَانُ ٱلْمَـوْتِ، أَيْ إِبْلِيـسَ، وَيُعْتِـقَ أُولَئِـكَ ٱلَّذِيـنَ -خَوْفًـا مِـنَ ٱلْمَـوْتِ- كَانُـوا جَمِيعًـا كُلَّ حَيَاتِهِـمْ تَحْـتَ ٱلْعُبُودِيَّـةِ.[١٤١]

٢) ويعتقنا من غضب الله:

مِـنْ ثَـمَّ كَانَ يَنْبَغِـي أَنْ يُشْـبِهَ إِخْوَتَـهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِـكَيْ يَكُـونَ رَحِيـمًا، وَرَئِيـسَ كَهَنَـةٍ أَمِينًـا فِي مَـا لِلـهِ حَتَّـى يُكَفِّـرَ خَطَايَـا ٱلشَّـعْبِ.[١٤٢]

يصنـع المسـيح كلا هذيـن الأمريـن مـن خـلال خدمتـه ككاهـنٍ. فـإن ذبيحـة نفسـه التـي قدَّمهـا كذبيحـة خطيـة تتـولَّى أمـر ذنبنـا، وتسـترضي غضـب اللـه، ومـن ثَـمَّ تطلـق سراحنـا مـن قبضـة إبليـس. وإذ ذاق المسـيح المـوت لأجلنـا،[١٤٣] لم يعـد المـوت إذن للمؤمنـين هـو أجـرة الخطيـة، بـل قـد صـار مدخـلًا إلى الحيـاة الأبديـة. فقـد أبيـد النفـوذ والسـطوة التـي اسـتخدمها إبليـس كي يملأنـا بالخـوف. وأخـيرًا صرنـا أحـرارًا.

تقابِـل رسـالة العبرانيـين بـين العمـل المُكتمِـل للمسـيح، وعمـل كهنـة العهـد القديـم الـذي لم تكـن لـه نهايـة، إذ كانـوا يقدمـون الذبائـح الحيوانيـة كلَّ يـوم. لكـن هـذه الذبائـح لا تَسْـتَطِيعُ ٱلْبَتَّـةَ أَنْ تَنْـزِعَ ٱلْخَطِيَّـةَ لأنهـا:

---

[١٤١] عبرانيين ٢: ١٤-١٥.

[١٤٢] عبرانيين ٢: ١٧.

[١٤٣] عبرانيين ٢: ٩.

- كانت تقدَّم كلَّ يوم. وبهذا، يبدو بديهيًّا أنها لم تستطع أن تنزع الذنب بصورة تامة ونهائية.
- كانت ذبائح غير كافية، بل وغير ملائمة، لرفع خطية الإنسان. فكيف لحيوان أن يصير بديلًا عن خطايا رجل أو امرأة؟[١٤٤]

لكن، قدم يسوع **نفسه** ذبيحة — إنسانٌ عوضًا عن البشر. وقد قبل الله ذبيحته التامة، والكاملة، والملائمة؛ ولهذا السبب أقامه من الأموات؛ وهو الآن جالس عن يمين الله. فهو لا يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَارًا كَثِيرَةً ذبيحته مثل الكهنة في الماضي. فهو لا يحتاج إلى هذا! فإذ هو رئيس الكهنة والقربان في آن واحد، أكمل وأنهى عمله الكفاري.

ففي المسيح، غُفرت خطايانا نهائيًّا وبالكامل![١٤٥]

يوم الكفارة:

يقدم لنا العهد القديم صورة لافتة للنظر عن هذا، في اليوم السنوي للكفارة.[١٤٦] في ذلك اليوم، كان رئيس الكهنة يأخذ تَيْسَيْنِ مِنَ ٱلْمَعْزِ. كان أحدهما يُذبَح، ويقرَّب دمه كذبيحة. ثم كان رئيس الكهنة يقرُّ على رأس التيس الآخر بذنوب الشعب، ثم يُرسَل التيس إلى خارج إلى البرية بيد رجلٍ كان يقف مستعدًا لفعل هذا. كان «تيس عزازيل» هذا [أو «كبش الفداء» scapegoat بحسب الترجمة الإنجليزية]

[١٤٤] عبرانيين ١٠: ٤.

[١٤٥] عبرانيين ٩: ١٢.

[١٤٦] لاويين ١٦: ١-٣٤.

يحمل إلى البرية الذنوب التي تم الإقرار بها على رأسه. وكان يطلَق إلى أرض مقفِرة، حاملًا خطايا الشعب وذنوبه.

هذه صورة توضيحية نابضة بالحياة تبيِّن لنا جانبي العمل الكفاري الذي عمله يسوع على الصليب.

فقد سفك يسوع دم نفسه، فكان هو رئيس الكهنة الذي قدَّم نفسه على الصليب ذبيحة تامة عن خطايانا. لكنه على الصليب، أُخِذ أيضًا، بقوة الروح، إلى الأرض المقفرة الواقعة بين السماء والأرض. وفي تلك البرية الموحشة التي حمل فيها خطايانا، قاسى شعورًا لا يوصَف بالاغتراب عن الله. فقد رُفِض من البشر، وذاق الموت كأجرة لخطايانا، وكلعنة من الله.

فقد دخل يسوع محضر الله وكأنه هو الخاطئ الوحيد في العالم، ووقع عليه غضب الله. وإذ دخل إلى جب الوحشة والعُزلة المظلم الذي لا يوصَف، صرخ: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» فهناك، في الظلام، صار هو الذبيحة وتيس عزازيل الذي حمل خطايانا في آن واحد. فإن دمه، الذي سُفِك لأجلنا، يعتق الضمائر المذنبة، ويجلب لنا سلامًا مع الله.

يستطيع دمه أن يجعل أقذرهم طاهرًا	His blood can make the foulest clean
فإن دمه كان نافعًا لي.	His blood availed for me.[147]

[147] Charles Wesley, “And Can It Be That I Should Gain?,” 1738.

لم يَعُد هناك ما يخيف:

ليت كلَّ طبيب أو معالج نفسي أو مشير في هذه الدولة يدرك أن الخطية، والذنب، وغضب الله، وبالتالي الخوف من الموت هو مصدر كافة المخاوف الأخرى، وهو الذي يكمن وراء جميع أنواع الأمراض العصبية. وإن لم يُقضَى على هذا الخوف الأساسي، ستظل المخاوف الأخرى حتمًا باقية. ولماذا؟ لأنه فقط حين نُعتَق من الخوف الأكبر — أي الخوف من الموت والدينونة — تصير سائر المخاوف الأخرى تافهة. ويمكن تبديدها فقط بمعرفة أنه لم يعد هناك داعٍ للخوف من الموت لأن مخلِّصنا قد حمل ذنب خطيتنا.

لدينا صديق في إسكتلاندا، وهو أستاذ بارز في علم الرياضيات. ومنذ بضعة سنوات، ماتت واحدة من بناته فجأة، وكانت فتاة مؤمنة تدرس في السنة الأولى في الجامعة. وستظل لحظة معيَّنة من أحداث يوم الجنازة محفورة في ذاكرتنا إلى الأبد. فقد ساندت نعمة الله صديقنا هذا وساعدته على اجتياز ذلك اليوم. وكانت هذه هي كلماته الهادئة حين كنا نسلم عليه: «الآن نعلم أنه لم يعُد هناك ما يخيفنا».

حقًّا — لم يعُد هناك ما يخيفنا.

هذا صحيحٌ فقط لأن يسوع قد تولَّى أمر أكبر مشكلاتنا.

لا تكمُـن المشـكلة فقـط في خوفنـا. بـل إن مشـكلتنا الأكبر هـو اللـه نفسـه، لأننـا بالطبيعـة واقعـون تحـت غضبـه — عـن اسـتحقاق. وإن كنـا غـير قادريـن عـلى تـولي أمـر خطيتنـا وذنبنـا، فإننـا قطعًـا غـير قادريـن عـلى تـولي أمـر غضـب اللـه. لكـن قـد دخـل الـرب يسـوع، رئيـس كهنتنـا، إلى الأقـداس، التي هـي محـضر الإلـه القـدوس، بالتحديـد كي يقـع عليـه ذلـك الغضـب؛ وهنـاك قـاسى الدينونـة الرهيبـة مطلَقـة العنـان.

لهـذا السـبب، حـين أَظهَـر يسـوع القائـم مـن الأمـوات نفسـه لتلاميـذه، كانـت كلمتـه الأولى لهـم هـي: «شـالوم! سـلام! أخـيرًا صـار ممكنًـا الآن أن تتمتعـوا بسـلامٍ مـع اللـه».[١٤٨]

هذا هو العمل المُكتمِل للمسيح ككاهن.

غالبيـة المؤمنـين عـلى درايـة جيـدة بالعمـل **المُكتمِـل** للمسـيح، لكنهـم لا يـدرون الكثـير عـن عملـه **الـذي لم يُكتمَـل بعـد**. لكـن يسـاعدنا كاتـب رسـالة العبرانيـين عـلى أن نفهـم أنـه مـع أن يسـوع «**جالـسٌ** عـن يمـين اللـه»، بعـد أن أكمـل عملـه الكفـاري، لكنـه لا يـزال يفعـل شـيئًا. فهـو الآن يقـوم بعملـه الـذي **لم يُكتمَـل بعـد**.

العمل الذي لم يُكتمَل بعد:

إن أمضيـتَ بعـض الوقـت معنـا، سـتعرف عـلى الأرجـح أن معلمـي مـدارس الأحـد في كنيسـتنا قـد علمونـا كافـة أنـواع

[١٤٨] لوقا ٢٤: ٣٦.

التراتيل التي نادرًا ما نسمعها اليوم. أحد التراتيل التي كان الفصل دائمًا ما يبدأ بها هي:

يا يسوع، قف في وسطنا	Jesus, stand among us
بقوة قيامتك.	In Thy risen power.
وليكن وقت العبادة هذا	Let this time of worship
ساعة مقدسة.	Be a hallowed hour.[149]

ما المقصود بهذه العبارة: «يا يسوع، **قف في وسطنا**»؟

إن كنتَ غير مؤمنٍ، فربما لن تدري شيئًا عن المقصود بهذا، وسيكون الأمر بالنسبة لك لغزًا تامًا. ربما يكون هذا أحد أسباب شعورك، إن حضرتَ خدمة عبادة، بأن الكتاب المقدس عبارة عن طلاسم، وبأن التراتيل ببساطة غريبة على مسامعك، وبأن العظات باعثة على الملل. فإنك لم تختبر قط حضور يسوع ووقوفه في وسط شعبه، جاعلًا الكتاب المقدس كتابًا حيًا، والتراتيل مفهومة، والعظات مغيِّرة للحياة.

بدأ شابٌ في حضور الخدمات في أحد الكنائس التي كان أحد أصدقائنا راعيًا لها. وبعد مرور بعض الوقت، آمن هذا الشاب إيمانًا حيًّا بالمسيح، وطلب الانضمام كعضو إلى الكنيسة. وحين أجرى شيوخ الكنيسة مقابلة شخصية معه، أخبرهم كيف تغيرت كنيستهم تغييرًا جذريًّا منذ أن بدأ في الحضور. فقد صارت الموسيقى أفضل كثيرًا، وصارت

[149] William Pennefather, "Jesus Stand among Us," 1855.

نغـمات التراتيـل التـي يتـم اختيارهـا أكـثر سلاسـة مـن ذي قبـل؛ ثـم أضـاف، موجهًـا حديثـه إلى الراعـي: «أمـا بخصـوص العظـات — حسـنًا، لا أعلـم مـاذا حـدث، لكنهـا الآن صـارت أكـثر ارتباطًـا بنـا، وصـارت مفهومـة بدرجـة أكـبر بكثـير! فقـد أجريـتَ بالحقيقـة تحسـينات كثـيرة عليهـا!»

كان الشـيوخ رجـالًا حكـماء وناضجـين، وربمـا كانـوا يبتسـمون في داخلهـم. فقـد كان يعلَمـون أيـن وقـع التغيـير الفعـلي — فقـد وقـع داخـل الشـاب نفسـه. فقـد صـار هـذا الشـاب مؤمنًـا، والآن بـدأ يختـبر الفـارق الـذي تحدثـه معرفـة يسـوع الحـاضر في وسـط شـعبه.

يعلِّمنـا كاتـب رسـالة العبرانيـين بـأن هـذا عنـصرٌ أسـاسي في خدمـة يسـوع الكهنوتيـة المسـتمرة. فهـو يقـف في وسـط شـعبه حـين يجتمعـون، ويكـون حـاضرًا في عبادتهـم.

يصـف عبرانيـين ٨: ٢ يسـوع بأنـه «خَادِمًـا لِلْأَقْـدَاسِ» (*leitourgos*). فهـو رئيـس الكهنـة الـذي يخـدم في الأقـداس. ربمـا تسـتطيع أن ترصـد في هـذه الكلمـة اليونانيـة كلمـة «ليتورجيـة» [«liturgy» أو «liturgist»]. تشـير الكلمـة اليونانيـة إلى الشـخص الـذي يقـود خدمـة العبـادة. هـذه هـي خدمـة يسـوع المسـتمرة — فهـو يقـود عبـادة شـعبه.

قائد العبادة:

يقود يسوع كل خدمة عبادة تذهب إليها! فهو «قائد العبادة».

ربما تكون قائد التسبيح والعزف في أحد الكنائس، أو ربما تكون العازف أو المرنم في فريق التسبيح التابع لها، بل وربما تكون راعي هذه الكنيسة. لكن الشيء الوحيد الذي لا ينطبق عليك هو أنك لستَ قائد العبادة. فإن يسوع هو قائد العبادة.

في نص سابق من رسالة العبرانيين، قدَّم لنا الكاتب بعض التلميحات الهامة عما تنطوي عليه خدمة يسوع هذه:

لِأَنَّهُ لَاقَ بِذَاكَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ ٱلْكُلُّ وَبِهِ ٱلْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى ٱلْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلَاصِهِمْ بِٱلْآلَامِ. لِأَنَّ ٱلْمُقَدِّسَ وَٱلْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهَذَا ٱلسَّبَبِ لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، قَائِلًا:

«أُخَبِّرُ بِٱسْمِكَ إِخْوَتِي،

وَفِي وَسَطِ ٱلْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ».

وَأَيْضًا:

«أَنَا أَكُونُ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ».

وَأَيْضًا:

«هَا أَنَا وَٱلْأَوْلَادُ ٱلَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ ٱللهُ».[١٥٠]

لاحظ هنا كيف وُضِعت كلمات مزمور ٢٢: ٢٢ على فم يسوع. قطعًا هذا يشكِّل أهمية. فقد كان المزمور

[١٥٠] عبرانيين ٢: ١٠-١٣.

الثاني والعشرون هو المزمور الذي لجأ إليه يسوع في الساعات الأخيرة من صلبه.[١٥١] يبدأ هذا المزمور بظُلمة وكآبة غامرة: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»[١٥٢] لكنه يختتم بكلمات النصرة، طبَّقتها رسالة العبرانيين على قيامة يسوع من الأموات، وصعوده، وخدمته المستمرة — ولا سيما على جوانب من خدمته **المستمرة** كثيرًا ما نتجاهلها:

أُخْبِرْ بِٱسْمِكَ إِخْوَتِي.
فِي وَسَطِ ٱلْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ.
يَا خَائِفِي ٱلرَّبِّ سَبِّحُوهُ!
مَجِّدُوهُ يَا مَعْشَرَ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ،
وَٱخْشَوْهُ يَا زَرْعَ إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا!
لِأَنَّهُ لَمْ يَحْتَقِرْ وَلَمْ يُرْذِلْ
مَسْكَنَةَ ٱلْمِسْكِينِ،
وَلَمْ يَحْجُبْ وَجْهَهُ عَنْهُ،
بَلْ عِنْدَ صُرَاخِهِ إِلَيْهِ ٱسْتَمَعَ.

مِنْ قِبَلِكَ تَسْبِيحِي فِي ٱلْجَمَاعَةِ ٱلْعَظِيمَةِ.
أُوفِي بِنُذُورِي قُدَّامَ خَائِفِيهِ.
يَأْكُلُ ٱلْوُدَعَاءُ وَيَشْبَعُونَ.
يُسَبِّحُ ٱلرَّبَّ طَالِبُوهُ.
تَحْيَا قُلُوبُكُمْ إِلَى ٱلْأَبَدِ.

---

[١٥١] متى ٢٧: ٤٦؛ مرقس ١٤: ٣٤.

[١٥٢] مزمور ٢٢: ١.

تَذْكُرُ وَتَرْجِعُ إِلَى ٱلرَّبِّ كُلُّ أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ.
وَتَسْجُدُ قُدَّامَكَ كُلُّ قَبَائِلِ ٱلْأُمَمِ.
لِأَنَّ لِلرَّبِّ ٱلْمُلْكَ،
وَهُوَ ٱلْمُتَسَلِّطُ عَلَى ٱلْأُمَمِ.[١٥٣]

يسوع، الكارز بالكلمة:

إن يسوع هو قائد العبادة، أولاً لأنه يأتي بروحه كي يقدِّم كلمته. فهو يقول: «أُخْبِرْ بِٱسْمِكَ إِخْوَتِي».

وكيف يفعل هذا؟ يحدث هذا في شرح كلمة الله، وفي الكرازة بها. فهو يفي بوعده القائل: «[خرافي] تَسْمَعُ صَوْتِي».[١٥٤] قطعًا يشير يسوع بهذا في المقام الأول إلى معاصريه، لكنه أيضًا كان يعني أكثر من هذا بكثير. فقد كانت لديه «خراف» أخر لم تسمع صوته حرفيًا قط.[١٥٥] هؤلاء أيضًا سيسمعون صوته — وسيعرفون هذا الصوت.

هل تتذكر حين اعتاد والداك إيقاظك في الصباح؟ فقد كانا يدعوانك باسمك قائلين: «يا فلان، حان الوقت لتستيقظ».

فقد كانا يناديانك **قبل** حتى أن تستفيق. في البداية، كان الصوت فقط هو الذي نبهك من نومك. لكنك بعد هذا أدركت أنك تُدعَى بالاسم، ثم بعد ذلك عرفت الصوت، فاستيقظتَ — في غالبية الأحيان على الأقل!

---

[١٥٣] مزمور ٢٢: ٢٢-٢٨.
[١٥٤] يوحنا ١٠: ١٦.
[١٥٥] يوحنا ١٠: ١٦.

يحـدث شيءٌ مشـابهٌ لهـذا حـين يقـدَّم شرح لكلمـة اللـه بقـوة الـروح القـدس. يدعونـا يسـوع، ويوقظنـا صوتـه روحيًّا. وشـيئًا فشـيئًا، نبـدأ في إدراك أنـه كان يعمـل في حياتنـا، وأنـه يدعونـا كي نـأتي إليـه. يعكِّـر شيء مـا صفـو سـباتنا الروحـي؛ فإننـا «نُدعَـى» بالاسـم، ونعـرف صـوت المسـيح.

سمعت صوت يسوع يقول:	I heard the voice of Jesus say,
«تعالَ إلي واسترح؛	“Come unto me and rest;
أيها المنهَك، أَتكِئ	Lay down, thou weary one, lay down
رأسك على صدري».	Thy head upon my breast.”
جئتُ إلى يسوع كما أنا،	I came to Jesus as I was,
منهك، ورث، وحزين؛	Weary and worn and sad;
فوجدتُ فيه موضع راحة،	I found in him a resting place,
وصيَّرني فرحًا.	And he has made me glad.[156]

هـذا هـو مـا يحـدث حـين يُكـرَز بالكلمـة بقـوة المسـيح. فـإن المسـيح يخاطـب بنفسـه أذهاننـا، ويتكلَّـم إلى قلوبنـا، ويجتـذب عواطفنـا، ويقتادنـا إلى الإيمـان والتوبـة.

يبـدو أن هـذا هـو مـا كان بولـس يفكـر فيـه حـين كتـب لأهـل أفسـس هـذه الكلـمات: «فَجَـاءَ [المسـيح] وَبَشَّرَكُـمْ

[156] Horatius Bonar, “I Heard the Voice of Jesus Say,” 1846.

بِسَلَامٍ، أَنْتُمُ ٱلْبَعِيدِينَ وَٱلْقَرِيبِينَ».[١٥٧] نعلَم جيدًا من النص أن هذا التبشير قد حدث بعد إكمال يسوع لعمله الكفاري. فكيف إذن جاء يسوع وبشر بسلام في أفسس؟ هل زار أفسس من قبل؟ نعم، زارها من ناحية ما. فقد جاء وبشر من خلال كرازة بولس ورفقائه!

نجد هذه الفكرة نفسها في الأصحاح العاشر من رسالة رومية: «وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ [«بمَن لم يسمعوه»]»[١٥٨] هذا هو الحق بكل بساطة. فإننا في حاجة إلى أن نسمع المسيح إن أردنا أن نعرف صوته، ونؤمن به.

الاستماع إلى المسيح:

صار ويليام ويلبرفورس (William Wilberforce)، السياسي البريطاني المسيحي العظيم، والمصلِح الاجتماعي، مسيحيًّا مؤمنًا عن عمر يناهز الخامسة والعشرين. كما صار واحدٌ من أقرب أصدقائه، وهو ويليام بيت الأصغر (William Pitt the Younger)، رئيس وزراء بريطانيا العظمى عن عمر

---

[١٥٧] أفسس ٢: ١٧.

[١٥٨] رومية ١٠: ١٤. بحسب ترجمة New American Standard Version الإنجليزية، والحاشية السفلية لترجمة ESV الإنجليزية، وآراء بعض المفسرين، نرى أن الترجمة الصحيحة لهذا العدد ليست «وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِمَنْ لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟» بل «وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوه؟». ففي حين أن السمع بالمسيح حق كتابي، لكنه حق بديهي، وربما لم يكن هو بالتحديد الحق الذي كان بولس يقصده هنا. فإن الفعل الذي استخدمه «يسمعوا» ((akouo يضع الشخص الذي يُسمَع في صيغة المفعول به، وليس — كما في الترجمة العربية — في صيغة الجار والمجرور. ولهذا، فإننا نترجم هذه العبارة «يسمعوه» وليس «يسمعوا به».

يناهز الرابعة والعشرين.[١٥٩]

كان «بيت» يكن محبة شديدة لصديقه، لكنه لم يستطع قط استيعاب ما حدث له. وفي إحدى المرات، دعاه ويلبرفورس إلى الكنيسة كي يستمع إلى واعظ مفضَّل لديه. وفي ختام العظة، كان ويلبرفورس مفتونًا بما قيل، بينما التفت إليه صديقه بيت — الذي كان رجلًا مفكرًا — وقال: «ويلبرفورس — ما الذي كان هذا الرجل يقوله؟» فلقد جلسا في المقعد نفسه، واستمعا إلى الواعظ نفسه، وإلى العظة نفسها. لكن لم يسمع ويليام بيت صوت يسوع يدعوه.

أخبرنا رجلٌ ذات مرة بأن ابنه كان بعيدًا عن الرب. وفي إحدى الليالي، وصل ابنه هذا إلى المنزل، و«صادف» أنه استمع إلى تسجيل لعظة كنا قد ألقيناها. ظل هذا الشاب يستمع إلى هذه العظة يوميًّا لمدة شهر. وفي آخر يوم في الشهر، آمن إيمانًا حيًّا بالمسيح. ماذا حدث؟ لم يدرك هذا الشاب على الأرجح ما كان يحدث له؛ فقد كان المسيح يدعوه، لكن كان إدراكه لهذا بطيئًا. فقد سمع الصوت البشري ذاته مرارًا وتكرارًا، لكنه أخيرًا سمع صوت المسيح، واستجاب.

لا يقتصر هذا على بدايات حياتنا المسيحية فحسب، بل هذا واقعٌ مستمرٌّ موجود في العبادة. بل في حقيقة الأمر،

---

[١٥٩] ومن هنا جاءت الأغنية التي تقول: «هذا منظر يدهش جميع الأمم: مملكة أودعت في رعاية طفل».

لـو لم يكـن هـذا واقعًـا مسـتمرًا، لنشـأ لدينـا نحـن أنفسـنا ميـلٌ إلى التخـلي عـن ممارسـة الوعـظ. فـدون هـذا البُعـد، كنـا سـنتطلع إلى مسـتمعينا كلَّ أسـبوع، وهـم ممتلئـون بكثـير جدًا مـن الاحتياجـات المختلفـة، فيصيبنـا هـذا ببسـاطة باليـأس. فـإن عظاتنـا عاجـزة عـن تسـديد جميـع هـذه الاحتياجـات، وليسـت لدينـا القـدرة عـلى تناوُلهـا جميعًـا في عظـة واحـدة. لكـن حـين يـأتي المسـيح إلى الكنيسـة ويبـشِّر بكلمتـه؛ وحـين يكـون مَـن يتكلَّـم إلينـا قـادرًا «أَنْ يُخَلِّـصَ أَيْضًـا إِلَى ٱلتَّـمَامِ ٱلَّذِيـنَ يَتَقَدَّمُـونَ بِـهِ إِلَى ٱللـهِ» — فحينئـذ يمكـن أن تسـدَّد جميـع الاحتياجـات بواسـطته!

لـن تؤمـن بيسـوع المسـيح إلا حـين تسـمعه. ومـا لم يحـدث هـذا، سـيظل بالنسـبة لـك مجـرد شـخصية في كتـاب. لكـن حـين يحـدث هـذا، سـتعي أنـك سـمعت صوتًـا مختلفًـا تمامًـا. ولهـذا يسـمع الوعـاظ عنـد بـاب الكنيسـة عبـارات مـن قبيـل: «هـل تحـدَّث إليـك أحدهـم عنـي؟» ودائمًـا مـا يكـون الجـواب: «لا، لكـن ربمـا كان شـخص آخـر هـو مَـن يتحـدث إليـك عنـك!»

حـين يوضـح المسـيح كلمتـه، أو يتكلـم مـن خلالهـا، يفتـح حـوارًا مـع النفـس. فهـو يتداخـل معنـا عـلى أعمـق المسـتويات، فننحنـي أمامـه قائلـين: «يـا رب، يـا يسـوع، قـد أعطيتَنـا بالفعـل كلمتـك».

في بعض الكنائس ينقسم وقت الخدمة ما بين «العبادة»، و«الوعظ» أو «التعليم». لكن لا وجود فعلي لمثل هذا التقسيم. فحين يبشرنا المسيح بكلمته، نعلم أننا قد دخلنا في شركة معه؛ والنتيجة الفورية لهذا هي العبادة، التي نقدِّمها له في أثناء العظة كما قبلها وبعدها.

قائد التسبيح:

أيضًا كقائد للعبادة، يقودنا يسوع في الترنيم. لاحظ الكلمات التي تقتبسها رسالة العبرانيين مرة أخرى من مزمور ٢٢: ٢٢ «فِي وَسَطِ ٱلْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ».[١٦٠]

في أحد كنائسنا، تقام وجبة غداء يوم الأربعاء، يليها شرح لكلمة الله. وإننا نشتاق بشدة إلى هذا الوقت، لأنه يتيح لنا امتيازًا وفرصة للتعليم الذي يساعد المؤمنين، ويوجِّه الذين من خارج إلى المسيح.

في أحد أعياد الميلاد، في واحدة من كنائسنا، قرر رعاة الكنيسة (بموافقة الأغلبية!) أن يكون جزءٌ من «هدية عيد الميلاد» للكنيسة أن يقدموا معًا فترة تسبيح كفريق أمام مَن حضروا إلى الكنيسة في أسبوع عيد الميلاد. كانت هناك مشاعر مختلَطة بين رعاة الكنيسة! وحين اقترب هذا اليوم، صارت المشاعر أكثر اختلاطًا. لكن قبل حلول هذا اليوم مباشرة، قمنا بالتنسيق مع قائد فريق التسبيح لدينا كي يدرِّبنا. وفي هذه اللحظة، ابتسم أكثر الرعاة ترددًا،

---

[١٦٠] عبرانيين ٢: ١٢.

والتقط أنفاسه، ثم قال: «هل تقصدون أنه سيرنم معنا؟» غَيَّر هذا من كل شيء! لم يعد لديهم الآن خوف من أن يُمسَكوا بفعلة الخروج عن النغمة أو الطبقة الصحيحة! الآن صار بإمكاننا الوقوف ببعض الثقة والفرح كي نرنم. فإن صوته سيستر جميع أخطائنا.[١٦١]

في العبادة الحقيقية، يكون يسوع حاضرًا، وهو مَن يقود التسبيح! فإننا نرنم مع ذاك الذي يقول: «فِي وَسَطِ ٱلْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ». فإننا نعبُد في اتحاد بالمسيح — ونسبح أيضًا في اتحاد به!

يلقي هذا بضوء جديد على العبادة. فمَن قد لا يرغب في الاشتراك مع يسوع في التسبيح؟ فهو يجعل تسبيحنا ملِذًا لأبيه، ويستر تسبيحه جميع نقائص تسبيحنا.

نحتاج أن نتعرَّف من جديد على خدمة الرب هذه؛ وسيشجعنا هذا على أن نسبِّح من كل القلب. فإن يسوع يقف في وسط شعبه قائلًا: «يا أبي، ها أنا في وسط الجماعة، أقود تسبيحات شعبك. استمع إليهم وهم ينشدون معي. ألا تحب الاستماع إليهم؟»

فكِّر في هذا كلما بدأت خدمة العبادة في كنيستك.

تتبادر إلى ذهني هنا ذكري حفل تخرج.

---

[١٦١] فإن ذكرنا معلومة أن هذا القائد للعزف والترنيم أدى، من بين أدواره الأخرى، دور ترنيم «صوت الله» في ترتيلة Noah's Flyde للكاتب Benjamin Britten، وترتيلة Jonah and the Whale، للكاتب Dominick Argento، كما أنه ساعد في دعم صوت المرنم، سيتضح سبب الشعور بالراحة!

درس أحد أبنائنا في جامعة كانت لا تزال تستخدم اللغة اللاتينية فقط طوال حفل التخرج. في أثناء الحفل، تقدَّم مسؤولو الجامعة واحدًا فواحدًا الطلبة الذين كانوا على وشك التخرُّج (وهم لابسون ثوب ما قبل التخرج) كي يمثُلوا أمام رئيس الجامعة. بعد هذا، أمسك رئيس الجامعة بيد واحدٍ من الطلبة كممثِّل عن الآخرين، وقدَّم جميع الطلبة للتخرج، قائلًا: «ها أنا وأبناء جامعتي، الذين أقدمهم لكم بيقينٍ في تخرُّجهم». ثم كان الطلبة يُخرَجون إلى الخارج، وهم ما زالوا يرتدون ثوب ما قبل التخرج، ثم يدخلون مرة أخرى مرتدين ثوب التخرج من الجامعة.

أليست هذه صورة للخدمة المستمرة التي يقوم بها الرب يسوع؟ فحين نجتمع للعبادة، يأتي بروحه كي يقود العبادة، كخادم للأقداس؛ ويمسك بيدنا، مقتادًا إيّانا إلى محضر أبيه. فإننا لسنا سوى طلبة لم يتخرَّجوا بعد من مدرسته، لكنه يقدِّمنا إلى أبيه، قائلًا: «يا أبي، ها أنا والأولاد الذين أعطيتني! فإنني أقدمهم إليك بيقين في أنك ستقبل عبادتهم وتباركهم!»

يومًا ما سيقتادنا يسوع إلى داخل محضر الآب. وفي ذلك اليوم، سنرتدي ثياب التخرج، ثياب المجد! لكننا في أيام الآحاد، وفي كل فرصة عبادة أخرى، نستمتع بالفعل بعربون هذا.

ولهذا، يعقد كاتب الرسالة إلى العبرانيين لاحقًا مقارنة صاعقة بين عبادة العهد القديم، التي كان الاجتماع في

سيناء نموذجًا أوليًا لها، وعبادة العهد الجديد:

لِأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِٱلنَّارِ، وَإِلَى ضَبَابٍ وَظَلَامٍ وَزَوْبَعَةٍ، وَهُتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ، ٱسْتَعْفَى ٱلَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تُزَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَحْتَمِلُوا مَا أُمِرَ بِهِ: «وَإِنْ مَسَّتِ ٱلْجَبَلَ بَهِيمَةٌ، تُرْجَمُ أَوْ تُرْمَى بِسَهْمٍ». وَكَانَ ٱلْمَنْظَرُ هَكَذَا مُخِيفًا حَتَّى قَالَ مُوسَى: «أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ». بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ ٱللهِ ٱلْحَيِّ، أُورُشَلِيمَ ٱلسَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلَائِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ، وَإِلَى ٱللهِ دَيَّانِ ٱلْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ ٱلْعَهْدِ ٱلْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ.[١٦٢]

هذا هو ما يحدث حين نذهب إلى الكنيسة! وصف يسوع القائم من الأموات هذا على نحو رائع حين قال لكنيسة لاودكية:

هَأَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى ٱلْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ ٱلْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي.[١٦٣]

مع أن هذه الكلمات كثيرًا ما كانت تُفهَم على أنها نصٌّ تبشيريٌّ، لكن كان يسوع في حقيقة الأمر يخاطب

[١٦٢] عبرانيين ١٢: ١٨-٢٤.

[١٦٣] رؤيا ٣: ٢٠.

كنيسة اجتمعت للعبادة. فقد كان يتحدث عن مجيئه إلى كنيستهم، بل وربما عن حضوره إلى خدمة العشاء الرباني.

حين يأتينا الرب على هذا النحو، نؤسَر بحضوره، فنسبِّحه. فحين تقدَّم لنا كلمته، نصبح على وعيٍ بمجده، ونبدأ في إدراك أنه ليس الواعظ بالكلمة والقائد لتسبيحاتنا فحسب، لكنه أيضًا، وفوق كل هذا، راعي نفوسنا. فإذ قد تألم في جسدنا ودمنا، وجُرِّب فغلب، نستطيع أن نعلم أنه كاهن يتفهَّم ضعفنا. ولأنه معنا، نستطيع الذهاب إليه. فإننا نعلم أنه قادر أن يخلِّص إلى التمام جميع — وكلَّ من — يتقدَّم به إلى الله. كما أننا نعلم أنه يرغب في هذا، لأنه يدعونا أبناءه: «هَا أَنَا وَٱلْأَوْلَادُ ٱلَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ ٱللهُ».[١٦٤]

ما هو الألم الذي تعاني منه؟ وكيف تُمتحَن؟ ربما تشعر بأن لا أحد يدرك ما تمر به، ولا أحد يستطيع أن يفهمك، ولا أحد وقف يومًا في مكانك. ربما أنت شاب يشعر بأن والديه وإخوته وأخواته لا يفهمونه، ولهذا تقول: «لن يفهمني يسوع البتة. فإن والديَّ، وإخوتي، وأخواتي — لا يفهموننني. لا أحد يفهمني! ولا أحد يكترث!»

لكن والديَّ يسوع لم يفهماه أيضًا، وكذلك إخوته وأخواته وأصدقاؤه — لم يفهمه أحد. ربما تقول: «إن الناس يقفون ضدي». أيضًا وقف الناس ضد يسوع. ربما تقول: «لا أحد يفهمني». هو أيضًا لم يفهمه أحد.

---

[١٦٤] عبرانيين ٢: ١٣.

ربما يتفق شخصٌ يقرأ هذه الصفحات مع كل هذا — لكنه مع هذا يقول: «نعم، لكنَّ ألمي مختلف». ربما تعاني من ألم التعرض لإساءة جنسية، أو التحرش الجنسي، أو حتى الاغتصاب؛ ذلك الألم الذي يصعُب نسيانه. لكن فكِّر في خدمة يسوع الكهنوتية. فقد صار ذبيحة عن خطايانا، ولهذا ذاق أيضًا (نعم — أمكنه أن يذوق) البصاق، والدماء، والعرق؛ وأمكنه أن يشعر (نعم — أن يشعر) بالتمزقات التي ملأت ظهره، وبالإساءة الجسدية. فهو يدرك جيدًا شعور أن تتعرض للتحرش، وتجرَّد من ملابسك، وتُضرَب، وتُفضَح وتتعرض للإذلال علانية. فهو قد صار «رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ ٱلْحَزَنِ».[١٦٥]

ربما تقول لي: «نعم، ولكنه كان بلا خطية! **وهذا** شكَّل فارقًا».

نعم، شكل هذا فارقًا. فقد زاد هذا من حدة وقسوة الخزي والإذلال الذي تعرَّض له. ولهذا السبب هو قادر أن يعينك ويرعاك. فقد شعر بكل ذرة في كيانه بضعفك وخزيك، لكنه ظل أمينًا إلى التمام من نحو الله. ولهذا هو قادر أن يمسك بيدك، ويقدِّمك — بكل ما فيك من شعور بالخزي — إلى الآب السماوي.

هناك المزيد أيضًا الذي يتعلق بخدمة الرب المستمرة. فقد شابهنا يسوع في كل شيء؛[١٦٦] وهو قادر أن يرثي لضعفاتنا

---

[١٦٥] إشعياء ٥٣: ٣.

[١٦٦] عبرانيين ٢: ١٧-١٨.

لأنه مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا.[١٦٧] بل والأكثر من هذا أنه «حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ»، ومن ثَمَّ «يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى ٱلتَّمَامِ».[١٦٨] يعني هذا أنه قادر أيضًا أن يخلِّصك من «أقصى شيء» في حياتك — مهما كان. فهو يمسك بأولاده بأحد يديه، ويتمسَّك بأبيه باليد الأخرى؛ وبينما يقترب إليه يقول: «يا أبي، ها أنا والأولاد الذين أعطيتني».

ازداد اليوم تقدير الكثير من المؤمنين المعاصرين لقيمة ترتيلة «أمام عرش الله في السماء» (Before the Throne of God Above)، التي تقول:

أمام عرش الله في السماء	Before the throne of God above
لديَّ حُجة متينة ومثالية.	I have a strong and perfect plea.
رئيس كهنة عظيم، واسمه محبة	A great high Priest whose Name is Love
هو حي إلى الأبد ليشفع فيَّ.	Who ever lives and pleads for me.
إن اسمي منقوش على كفَّيه،	My name is graven on His hands,
ومكتوب على قلبه.	My name is written on His heart.

[١٦٧] عبرانيين ٤: ١٥.

[١٦٨] عبرانيين ٧: ٢٥.

أعلم أنه واقف في السماء ولهذا لا يستطيع لسان أن يأمرني بالرحيل.[١٦٩]	I know that while in Heaven He stands No tongue can bid me thence depart.

لكن حقيقة العبادة بحسب الإنجيل تقول إن يسوع هذا نفسه حاضر أيضًا معنا، بقوة الروح القدس.

هل أتيتَ من قبل إلى يسوع، ووضعتَ ثقتك فيه، وقلتَ له: «هوذا خطاياي، أيها الرب يسوع! أنت الوحيد القادر أن يعتق ضميري المذنب، وينهي عبودية نفسي، ويقتادني إلى محضرك، ويساعدني كي أسبح الله، وأمجده، وأستمتع به إلى الأبد»؟

سيفعل يسوع كل هذا في آن واحد. يا له من مخلِّص!

---

[١٦٩] من قبيل المفارقة أن هذه الترتيلة قد رُتِّلت على نطاق واسع جدًا في هذه الأيام، بفم فيكي كوك (Vicki Cook) حتى أنه لم يعد هناك تقدير لكون الترتيلة نفسها «كلاسيكية»، إذ كُتبت في منتصف القرن التاسع عشر، بيد شاريتي لي بانكروفت (Charitie Lee Bancroft).

الفصل الرابع
يسوع المسيح،
الملك الغالب

«وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى ٱلْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ ٱللهِ وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ ٱلزَّمَانُ وَٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِٱلْإِنْجِيلِ» (مرقس ١: ١٤-١٥). بهذا الإعلان بدأت خدمة يسوع.

تَكلَّم يسوع عن ملكوت الله كثيرًا — فقد كان هذا الموضوع مركزيًّا في رسالته. فقد كرز، وأظهر أيضًا، أن ملكوت الله قد اقتحم العالم بمجيئه. فمن خلال كرازته، علَّم تلاميذه كيف يمكن أن يدخلوا هذا الملكوت، ونمط الحياة الذي لا بد أن يَنتُج عن هذا. ومن خلال معجزاته، قدَّم إثباتًا منظورًا وماديًّا للقوة المصلِحة والمغيِّرة لهذا الملكوت.

ثم قبل صلب يسوع بحوالي أسبوع، فعل شيئًا أظهر بوضوح أنه هو نفسه الملك في ملكوت الله هذا. وإليك وصف يوحنا لهذا الحدث:

وَفِي ٱلْغَدِ سَمِعَ ٱلْجَمْعُ ٱلْكَثِيرُ ٱلَّذِي جَاءَ إِلَى ٱلْعِيدِ أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ، فَأَخَذُوا سُعُوفَ ٱلنَّخْلِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: «أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ ٱلْآتِي بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!». وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَجَلَسَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:

«لَا تَخَافِي يَا ٱبْنَةَ صِهْيَوْنَ.

هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي

جَالِسًا عَلَى جَحْشِ أَتَانٍ».

وَهَذِهِ ٱلْأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تَلَامِيذُهُ أَوَّلًا، وَلَكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ، حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هَذِهِ لَهُ. وَكَانَ ٱلْجَمْعُ ٱلَّذِي مَعَهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ دَعَا لِعَازَرَ مِنَ ٱلْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ. لِهَذَا أَيْضًا لَاقَاهُ ٱلْجَمْعُ، لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ هَذِهِ ٱلْآيَةَ. فَقَالَ ٱلْفَرِّيسِيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ٱنْظُرُوا! إِنَّكُمْ لَا تَنْفَعُونَ شَيْئًا! هُوَذَا ٱلْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ![١٧٠]

تلك الخطوط التي نراها في الصورة التي يرسمها الكتاب المقدس عن يسوع — أي نسل المرأة، والنبي، والكاهن —

[١٧٠] يوحنا ١٢: ١٢-١٩.

ليست فقط ممتدة من سفر التكوين وحتى سفر الرؤيا، لكنها أيضًا، بشكلٍ ما، تتقاطع معًا.

ربما يمكننا تخيُّل هذه المفاهيم المختلفة في صورة مخطط «فين»، تلك الدوائر المتقاطعة معًا التي تعلَّمنا عنها في مادة الرياضيات في المرحلة الثانوية. تتمحور النقطة التي تلتقي عندها جميع هذه الدوائر معًا حول شخص الرب يسوع المسيح، وعمله المُتمثِّل في الخلاص والاسترداد.

حين كنَّا أطفالًا في مدارس الأحد، كان مُعلِّمونا يذكِّروننا باستمرار بأن الكتاب المقدس يدور بأكمله حول يسوع:

- ففي العهد القديم، هناك **نبوات** عن يسوع.
- وفي الأناجيل، **يظهَر** يسوع.
- وفي سفر أعمال الرسل، **يُكرَز** بيسوع.
- وفي الرسائل، **يُوضَّح** يسوع.
- وفي سفر الرؤيا، **يُنتظَر** يسوع.

في حقيقة الأمر، هذا مُلخَّص نافع للغاية للكبار كما للصغار أيضًا! ربما لا يكون مُلخَّصًا وافيًا أو متطوِّرًا، لكنه قطعًا سيساعدنا في أثناء تجوُّلنا في الكتاب المقدس. فحقًّا يصير الكتاب المقدس لغزًا لا يمكن سبر غوره حين نرفع أعيننا عن المسيح. فإننا سنضل طريقنا عبر الكتاب المقدس حين نخفق في النظر إلى يسوع.

أحد الأمثلة على هذا هي قصة دخول يسوع أورشليم في أحد السعف الأول. ماذا يحدث في هذا النص الشهير؟

أحيانًا تسبب شهرة بعض النصوص الشديدة في أن نقرأها قراءة سطحيَّة للغاية. يُقرَأ هذا النص بالتحديد بصورة روتينيَّة في يوم أحد السعف. لكن على الرغم من درايتنا الجيدة بمشهد الدخول الانتصاري، لكننا ربما لم نستوعب جيدًا معناه ودلالته.

ما هي الرسالة إذن؟ وما الذي يعنيه هذا النص؟ ولماذا يَشكِّل أهمية؟

تلاميذ بِطاء التعلُّم:

إن كنَّا أمناء في ارتيابنا وتشكُّكنا، فينبغي إذن ألا نصاب بإحباط زائد عن الحد. فإننا لسنا بمفردنا — بل يرافقنا في هذا التشكُّك تلاميذ يسوع أنفسهم. يقول يوحنا: «وَهَـٰذِهِ ٱلْأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تَلَامِيذُهُ أَوَّلًا».[١٧١] لم يكن يوحنا يمتدحهم هنا، أليس كذلك؟

كحديث جانبي، نود أن نقول إن أحد علامات موثوقيّة الأناجيل هي بالتأكيد عدد المرات التي يخبرنا فيها الكُتَّاب بما لم يعرفه أو يفهمه التلاميذ! لم تُكتَب الأناجيل لامتداح الإمكانيات الطبيعيَّة للرسل أمام الكنيسة!

من المفيد — بل ومن المشجِّع أيضًا على نحو مذهل — أن نلاحظ هذه التفاصيل البسيطة. فهي تذكِّرنا بأننا في

[١٧١] يوحنا ١٢: ١٦.

سياحة، وبأننا لم نصل بعد إلى وجهتنا النهائيَّة. فإن يسوع يغيِّرنا، لكن لا تزال حياتنا تحت الإنشاء. أمامنا نحن أيضًا الكثير لنتعلَّمه. يؤكِّد هذا ببساطة حجم الامتياز الذي حصلنا عليه باقتناء الكتاب المقدس، والعيش تحت وصايته وإرشاده.

كان التلاميذ ببساطة عاجزين عن الفهم، أليس كذلك؟ ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة التي كتب فيها يوحنا عن افتقارهم إلى الذكاء الروحي.

فلاحقًا، في العليَّة، قال لهم يسوع: «أَنَا أَمْضِي لِأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا»؛ ثم أضاف: «وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ ٱلطَّرِيقَ». حينئذٍ قال له توما: «لكننا لسنا نعلم! لسنا نفهم ما تقوله يا يسوع. لَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ تَذْهَبُ، فَكَيْفَ نَقْدِرُ أَنْ نَعْرِفَ ٱلطَّرِيقَ؟» أجابه يسوع: «في الواقع، أَنَا هُوَ ٱلطَّرِيقُ ... لَوْ كُنْتُمْ قَدْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا». بعد هذا قال العزيز فيلبس: «حسنًا، يا يسوع، لِمَ لا ترينا الآب، وكفانا هذا؟» كان فيلبس لا يزال غير فاهم أن الآب كان يعلن ذاته في يسوع! ولهذا أجابه الرب: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى ٱلْآبَ».[١٧٢]

[١٧٢] انظر يوحنا ١٤: ١-١١.

ثم أخبرهم يسوع بأنهم ينبغي أن يتشدَّدوا من جراء حقيقة أنه حين يأتي روح الحق، سيرشدهم إلى جميع الحق. فهو لن يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. «بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تُبْصِرُونَنِي، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنَنِي».[١٧٣] هل يُشكِّل هذا صعوبة شديدة؟» يقول يسوع: «سوف أمضي، ولن تبصروني. ثم سأعود ثانية، وسترونني». لكن قال التلاميذ أحدهم للآخر: «مَا هُوَ هَذَا ٱلَّذِي يَقُولُهُ لَنَا: بَعْدَ قَلِيلٍ لَا تُبْصِرُونَنِي، ثُمَّ بَعْدَ قَلِيلٍ أَيْضًا تَرَوْنَنِي؟»[١٧٤]

قطعًا، يبدو الأمر واضحًا تمامًا بالنسبة لنا، لأنه قد أتيحت لنا قراءة نهاية القصة. فإن لدينا رسائل العهد الجديد التي توضِّح لنا كل هذا. لكن، حين تستمع إلى هؤلاء التلاميذ، لن تفاجَأ حين تسمع يسوع يصلي إلى الآب لاحقًا وكأنه يقول له: «يا أبتاه! يا أبتاه! انظر إلى هؤلاء الذين أعطيتَني. لقد جلسوا معي في مدارس الأحد لمدة ثلاثة أعوام، ولا تزال حالتهم ميؤوسًا منها تمامًا! فإنهم يطرحون باستمرار واحدًا بعد الآخر أسئلة بسيطة وبديهيَّة عليَّ. يا أبي، أنا حفظتُهم. أتوسل إليك أن تحفظهم أنتَ أيضًا».[١٧٥]

---

[١٧٣] يوحنا ١٦: ١٦.

[١٧٤] يوحنا ١٦: ١٧.

[١٧٥] انظر يوحنا ١٧: ١١-١٥.

يُشـدِّد كل هـذا عـلى أننـا حـين نقـرأ الكتـاب المقـدس، يلـزم أن نحـترس مـن أن نفكِّـر هكـذا: «إننـي أعـرف بالفعـل قـدرًا كبـيرًا عـن هـذا؛ أعـرف كل شيء عـن معنـى هـذا النـص. هـذا نـص أحـد السـعف. إننـي أعرفـه جيـدًا. فقـد قرأتُـه مـن قبـل. وحـضرتُ الكثـير مـن أيـام أحـد السـعف. لا يمكـن أن يكـون هنـاك شيء جديـد أتعلمـه منـه الآن. أليسـت رسـالة النـص هـي أن يسـوع ملـك؟»

لكـن في المقابـل، لا بـد أن تكـون هـذه هـي نقطـة البدايـة: «يـا رب، أنـت تعلَـم، حقًـا لسـتُ أعلـم الكثـير عـن هـذا». حينئـذٍ سـنكون أكـثر ميـلًا إلى أن نفكـر هكـذا: «أتسـاءل مـا الـذي يمكـن أن يكـون مشـوقًا، ومؤثـرًا، ومثـيرًا هنـا، ومـا الجديـد الـذي يمكننـي اسـتخلاصه في هـذا الصبـاح مـن هـذا النـص؟»

استخدم خيالك:

إن أمكننـا الرجـوع بالزمـن إلى المـاضي، ومراقبـة عائلـة تجهِّـز ليـوم عيـد الفصـح، فربمـا سـنتمكن مـن أن نسـترق السـمع إلى حديـث يـدور بـين صبـي ووالـده:

> «أبي، لا أسـتطيع الانتظـار حتـى الغـد. فقـد أحـضرتُ بالفعـل أغصـان السـعوف. وأنـا عـلى أتـم الاسـتعداد. لا أعلـم إن كنـت سـأتمكن مـن النـوم هـذه الليلـة يـا أبي. لأن غـدًا ... يـوم رائـعٌ، أليـس كذلـك؟»

أجاب الأب: «نعم، يا ابني، هو يوم رائع بالفعل»

«أبي، رتل لي ترتيلة قبل النوم. هل يمكننا أن نرتل معًا تلك الترتيلة التي أحبها؟»

«أية واحدة تقصد؟»

«حسنًا، أليست هي واحدة من تلك التي تسمَّى مزامير المصاعد؟[١٧٦] تلك التي تبدأ بهذه الكلمات: ‘فَرِحْتُ بِٱلْقَائِلِينَ لِي ...’، وتتحدَّث عن وقوف أرجلنا داخل أبواب أورشليم! أيمكننا أن نرتلها؟»

ربما تعرف هذا المزمور بحسب صياغة أيزاك واطس (Isaac Watths) له:

كم سُرِرتُ وبورِكتُ	How pleased and blest was I
حين سمعت الناس يهتفون:	To hear the people cry,
«هيا، لنطلب إلهنا اليوم!»	“Come, let us seek our God today!”
نعم، في حماس بهيج،	Yes, with a cheerful zeal
نسرع الخُطى نحو جبل صهيون،	We haste to Zion’s hill,
وهناك نوفي نذورنا ونقدِّم إكرامنا.	And there our vows and honors pay.[177]

[١٧٦] يبدو أن المزامير ١٢٠-١٣٤ هي مجموعة واحدة تشكل معًا كتاب تراتيل للحجاج الصاعدين إلى أورشليم للاحتفال بالأعياد.

[177] Isaac Watts’s “How Pleased and Blest Was I”.

ثمــة أهميــة أن نضــع في اعتبارنــا أن محتــوى الأناجيــل منســوج داخــل نســيج الحيــاة العاديــة. لا نســتطيع أن ننكــر أن هــذا الصبــي الصغــير موجــود في خيالنــا فقــط، لكــن الكثــير مــن الصبيــان المتحمســين مثلــه تمامًــا كانــوا موجوديــن هنــاك مــع عائلاتهــم في يــوم أحــد الســعف — مثــل الأطفــال الــذي يصطفــون في الشــوارع في يــوم تنصيــب رئيــس الجمهوريَّــة أو تتويــج ملــك بريطانيــا. لكــن كان جمــوع أورشــليم يحتشــدون للاحتفــال بتدخُّــلات اللــه الخلاصيَّــة في تاريــخ الأمــة في المــاضي. وقــد علمــوا أيضًــا مــن العهــد القديــم شــيئًا عــن مجــيء عــصر جديــد، وعــن يــوم جديــد ســيبزغ فجــره، فيــه ســيُرَد كل مــا قــد فُقِــد، وســيتحقق كل مــا تاقــوا إلى رؤيتــه. ففــي زحــام المتفرجين والملوِّحــين بأغصــان الســعوف، كانــت هنــاك عــدة مســتويات مــن الترقــب والانتظــار كامنــة وراء توقــع ومتعــة ذلــك اليــوم.

وراء الكواليس:

لكــن، في ســجل يوحنــا عــن هــذا الدخــول الانتصــاري، كانــت القرينــة المباشرة لمــا حــدث يــوم أحــد الســعف هــي حادثــة إقامــة لعــازر مــن المــوت. فقــد جــاء يســوع إلى قريــة بيــت عنيــا بعــد مــوت لعــازر ببضعــة أيــام، وذهــب إلى قــبره — الــذي عــلى الأرجح كان كهفًــا أو مغــارة — وطلــب مــن بعــض الرجــال أن يرفعــوا الحجــر عــن القــبر، ثــم نــادى قائــلًا: «لِعَــازَرُ، هَلُــمَّ خَارِجًــا!» فخرج صديقــه الميــت مــن القــبر ماشــيًا عــلى قدميــه. وعــلى الأرجــح، خــرج «مترنحًــا» — إذ كان لا يــزال ملفوفًــا في أكفــان القــبر.

حين خرج لعازر من القبر، أمر يسوع بأن يحلُّوه من أكفانه. وبعد هذا، نقرأ أن كثيرين من اليهود الذين كانوا هناك كي يعزُّوا مريم، ورأوا ما فعله يسوع، آمنوا به. ترتب على هذا إصابة رؤساء اليهود بالإحباط، مما جعلهم يحيكون مؤامرة لقتل يسوع.[١٧٨] هل تستطيع تخيُّل «القيل والقال» الذي سرى في هذا المجتمع؟ ظل هؤلاء يفتشون عن يسوع، وفيما كانوا واقفين في المنطقة المحيطة بالهيكل، سأل أحدهم الآخر فيما بينهم:

مَاذَا تَظُنُّونَ؟ هَلْ هُوَ لَا يَأْتِي إِلَى ٱلْعِيدِ؟[١٧٩]

لكن بعد بضعة أعداد، حين جاء يسوع ثانية إلى بيت عنيا، نقرأ أنه حين اكتشفت جموع اليهود الكثيرة أنه كان هناك:

جَاءُوا لَيْسَ لِأَجْلِ يَسُوعَ فَقَطْ، بَلْ لِيَنْظُرُوا أَيْضًا لِعَازَرَ ٱلَّذِي أَقَامَهُ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ.[١٨٠]

لكن لم يكن هذا هو كل ما كان يحدث، بل بسبب هذا

تَشَاوَرَ رُؤَسَاءُ ٱلْكَهَنَةِ لِيَقْتُلُوا لِعَازَرَ أَيْضًا، لِأَنَّ كَثِيرِينَ مِنَ ٱلْيَهُودِ كَانُوا بِسَبَبِهِ يَذْهَبُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِيَسُوعَ.[١٨١]

---

[١٧٨] انظر يوحنا ١١: ٤٤-٤٥، ٤٨، ٥٣.

[١٧٩] يوحنا ١١: ٥٦.

[١٨٠] يوحنا ١٢: ٩.

[١٨١] يوحنا ١٢: ١٠-١١.

يـا لـه مـن تصريـح لافـت للنظـر! لا عجـب إذن أن تطلَّـع يسـوع نحـو أورشـليم، وقـال:

إِنَّـكِ لَـوْ عَلِمْـتِ أَنْـتِ أَيْضًـا، حَتَّـى فِي يَوْمِـكِ هَـذَا، مَـا هُـوَ لِسَـلَامِكِ! وَلَكِـنِ ٱلْآنَ قَـدْ أُخْفِـيَ عَـنْ عَيْنَيْـكِ.[١٨٢]

فكِّـر معـي في هـذا: حين حـاول جميـع هـؤلاء — بالرغم من خلفيتهـم الدينيـة الكبـيرة، وإرثهـم المذهـل، ومعرفتهـم بالكتـب المقدسـة — نسـج خيـوط توقعهـم المسـياني معًـا، أخفقـوا عـلى نحـو مخيـف في فهـم الأمـر. فأمامهـم، كان يقـف الحـل لكافـة توقُّعاتهـم، بأكـثر طريقـة غـير مُتوقَّعـة، لكنهـم عجـزوا عـن التعـرُّف عليـه. فحقًـا «إِلَى خَاصَّتِـهِ جَـاءَ، وَخَاصَّتُـهُ لَـمْ تَقْبَلْـهُ».[١٨٣]

سيسـتغرق منـا الأمـر مسـيرة طويلـة للغايـة كي نبـيِّن كيـف أخفـق هـؤلاء في فهـم التلميـح بعـد الآخـر، والنبـوة بعـد الأخـرى، مـن إشـارات العهـد القديـم إلى يسـوع. لكـن يجـدر بنـا التوقـف قليـلًا كي نطـرح بعـض الأفـكار الهامـة.

الصورة الكبرى:

أحـد **مسـاوئ** الكاميـرات الرقميـة — في مقابـل الكاميـرات البولارويـد القديمـة — هـي أننـا لا نحصـل عـلى أيَّـة صـور **في أيدينـا**. فإنهـا لا تعطينـا صـورًا فعليَّـة. لكـن تكمُـن أحـد **فوائدهـا** في قدرتهـا عـلى أن تعـرض أمامنـا مجموعـة مـن الصـور المتتاليـة، تمكِّننـا مـن رؤيـة كيـف تشـكِّل كل اللحظـات

[١٨٢] لوقا ١٩: ٤٢.

[١٨٣] يوحنا ١: ١١.

الفرديَّـة جـزءًا مـن قصـة ممتـدة تقـود إلى الـكادر الأخـير. نسـتطيع أن نعـود إلى الـوراء لمشـاهدة صـور إجـازة كاملـة قضيناهـا في وقـت سـابق، أو صـور مراحـل نمـو أحـد أطفالنـا مـن مرحلـة روضـة الأطفـال وحتـى المرحلـة الثانويَّـة. ينطبـق الـشيء ذاتـه عـلى مقاطـع الفيديـو المُصـوَّرة. فإننـا نسـتطيع أن ننتقـل عـبر المشـاهد المختلفـة التـي تسـاعدنا عـلى تفسـير كيفيَّـة وصولنـا إلى المشـهد الأخـير.

هكـذا أيضًـا، ونحـن نتجـوَّل عـبر الأسـفار المقدسـة، نكتشـف المشـاهد التـي سـبقت في الزمـن لحظـة دخـول يسـوع إلى أورشـليم كملـك.

عـلى سـبيل المثـال، نسـتطيع الرجـوع بالصـور إلى الـوراء إلى لوقـا ١: ٢٦-٣٨، وهـو مشـهد ظهـور جبرائيـل الملاك لمريـم. تَذكَّـر كيـف اضطربـت مريـم مـن التحيـة، فقـال لهـا الملاك: «لا تضطـربي مـن شيء»:

> لِأَنَّـكِ قَـدْ وَجَـدْتِ نِعْمَـةً عِنْـدَ ٱللهِ. وَهَـا أَنْتِ سَـتَحْبَلِينَ وَتَلِدِيـنَ ٱبْنًـا وَتُسَـمِّينَهُ يَسُـوعَ. هَـذَا يَكُـونُ عَظِيـمًا، وَٱبْـنَ ٱلْعَـلِيِّ يُدْعَـى، وَيُعْطِيـهِ ٱلـرَّبُّ ٱلْإِلَـهُ كُـرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيـهِ، وَيَمْلِـكُ عَـلَى بَيْـتِ يَعْقُـوبَ إِلَى ٱلْأَبَـدِ، وَلَا يَكُـونُ لِمُلْكِـهِ نِهَايَـةٌ.[١٨٤]

هـذه واحـدة مـن تلـك اللقطـات الفوتوغرافيَّـة البسـيطة، التـي فيهـا نشـاهد إبلاغًـا عـن ولادة سـتحدث في المسـتقبل.

[١٨٤] لوقا ١: ٣٠-٣٣.

لكـن تحـوي الصـورة المزيـد أيضًـا، مثـل طبيعـة هـذا الطفـل الـذي سـيولَد وهويتـه. فهـو سـيُعطَى كـرسي داود أبيـه. فهـو ملـك، وسـتكون لـه مملكـة!

كانـت مريـم فتـاة عاديـة، عـلى الأرجـح في عمـر المراهقـة. لا عجـب إذن أنهـا ظلـت تتفكَّـر في قلبهـا في هـذه الأشـياء![١٨٥] لا بـد أنهـا اسـتغرقت في التفكـير في هـذا فـترة طويلـة. تخيَّـل معـي مريـم تراقـب طفلهـا يسـوع وهـو يَكـبُر، وتـراه عائـدًا إلى المنـزل، فتسـأله: «مـاذا فعلـتَ اليـوم يـا يسـوع؟» تخيَّلهـا معـي وهـي تراقـب إنجازاتـه البسـيطة، مثـل نجاحـه في تقليـد عمـل يوسـف، وهكـذا. فطـوال الوقـت، كان يـتردَّد في ذهنهـا صـدى إعـلان المـلاك: «ويملـك عـلى كـرسي داود أبيـه».

اسـتطاع فيليبـس بروكـس (Philips Brooks) التعبـير عـن هـذا في ترتيلـة عيـد الميـلاد التـي كتبهـا، والتـي تقـول:

يا مدينة بيت لحم الصغرى،	O little town of Bethlehem,
كيف لا زلنا نراكِ نائمة،	How still we see thee lie,
وفوقك في نومك العميق هذا	Above thy deep and dreamless sleep
تسير النجوم الصامتة.	The silent stars go by.
لكن في شوارعك المظلمة	Yet in thy dark streets shineth

[١٨٥] لوقا ٢: ١٩.

سطع النور الأبدي؛	The everlasting Light;
ففيك اليوم تحققت	The hopes and fears of all the years
آمال ومخاوف السنين.	Are met in thee tonight.[186]

انظر إلى هذا! فإن جميع الآمال والمخاوف، وجميع التوقُّعات والأحلام، وجميع وعود العهد القديم عن ذاك الذي سيأتي كتجسيد للإعلانات النبوية العظيمة عن المسيا — قد تحقَّقت جميعها هناك في بيت لحم.

ثم، إن قفزنا بالزمن ثلاثين عامًا إلى مشهد آخر، سنجد الشيء ذاته في هذا المشهد الانتصاري الذي وقع في الطريق إلى أورشليم. فقد أتى الملك!

كان هذا هو التتميم لنبوة زكريا القائلة: «اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ٱبْنَةَ صِهْيَوْنَ ... هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ»،[١٨٧] ولنبوة الأصحاح الثاني والثلاثين من سفر إشعياء القائلة: «هُوَذَا بِٱلْعَدْلِ يَمْلِكُ مَلِكٌ»،[١٨٨] وأيضًا للأصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني، حيث الوعد الذي قطعه الله لداود بأن ملكًا أبديًّا وكونيًّا سيأتي من نسله.[١٨٩]

---

[186] The opening verse of Phillips Brooks's hymn "O Little Town of Bethlehem," 1867.

[١٨٧] زكريا ٩: ٩.

[١٨٨] إشعياء ٣٢: ١.

[١٨٩] ٢ صموئيل ٧: ١٢-١٦؛ قارن مزمور ٧٢: ١-١٩.

نكتشف كل هذا حين نتجوَّل عبر مشاهد السجل الكتابي. فحين نعود إلى الوراء إلى الأصحاح التاسع والأربعين من سفر التكوين، نقرأ الكلمات النبويَّة التي نطق بها يعقوب حين كان يبارك أبناءه:

لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ.[١٩٠]

تخيَّل معي الآن مؤمنًا من العهد القديم يقرأ هذه النصوص — ونصوص أخرى كثيرة. فهو سيسأل بالطبيعة: «كيف سيكون هذا؟ كيف يمكن أن يحدث هذا؟»[١٩١] ثم حين نمضي قُدُمًا في الكتاب المقدس، نجد الشعب يتوق إلى ملك، على أمل أن يكون هو الحل لجميع معضلاتهم. لكن لم يستوفِ أيٌّ من الملوك توقُّعاتهم، ولم يستطع أي منهم أن يأتي بالخلاص الحقيقي. وهكذا إذن، في نهاية العهد القديم، تُرِك الشعب يفتشون عن ذلك «الشخص» الذي سيكون الملك العظيم. فقد اختُتِمت الخدمة النبويَّة لكل العهد القديم بالصمت — لعدة مئات من السنوات — في انتظار هذا الشخص المجهول الذي سيأتي كتجسيدٍ للكلمة النبويَّة.

نجد كل هذا وأكثر على القرص الصلب للإعلان الإلهي المتكشِّف تدريجيًا. بعد ذلك، نصل إلى الصورة التي كانت كافة الصور الأخرى تشير إليها.

---

[١٩٠] تكوين ٤٩: ١٠.

[١٩١] انظر ١ بطرس ١: ١٠-١٢.

أيَّ نوع من الملوك؟

ركب يسوع على جحشٍ، ودخل أورشليم، محاطًا بهذا الجمع الضخم والصاخب. لم يركب يسوع جحشًا في أي موضع آخر في السجل الكتابي، بل كان هذا هو الموضع الوحيد الذي حدث فيه هذا.

لم يركب يسوع على الجحش لأنه كان متعبًا، لكنه أرسل تلاميذه متعمِّدًا إلى المدينة في ذلك اليوم بالتحديد كي يحضروا له الجحش.[١٩٢] فقد أراد أن يقول شيئًا.

لكن ما هو هذا الشيء؟

كان يسوع هنا يواجه المجتمع من خلال أفعاله. فقد كان بهذا يضع نفسه عمدًا تحت سلطة حنان وقيافا رئيسي الكهنة اليهود، وتحت سلطة مجمع اليهود (السنهدرين)، وتحت سلطة بيلاطس البنطي الوالي الذي كان يمثِّل كل سلطة الإمبراطوريَّة الرومانيَّة. ولاحقًا، سأله بيلاطس: «مَن أنت بحق السماء؟» وفي مرحلة ما من الحديث، سأله بشكل مباشر: «أَأَنْتَ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ؟ دعنا نحسم هذا الأمر يا يسوع. أَأَنْتَ مَلِكُ ٱلْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ».[١٩٣]

لكن أي نوع من الملوك كان؟ أيَّ ملك يركب على جحشٍ؟ وأيَّ ملك يضع تاجًا منسوجًا بالشوك؟ وأي ملك

---

[١٩٢] متى ٢١: ١-١١.

[١٩٣] متى ٢٧: ١١.

يرتـدي رداء شـخص آخـر، ويصـير محـط اسـتهزاء، وسـخرية، ويُـزدرَى بـه بقسـوة مـن قبـل محتجزيـه مـن الجنـود المنفلتـين؟[١٩٤] نـرى هنـا المفارقـة الشـديدة التـي يقـف أمامهـا أي قـارئ فطـن للكتـاب المقـدس.

هـذه هـي المفارقـة نفسـها التـي زعزعـت كثيريـن ممـن كانـوا ينتظـرون الآتي. فقـد هتـف هـؤلاء: «آهِ يَـا رَبُّ خَلِّـصْ! آهِ يَـا رَبُّ أَنْقِـذْ!»[١٩٥] ثـم بعـد هـذا شـهدوا مجموعـة كاملـة مـن المشـاهد التـي فيهـا كان يسـوع «مُحْتَقَـرٌ وَمَخْـذُولٌ ... رَجُـلُ أَوْجَـاعٍ وَمُخْتَـبِرُ ٱلْحَـزَنِ».[١٩٦] مـاذا كانـت احتماليَّـة أن يتمكَّـن هـذا الرجـل مـن أن يـأتي بالخـلاص، والأمـان، والفـلاح، بينـما كان مـن الواضـح أنـه غـير قـادر عـلى تأمـين سـلامته الشـخصيَّة؟ فقـد أدَّت بـه خدمتـه إلى هـذه النهايـة المخزيـة.

كيف يملك يسوع؟

يشـتهر دليـل أسـئلة وأجوبـة وستمنسـتر الموجَـز بسـؤاله الافتتاحـي التـالي: «مـا هـي غايـة الإنسـان العظمـى؟» (الجـواب: «غايـة الإنسـان العظمـى هـي تمجيـد اللـه والتمتُّـع بـه إلى الأبـد»).[١٩٧] لكـن لاحقًـا، في عـرض الدليـل لرسـالة الإنجيـل، يطـرح سـؤالًا هامًـا آخـر، كان هـذه المـرة عـن يسـوع. يقـول السـؤال:

---

[١٩٤] يوحنا ١٩: ١-٣.

[١٩٥] مزمور ١١٨: ٢٥.

[١٩٦] إشعياء ٥٣: ٣.

[١٩٧] نُـشر هـذا الدليـل في عـام ١٦٤٨ مـن قبـل اجتـماع وستمنسـتر، واسـتُخدم بعـد هـذا في العديـد مـن الكنائـس، ولا سـيما، ولكـن ليـس حصريًـا، في التقليد المشـيخي.

كيف يمارس المسيح وظيفة [خدمة] الملك؟

هـذا هـو تحديـدًا السـؤال الـذي تجبرنـا هـذه المشـاهد عـلى طرحـه. وفيـما يـلي الجـواب الـذي قدَّمـه الدليـل:

> يمـارس المسـيح وظيفـة الملـك بإخضاعنـا لنفسـه، وبمُلكـه علينـا ودفاعـه عنَّـا، وبـردع وقهـر كل أعدائـه وأعدائنـا.[١٩٨]

درسـنا معًـا كيـف جـاء المسـيح كنبـيٍّ كي يمحـو جهلنـا، وككاهـنٍ كي يعالـج مسـألة اغترابنـا، ويقرِّبنـا إلى اللـه. والآن نـراه كملـكٍ يُخضِـع جميـع القـوى الغاشـمة المحتشـدة ضدنـا، بـل وأيضًـا تلـك القـوى المحاربـة بداخلنـا.

لكـن كيـف يفعـل يسـوع الملـك هـذا؟ هنـا لا بـدَّ أن نحصر حديثنـا في ثلاثـة أبعـاد، متناولـين كلَّ بعـد منهـا بصـورة موجزة. أولاً، كيـف يكـون يسـوع ملـكًا فيـما يتعلَّـق بخلاصنـا، ثـم فيـما يتعلَّـق بالكـون، وأخـيرًا فيـما يتعلَّق بالمسـتقبل.

الخلاص:

كيـف يمـارس يسـوع مُلكـه لأجـل خلاصنـا؟ سـوف نـدرس هـذا البُعـد عـلى نحـو أكـثر تفصيـلًا حـين نتحـدَّث عـن يسـوع كابـن الإنسـان. لكـن يلزمنـا في هـذه المرحلـة أن نفهـم أن الصليـب كان النقطـة المحوريَّـة في مُلـك يسـوع، إذ فيـه تمَّـم كل مـا يلـزم كي يعالـج مسـألة خطايانـا:

---

[١٩٨] السؤال الرابع والعشرون من الدليل.

وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي ٱلْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ ٱلْخَطَايَا، إِذْ مَحَا ٱلصَّكَّ ٱلَّذِي عَلَيْنَا فِي ٱلْفَرَائِضِ، ٱلَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ ٱلْوَسَطِ مُسَمِّرًا إِيَّاهُ بِٱلصَّلِيبِ، إِذْ جَرَّدَ ٱلرِّيَاسَاتِ وَٱلسَّلَاطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ.[١٩٩]

ففي أوائل خدمة الرسول بولس، أوضح لأهل غلاطية أن هذا الموت على الصليب يعني أن يسوع قد حمل اللعنة التي نستحقها نحن عن خطايانا.[٢٠٠]

والأكثر من هذا أن يسوع قد فعل كل ما يلزم كي يعتقنا من سلطان الموت.

فإن طغيان الخطية والإثم يصير ظاهرًا بأكبر درجة في موتنا. قال الله لآدم وحواء: «لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا [شجرة معرفة الخير والشر] مَوْتًا تَمُوتُ».[٢٠١] هذه هي الحالة التي ورثناها. فإن موتنا هو التأثير المتلِف والمفسِد للخطية والدينونة. فإن الضعف، والهشاشة، والتحلُّل، والخسارة المتضمَّنة داخل الموت هي البراهين القاطعة في هذا العالم على أننا قد أخطأنا وأعوزنا مجد الله.

لكن، استمع أيضًا إلى ما قاله كاتب رسالة العبرانيين عن هذا:

---

[١٩٩] كولوسي ٢: ١٣-١٥.

[٢٠٠] غلاطية ٣: ١٣.

[٢٠١] تكوين ٢: ١٧.

فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ ٱلْأَوْلَادُ فِي ٱللَّحْمِ وَٱلدَّمِ ٱشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِٱلْمَوْتِ ذَاكَ ٱلَّذِي لَهُ سُلْطَانُ ٱلْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ -خَوْفًا مِنَ ٱلْمَوْتِ- كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ ٱلْعُبُودِيَّةِ.[٢٠٢]

إذن، فعل يسوع كل ما كنَّا نحتاج إليه كي نخلُص **من الخطية**، وكل ما كنَّا نحتاج إليه كي نخلُص من **دينونة الموت**، وكل ما كنَّا نحتاج إليه كي نُعتَق **من عبودية إبليس**. في كلمة واحدة، فعل يسوع كل ما كنَّا نحتاج أن يُعمَل من أجلنا، لكن لم يكن باستطاعتنا فعله بأنفسنا.

وكان برهان انتصاره، بالتأكيد، هي القيامة من الأموات، التي تشبه «آمين» مدوية نطقها الآب تعليقًا على عمله.

قام يسوع من الموت بالجسد كعلامة على قبول ذبيحته عن الخطايا، وكأن القاضي بهذا كان يقول: «لقد استوفيتَ العقوبة التي طالب بها القانون، وأنت الآن حر طليق!» من الواضح أن قيامة يسوع كانت علامة أيضًا على أنه قد نقض سلطان الموت، إذ لم يكن ممكنًا أن يمسَك يسوع في قبضة الموت.[٢٠٣]

ثم بعد أن سحق يسوع قوة إبليس، قضى مدة أربعين يومًا يلتقي بتلاميذه. قطعًا كانت هذه دورة دراسيَّة

---

[٢٠٢] عبرانيين ٢: ١٤-١٥.

[٢٠٣] أعمال الرسل ٢: ٢٤.

مذهلة عن التعليم الكتابي وحياة القيامة! تخيَّل معني أن تتعلَّم عن الحياة الجديدة، أي حياة القيامة، من ذاك الذي قال: «أَنَا هُوَ ٱلْقِيَامَةُ وَٱلْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى ٱلْأَبَدِ».[٢٠٤]

لكن كيف يمكن لقيامة يسوع من الأموات أن تؤدي إلى قيامة مَن يؤمنون به؟ كيف يمكن — كما يوضح الكتاب المقدس — أن يكون من المستحيل ألا يقوم المؤمنون من الأموات بسبب قيامة يسوع من القبر؟

إليك الفكر الكتابي بشأن هذا:

- نحن «في المسيح».
- ومن ثَمَّ، نحن متحدون معه.
- لا يمكن أن ننفصل البتة عن المسيح.
- أقيم المسيح من الأموات.
- ومن ثَمَّ، لأننا فيه، فقد أُقِمنا من الأموات، وسوف نقوم![٢٠٥]

لهذا السبب توصَف قيامة المسيح بأنها «باكورة» — أي أنها العربون والضمان لمجيء حصاد أخير.[٢٠٦]

إذن، يملك يسوع كملكٍ في خلاصنا.

---

[٢٠٤] يوحنا ١١: ٢٥-٢٦.

[٢٠٥] رومية ٦: ٥.

[٢٠٦] ١ كورنثوس ١٥: ٢٠.

الكون:

يعلِّمنا الكتاب المقدس أن نفكر في مُلك المسيح بطريقة كونيَّة. أحد النصوص المفتاحية في هذا الشأن هو نص كولوسي ١: ١٥-١٧ القائل: «ٱلَّذِي هُوَ صُورَةُ ٱللهِ غَيْرِ ٱلْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ. فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ ٱلْكُلُّ: مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ».

فكِّر معي في علاقة هذا بصف دراسي لمادة علم دراسة الإنسان في أيَّة جامعة علمانيَّة. أو فكِّر في علاقته بطلبة يقرأون التاريخ، أو يدرسون الطب، وسيصبحون أطباء. هل يشكِّل كونك مؤمنًا أيَّ فارق في هذه الحالة؟ هل سيؤثر الإيمان على نظرة هؤلاء للأمور؟

هل يشكِّل هذا فارقًا؟ إن كان لكلمات بولس أي معنى على الإطلاق، فإن هذا قطعًا سيشكل فارقًا:

> فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ ٱلْكُلُّ: مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى ٱلْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ. ٱلْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. ٱلَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ ٱلْكُلُّ.[٢٠٧]

هناك إذن بُعدٌ كوني عظيم في مُلك يسوع. فإن يسوع هو المصدر، والداعم، والهدف لكل النظام المخلوق. «فإن الكون قد خُلق فيه، وفيه يقوم، وعليه يعتمد بصورة مطلقة».[٢٠٨]

---

[٢٠٧] كولوسي ١: ١٦-١٧.

[208] David Wells, What Is the Trinity? Basics of the Faith (Philipsburg, NJ: P&R, 2012), 8–9.

كمؤمنين، علينا أن نتعلَّم كيف نفكر بطريقة صحيحة وكتابيَّة. وبعد هذا، يمكننا مشاهدة القنوات الإخباريَّة، أو قراءة الصحف، أو تصفح أيَّة جريدة، دون أن ننضم إلى صفوف المتجهمين، أو دون أن ننشد مع جوقة الخائفين. فإن وجودنا في المسيح يوسع من آفاقنا ويغيِّر من حياتنا. ويمثل الانحناء أمام سلطان ما يقال عن هذا المسيح الكوني، الذي يملك على الجميع، تجربة مؤثرة ومغيِّرة للفكر. فهي تغير من منظورنا لكل شيء.

لم نكن طلبة بارعين في مادة الفيزياء في المرحلة الثانوية. فإن درجاتنا وتقارير نهاية العام احتوت على جمل من قبيل: «هو قد اتخذ قرارًا أن الفيزياء غير ملائمة له — وهو ثابتٌ على هذا القرار». لكن على الرغم من أننا نقف في حقل ألغام حين يتعلَّق الأمر بالعلوم، لكننا نستطيع رفع أعيننا إلى السماء في المساء، كي نرى النجوم والكواكب، ونحدق في تعجب وذهول في مجرة درب التبانة.

فإن كانت مجرة درب التبانة تحوي، كما يخبرنا علماء الفلك اليوم، عددًا من النجوم يتراوح عددها ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة مليار نجم؛ وإن كانت هذه مجرد مجرة واحدة من مئات المليارات من المجرات — فإننا إذن نحن البشر الذين نتسم بالضآلة في حاجة ماسة إلى نص كولوسي ١: ١٦-١٧ فقط كي نتمكن من الخلود إلى النوم

في المساء، والاستيقاظ في الصباح، شاعرين بأننا نتمتع بأي أمان على الإطلاق في هذا الكون.

ستفيدنا هنا قراءة الكلمات العظيمة التي قالها إشعياء النبي:

ٱرْفَعُوا إِلَى ٱلْعَلَاءِ عُيُونَكُمْ وَٱنْظُرُوا،
مَنْ خَلَقَ هَذِهِ؟
مَنِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا،
يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟[٢٠٩]

وستفيدنا أيضًا هذه الملاحظة التي جاءت في افتتاحية إنجيل يوحنا:

كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.[٢١٠]

كان من شأن هذا الكون أن يصير لغزًا لا يمكن سبر غوره لولا معرفتنا بأن يسوع ملكٌ فيه.

المستقبل:

فضلًا عن رؤية مُلك يسوع خلاصيًّا وكونيًّا، نحتاج أيضًا أن نفكر في المُلك بطريقة مستقبليَّة.

لنعُد إلى المثال السابق عن مخطط «فين» ودوائره المتقاطعة معًا. فقد بدأنا الآن في رؤية كيف تتقاطع الأوصاف الكتابيَّة المختلفة للرب يسوع معًا. فإن الموضوعات والنصوص الكتابية نفسها تتكرَّر باستمرار.

[٢٠٩] إشعياء ٤٠: ٢٦.

[٢١٠] يوحنا ١: ٣.

فلهذا، نكتشف في الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى وجود ترتيب في القيامة. أولاً، المسيح الباكورة، ثم الذين له في مجيئه،

> وَبَعْدَ ذَلِكَ ٱلنِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ ٱلْمُلْكَ لِلهِ ٱلْآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ. لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَمْلِكَ حَتَّى «يَضَعَ جَمِيعَ ٱلْأَعْدَاءِ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». آخِرُ عَدُوٍّ يُبْطَلُ هُوَ ٱلْمَوْتُ.[٢١١]

انظر إلى هذا البساط الرائع الذي نُسِجت عليه صورٌ للمسيح الملك الصاعد إلى السماء. فحقًا، «ذلك الرأس الذي تُوِّج قبلًا بالأشواك، مكلَّلٌ الآن بالمجد».[٢١٢]

وإننا نرى «الغرض» من صعود المسيح متمثِّلًا في سكب الروح القدس كي يسكن داخل شعب الله. فقد صعد يسوع إلى السماء كي يطلب من أبيه أن يفي بوعده، ويرسل الروح إلى خاصته حتى يختبروا كلَّ بركة روحية.[٢١٣] وحين يأتي الروح القدس، سيعظِّم من قدر كلمة الله في حياتنا، وسيوجِّه أعيننا باستمرار نحو ابن الله.[٢١٤] يقع كل هذا ضمن المزايا المجيدة لانتصار المسيح ومُلكه.

ينبغي أن يحتل هذا — شاملًا جميع هذه العناصر — مركز تفكيرنا كمؤمنين. فحقًا، ينبغي أن يتحكَّم هذا البُعد

---

[٢١١] ١ كورنثوس ١٥: ٢٤-٢٦.

[212] Thomas Kelly, "The Head That Once Was Crowned with Thorns," 1820.

[٢١٣] انظر يوحنا ١٤: ١٦-١٧، الذي هو وعد يكمن وراء أعمال الرسل ٢: ٢٣.

[٢١٤] انظر يوحنا ١٦: ١٤-١٥.

المستقبلي في منظورنا عن كل شيء، وقطعًا في الكيفية التي نرى بها العالم.

لكن كيف ينبغي أن يرى المؤمن العالم؟

النظرة الحياتيَّة:

يرى المؤمن العالم بمفردات «الخير، والشر، **والجديد، والكامل**». نعم — الجديد والكامل!

فحين خلق الله الكون، خلق فيه كل شيء، وصنع الكلَّ حسنًا. ثم حدث سقوط الإنسان، وساء حالُ كل شيء. لكن في الرب يسوع المسيح، يصير الكل جديدًا. كما يقول بولس: «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي ٱلْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ».[٢١٥] وحرفيًّا: «إن كان أحد في المسيح — خليقة جديدة». فبقيامة المسيح من الأموات، حدثت عمليَّة تجديد، ستشمل في النهاية الكون بأكمله. «لِأَنَّ ٱلْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ ٱلْفَسَادِ».[٢١٦]

نحن نعيش في انتظار وترقُّب لذلك اليوم الذي فيه ستكتمل الخليقة الجديدة في كل روعتها وكمالها. وحينئذ، سينطرح من هم موطئ لقدمي المسيح أرضًا أخيرًا، مع كثيرين أيضًا، ويعترفون به ملكًا.[٢١٧]

وهكذا، نستطيع أن نتعلَّم أن نبدأ يومنا بالتأكيد على أنَّ «المسيح ملك. يسوع رب!» ثمة أهمية أن ننمي عادة

[٢١٥] ٢ كورنثوس ٥: ١٧.

[٢١٦] رومية ٨: ٢١.

[٢١٧] فيلبي ٢: ١٠-١١.

التأكيد على حقائق الإنجيل المركزيَّة حين نستيقظ في كل صباح جديد، قائلين لأنفسنا: «إن الرب الإله القادر على كل شيء يملك. اليوم هو الخامس والعشرون من شهر يناير (أو أيًّا كان)؛ واليوم، الرب الإله القادر على كل شيء يملك. نعم، قد تصفحتُ الجريدة الليلة الفائتة قبل أن أخلد إلى النوم. وهي في متناول يدي بضغطة زر. كما نظرتُ إلى تقرير القنوات الإخباريَّة بالأمس قبل النوم. قد شاهدتُ كل أخبار غزة، وكل أخبار زيمبابوي. رأيتُ الكثير الذي يمكن أن يسبب الانزعاج والضيق. لكن، يملك المسيح من بداية اليوم وحتى نهايته — كلَّ يوم من أيام حياتي».

لهذا نحب أن نرتل في نهاية اليوم قائلين:

The day Thou gavest, Lord, is ended,	هذا اليوم الذي أعطيتنا إيَّاه يا رب، قد انتهى،
The darkness falls at Thy behest;	والظلام يحلُّ بأمرٍ منك؛
To Thee our morning hymns ascended,	إليك أُصعدت ترنيماتنا الصباحيَّة،
Thy praise shall sanctify our rest.	وحمدك سيقدِّس نومنا.
We thank Thee that Thy church, unsleeping,	نشكرك لأن كنيستك لا تنام،
While earth rolls onward into light,	بينما الأرض تدور حول النور،

هي ساهرة في كل
أنحاء العالم،
لا تستريح نهارًا
أو ليلًا.

Through all the world her
watch is keeping,
And rests not now by day or
night.

وبينما يتجه الفجر نحو يوم
آخر،
فوق قارة
أو جزيرة،
صوت الصلاة
لا يصمت قط،
وطاقة الحمد
لا تخمد.

As o'er each continent and
island
The dawn leads on another
day,
The voice of prayer is never
silent,
Nor dies the strain of praise
away.

إن الشمس نفسها التي يُلزِمنا
غروبها بالراحة
توقِظ إخوتنا تحت سماء
الغرب،
وساعة بعد ساعة
شفاه جديدة،
تسمِّع إلى السماء صوت أعمالك
العجيبة.

The sun that bids us rest is
waking
Our brethren 'neath the
western sky,
And hour by hour fresh lips
are making
Thy wondrous doings heard
on high.[218]

يا لها من صورة مذهلة! فإننا نرى شعب الله في جميع أنحاء العالم. وفيما يخلد سكان منطقة ما إلى النوم، يستيقظ في الآن ذاته سكان منطقة أخرى، ويقولون: «الرب الإله القادر على كل شيء يملُك. هوذا أنا في كوريا

[218] John Ellerton, "The Day Thou Gavest, Lord, Is Ended," 1870.

الشـماليَّة. أنـا عاجـز عـن أن أقـوم بعمـلي في العديـد مـن مجـالات الحيـاة، لكـنَّ يسـوع المسـيح ملـك. وهـوذا أنـا في كوالالمبـور، في الهنـد. هـوذا أنـا». إذن، يسـتيقظ شـعب اللـه في كل سـاعة مـن سـاعات اليـوم كي يحمـدوه في كل توقيـت مـن توقيتـات الـدول. لمـاذا؟ لأنـه يملـك.

بعد هذا يأتي البيت الأخير والانتصاري:

نعم أيها الرب؛ لن يسقط كرسيك البتة،	So be it, Lord; Thy throne shall never,
كما تسقط إمبراطوريَّات الأرض المتباهية؛	Like earth's proud empires, pass away:
إن ملكوتك ثابتٌ، وينمو إلى الأبد،	Thy kingdom stands, and grows forever,
إلى أن تخضع جميع المخلوقات لسيادتك.	Till all Thy creatures own Thy sway.

هـذا هـو مجمـل الأمـر إذن! جميـع إمبراطوريَّـات الأرض المتباهيـة ستسـقط وتـزول، لكـن ملكـوت يسـوع المسـيح سـيظل باقيًـا، وسـينمو، ويسـود — ويـدوم إلى الأبـد.

تطبيقات:

الآن بعـد أن اسـتوعبنا كل هـذا، نسـتطيع أن نـرى كيـف يغـيِّر مُلـك يسـوع مـن نظرتنـا إلى العـالم. ونتيجـة لهـذا، سـيتحكَّم ملكـه في الكيفيَّـة التـي نسـلك بهـا في ذلـك العـالم.

ينبغـي ألا نـصرِّح بـأن «يسـوع المسـيح ملـك»، أو نتشـدق بعبـارات مـن قبيـل «يسـوع المسـيح رب» وكأنهـا تعبـير

فقـط عـن تكريسـنا الشـخصي. سـيبيِّن هـذا إخفاقنـا في فهـم معناهـا الحقيقـي. فحـين كتـب بولـس عـن ذلـك اليـوم الـذي فيـه «تَجْثُـوَ بِٱسْـمِ يَسُـوعَ كُلُّ رُكْبَـةٍ ... وَيَعْـتَرِفَ كُلُّ لِسَـانٍ أَنَّ يَسُـوعَ ٱلْمَسِـيحَ هُـوَ رَبٌّ»،[٢١٩] لم يكـن يصـف تكريـس العابـد، بـل هويَّـة المعبـود. فقـد كان يعلـن الهويَّـة الإلهيَّـة ليسـوع. إن يسـوع ربٌّ. ليـس هـذا تصريحًـا عـن **توجهـي مـن نحـو يسـوع**، بـل هـو تصريـح يعلِـن **مَـن هـو يسـوع**. هـو ربٌّ. والكلمـة اليونانيَّـة المسـتخدَمة هنـا هـي *Kurios*. وفي الترجمـة اليونانيَّـة للعهـد القديـم التـي كانـت موجـودة في عهـد بولـس، كانـت هـذه هـي الكلمـة المعتـادة لترجمـة الاسـم «يهـوه»، الاسـم العظيـم للـه، إلـه العهـد.

بمـا أن يسـوع ربٌّ وإلـهٌ، وملـكٌ ومخلِّـصٌ، فـلا بـد أن يكـون لهـذا تأثـيرٌ عـلى كل الحياة.

عـلى سـبيل المثـال، ليـس لـدي الحـق في تكويـن قناعـات، أو ممارسـة نمـط حيـاة مخالـف لكلمـة ملـكي. ومـن ثـمَّ، لا يمكننـي، عـلى سـبيل المثـال، ابتـداع وجهـات نظـر جديـدة عـن الـزواج، أو إعـادة تعريـف الميـول الجنسـيَّة للبـشر، لأننـي الآن خاضـعٌ تحـت حُكـم الملـك.

كـما لا يمكننـي إعـادة صياغـة وثائـق العهـد الجديـد، أو التجـرُّؤ عـلى التعامـل بعـدم اكـتراث مـع الروايـة التاريخيَّـة الموجـودة في تكويـن ١-١١. ولمـاذا؟ لأن يسـوع ملـك، وهـذه

[٢١٩] فيلبي ٢: ١٠-١١.

كلمة الملك. كما ليس لدي الحق في أن أسلك كما أشاء، بل ينبغي أن يتسم سلوكي بالطاعة لملكي.

سيؤثر مُلك يسوع أيضًا على ممارساتي في العمل. سيؤثر هذا على الكيفيَّة التي أذهب بها إلى العمل صباح الغد، وعلى علاقتي كابنٍ بواليديَّ، أو كوالد مع أبنائي، أو كزوج مع زوجتي، وهكذا.

فضلًا عن ذلك، ليس لديَّ الحق أن أظن أنني أستطيع أن أقصي أو أفصل نفسي عن شعب الله، لأن ربي وملكي هو أيضًا رأس الجسد، الكنيسة. فإنني أستطيع أن أنتفع وأساهم أيضًا بصحبة آخرين قد خضعوا هم أيضًا تحت ربوبيته.

لا يتوقف الأمر عند طاعتنا لوصايا الملك، لكننا أيضًا نستمتع بصحبته. فهو ملك يَسهُل الاقتراب منه، وتبادل الحديث معه.

ليس لدينا الحق في أن نقف في حضرة ملكة بريطانيا، في قصر بيكنجهام في لندن، لكننا نستطيع الوقوف أمام ملك الملوك ورب الأرباب مباشرة. علاوة على ذلك، هو ليس ملكنا فحسب — بل أيضًا مخلِّصنا. وهو ليس مخلصنا فحسب، بل أيضًا صديقنا! فهذا صحيح: «ليس صديق كيسوع البسيط!»[٢٢٠] هكذا إذن، نستطيع أن نتقدم إليه بكل مخاوفنا، وإخفاقاتنا، وضغوطنا، وإحباطاتنا، وخسائرنا،

[220] Johnson Oatman, "There's Not a Friend Like the Lowly Jesus," 1895.

واحتياجات أحبائنا، ونقول: «يا يسوع، أنت الملك على كل هذا. هناك أشياء كثيرة لا نستطيع التحكُّم فيها والتعامُل معها. أشياء كثيرة جدًا تضغط علينا وتسحقنا. لكننا نأتي أمامك الآن». حينئذ، سنتمكَّن من الوقوف على أقدامنا، والخروج لمواجهة اليوم — وجميع الأيام — كي نعلِن هذه الحقائق العظيمة والعجيبة.

لنعد مرة أخرى إلى مدارس الأحد في إسكتلاندا! اعتاد معلِّمونا تعليمنا البعض من أروع التراتيل. وهي لا زالت محفورة في ذاكرتنا — والبعض منها كان مذهلًا بحق. تسلِّط الترتيلة التالية الضوء بالحقيقة على ما تحدثه معرفتنا بأن يسوع ملكٌ من فارق في التفاصيل الدقيقة، واليوميَّة، والعمليَّة من حياتنا. فبأسلوب طفولي، ومرح، وجذاب للأطفال (ألم يكن الأطفال قطعًا يمرحون مع يسوع؟)، تعلِن الترتيلة قوة الإنجيل، قائلة: «هيا الآن، لا ترتبكوا ولا تنسحقوا تحت جميع الأشياء التي تأتي عليكم». تقول الكلمات:

تعالَ غادر منزلك في شارع التذمر	Come leave your house on Grumble Street
واذهب إلى ميدان الشمس الساطعة.	And move to Sunshine Square.
فهناك يقيم يسوع،	For that's the place where Jesus lives,
وهناك ستكون سعيدًا!	And you'll be happy there!

ربما تقول: «هذه ليست كلمات بارعة. كيف كان هؤلاء يعلِّمون الأطفال الصغار هذا النوع من الشعر؟»

لكننا فهمنا الرسالة جيدًا. لم يكن ضروريًّا أن ندرس مرجع لاهوت نظامي كي نفهم الرسالة التي تقدِّمها هذه الترتيلة: «هيا الآن؛ إننا نقول إن يسوع المسيح ملك، لكن لماذا وجوهنا عابسة؟ إن يسوع المسيح ملكٌ؛ أين إذن رجاؤنا؟ إن يسوع المسيح ملك ورب؛ أين إذن حماسنا تجاه الرب يسوع؟ حقًّا نحتاج أن نغادر منزلنا في شارع التذمر، ونذهب إلى ميدان الشمس المشرقة. هناك يوجد يسوع، وهناك سنكون سعداء».

ثم حين تقدَّمنا في العمر، تعلَّمنا كلمات إيزاك واطس العظيمة، التي كُتبت «للكبار»، والتي تُعَد إعادة صياغة رائعة للمزمور الثاني والسبعين: «يسوع يملُك حيثما تشرق الشمس». لهذه الترنيمة ارتباط خاص في أذهاننا بقصة إريك ليدل (Eric Liddell).

في عام ١٩٢٥، كان إريك ليدل في طريقه لمغادرة إسكتلندا للذهاب إلى الصين كمعلِّم مرسَل. كان إريك لاعبًا دوليًّا لكرة القدم الأمريكيَّة، وحصل على ميدالية ذهبيَّة أوليمبيَّة في أولمبيات عام ١٩٢٤ في باريس (الذي يخلد ذكراها فيلم *Chariots of Fire*).

وحين استقلَّ إريك ليدل قطاره من محطة ويفرلي، بمدينة إدنبرة، في خطوته الأولى من رحلته إلى الصين،

احتشد جمع كبير في المحطة لتوديعه. فقد كان نجمًا رياضيًّا صاعدًا. وامتزجت عائلته وأصدقائه بجمع كثير قبالة الشارع. عندئذ، أنزل ليدل زجاج مقصورته، وأخرج رأسه من النافذة، هاتفًا: «المسيح للعالم، لأن العالم يحتاج المسيح!» ثم قاد هذا الحشد الضخم في إنشاد ترتيلة «يسوع يملُك حيثما تشرِق الشمس».

تلك هي الرؤية المشترَكة لشعب الله قديمًا عن مُلك المسيح:

يسوع يملُك حيثما تشرق الشمس	Jesus shall reign where'er the sun
تتوالى جولاته المتعاقبة؛	Does his successive journeys run;
يمتد ملكوته من ضفة إلى الأخرى،	His kingdom stretch from shore to shore,
إلى أن تتعاظم الأقمار، ولا تخبو بعد.	Till moons shall wax and wane no more.
له تُرفَع صلاة لا تتوقف،	To Him shall endless prayer be made,
وتحتشد تسابيح متوِّجة رأسه؛	And praises throng to crown His head;
يرتفع اسمه كبخور عطر،	His Name like sweet perfume shall rise
مع كل ذبيحة صباحيَّة.	With every morning sacrifice.

People and realms of every tongue
Dwell on His love with sweetest song;
And infant voices shall proclaim
Their early blessings on His Name.

أناس وعوالم من
كلِّ لسان،
يتأملون في محبته بأعذب
الألحان؛
وأصوات الرضع
تنطق
مباركة
اسمه.

Blessings abound where'er He reigns;
The prisoner leaps to lose his chains;
The weary find eternal rest,
And all the sons of want are blessed.

تكثر البركات
حيثما يملك؛
والسجين يطفر محلولًا من
قيوده؛
يجد المتعب راحة أبدية،
ويُبارَك جميع
أبناء العِوَز.

Where He displays His healing power,
Death and the curse are known no more:
In Him the tribes of Adam boast
More blessings than their father lost.

حيث يُظهِر
قوته الشافية،
لا يُرَى الموت
واللعنة بعد:
به تفتخر
عشائر آدم
لأجل بركات فاقت ما فقده
أبوهم.

ليقف كل مخلوق ويقدِّم	Let every creature rise and bring
إكرامًا خاصًا لملكنا؛	Peculiar honors to our King;
ولتنزل الملائكة منشدة مرة أخرى،	Angels descend with songs again,
ولتردِّد الأرض آمين مدوية!	And earth repeat the loud amen!

قيلت هذه الكلمات في العشرينات من القرن العشرين في إدنبرة.[٢٢١]

واليوم، قد مرَّ قرن من الزمان.	It is now a century later.
كان يسوع المسيح ملكًا آنذاك.	Jesus Christ was King then.
ولا يزال يسوع المسيح ملكًا اليوم.	Jesus Christ is still King now.
ابتهجوا، يا قديسي الله.	Cheer up, you saints of God.

[٢٢١] توفي إريك ليدل في معتقل صيني في الحادي والعشرين من شهر فبراير من عام ١٩٤٥. وكانت كلماته الأخيرة التي سُجِّلت هي: «هذا استسلام تام».

الفصل الخامس
يسوع المسيح،
ابن الإنسان

تعـرَّف الكثـير مـن المسـيحيين عـلى مصطلـح «ابـن الإنسـان» منـذ أن كانـوا أطفـالاً في مـدارس الأحـد. فربمـا تعلَّمـوا هنـاك أنـه بمـا أن يسـوع إلـه وإنسـان في آن واحـد، فـإن الكتـاب المقـدس إذن يدعـوه «ابـن اللـه» و«ابـن الإنسـان».[٢٢٢]

حقًّـا إن يسـوع إلـه وإنسـان في آن واحـد، ولكـن يعنـي لقـب «ابـن الإنسـان» أكـثر بكثـير مـن مجـرد كونـه إنسـانًا.

أصل المصطلح:

يعـود أصـل اسـتخدام يسـوع نفسـه لهـذا اللقـب جزئيًّـا إلى الأصحـاح السـابع مـن سـفر دانيـال. فقـد شـاهد دانيـال رؤى

[٢٢٢] يرجـع أصـل طريقـة التفكـير هـذه إلى البعـض مـن أقـدم الكُتَّـاب المسـيحيين مثـل جاسـتن مارتـر (١٠٠–١٦٥)، وإيرينـاؤس أسـقف ليـون (١٣٠–٢٠٠)، لكـن يبـدو واضحًـا أن هـذه طريقـة تفكـير لا تليـق بالتعليـم الكتـابي.

نبويـة فـوق طبيعيـة، كانـت البعـض منهـا شـبيهة بالكوابيـس. وقعـت تلـك الرؤيـا المسـجَّلة في الأصحـاح السـابع مـن سـفر دانيـال في السـنة الأولى مـن حُكـم بيلشـاصر ملـك بابـل. رأى دانيـال أربعـة حيوانـات صاعـدة مـن البحـر بـكل مـا فيهـا مـن قـوة مروِّعـة. ثـم حـين نظـر إلى مـا وراء البحـر نحـو السـماء، رأى مـا يـلي:

كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ
وُضِعَتْ عُرُوشٌ
وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ.
لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ
وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ
وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ
وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ.
نَهْرُ نَارٍ جَرَى
وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ.
أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ
وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ.
فَجَلَسَ الدِّينُ
وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ.

كُنْـتُ أَنْظُـرُ حِينَئِـذٍ مِـنْ أَجْـلِ صَـوْتِ الْكَلِـمَاتِ الْعَظِيمَـةِ الَّتِـي تَكَلَّـمَ بِهَـا الْقَـرْنُ. كُنْـتُ أَرَى إِلَى أَنْ قُتِـلَ الْحَيَـوَانُ وَهَلَـكَ جِسْـمُهُ وَدُفِـعَ لِوَقِيـدِ النَّـارِ. أَمَّـا بَاقِـي الْحَيَوَانَـاتِ فَنُـزِعَ عَنْهُـمْ

سُـلْطَانُهُمْ وَلَكِـنْ أُعْطُـوا طُـولَ حَيَـاةٍ إِلَى زَمَـانٍ وَوَقْـتٍ.

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ
وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ
مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى
وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ
فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ.
فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا
وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا
لِتَتَعَبَّدَ لَهُ
كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ.
سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ
مَا لَنْ يَزُولَ
وَمَلَكُوتُهُ
مَا لاَ يَنْقَرِضُ.[٢٢٣]

ثـم بعـد بضعـة أعـداد، قـدَّم لنـا دانيـال المزيـد مـن الوصـف التفصيـلي لمشـهد المحاكمـة هـذا:

فَيَجْلِسُ الدِّينُ
وَيَنْزِعُونَ عَنْهُ سُلْطَانَهُ
لِيَفْنُوا وَيَبِيدُوا إِلَى الْمُنْتَهَى.
وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ
وَعَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ

[٢٢٣] دانيال ٧: ٩-١٤.

تُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ.
مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ
وَجَمِيعُ السَّلاَطِينِ إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ وَيُطِيعُونَ.
إِلَى هُنَا نِهَايَةُ الأَمْرِ.[٢٣٤]

نظـرًا لكـون كلينـا مـن إسـكتلاندا، لم تنشـأ لدينـا قـط تلـك القـدرة الفطريـة عـلى إطـلاع أشـخاص ليسـت لدينـا معرفـة بهـم عـلى صـور لعائلاتنـا. لكـن حـين ننظـر نحـن إلى صـور أبنائنـا عـلى مـدار السـنوات، نلاحـظ فيهـم أحيانًـا سـمات مميَّـزة — ربمـا الطريقـة التـي يقفـون أو ينظـرون بهـا — لطالمـا كانـت لديهـم منـذ الصغـر. ويفاجئنـا مـدى عمـق تأصُّـل بعـض هـذه السـمات الشـخصية فيهـم.

كذلـك أيضًـا، حـين نتطلَّـع إلى «الصـور» الكتابيـة للـرب يسـوع المسـيح، نـري سـمات متأصلـة وراسـخة بعمـق شـديد داخـل اللوحـة الكتابيـة التـي تصـوِّر شـخصه وعملـه. وتقـع صورتـه كابـن الإنسـان ضمـن هـذه الفئـة مـن السـمات.

ففـي الأناجيـل، يُطلِـق يسـوع لقـب «ابـن الإنسـان» عـلى نفسـه في حـوالي خمسـين موقـف **مختلـف** (دون حسـاب النصـوص المتوازيـة). ربمـا صـارت هـذه الأقـوال مألوفـة لدينـا بشـدة لدرجـة أننـا نـادرًا مـا نتوقـف للتأمـل فيهـا، أو لملاحظـة أوجـه الشـبه والاختـلاف بـين القرائـن التـي تـرد فيهـا.

[٢٣٤] دانيال ٧: ٢٦-٢٨.

هـل لاحظـتَ مـن قبـل، عـلى سـبيل المثـال، أنـه في الخمسـين مـرة التـي دُعـي فيهـا يسـوع «ابـن الإنسـان» في الأناجيـل كان المتحـدث دائمًـا — هـو يسـوع نفسـه؟ لم يطلـق عليـه أيُّ شـخص آخـر في الأناجيـل اسـم «ابـن الإنسـان».[٢٢٥] ببسـاطة إذن، وبُنـاءً عـلى هـذه الإحصائيـات، نسـتطيع أن نقـول إن لقـب «ابـن الإنسـان» كان هـو اللقـب الـذي يفضِّـل يسـوع إطلاقـه عـلى نفسـه. وحـين نقـوم بتحليـل الخمسـين مـرة المختلفـة التـي اسـتخدم فيهـا يسـوع هـذا اللقب، سـيبدو واضحًـا تمامًـا أن هـذا كان، بحسـب رأيـه، هـو الوصـف الأكـثر شـمولًا لهويتـه، ولعملـه، ولدلالـة خدمتـه.

وحـين نقـرأ كلـمات يسـوع، لـن يسـاورناأ أدنى شـك في أنـه كان يـرى رؤيـا دانيـال في خلفيـة صورتـه كابـن الإنسـان. وفي تلـك الرؤيـا، نجـد ثلاثـة عنـاصر:

مُلك الله العتيد أن يأتي:

العنـصر الأول في الرؤيـا هـو نبـوةٌ عـن مُلـك اللـه العتيـد أن يـأتي. ففـي الرؤيـا التـي رآهـا دانيـال، أُطلِـق العنـان لقوات شـيطانية:

> أَجَـابَ دَانِيـآلُ وَقَـالَ: كُنْـتُ أَرَى فِي رُؤْيَـايَ لَيْـلاً وَإِذَا بِأَرْبَـعِ رِيَـاحِ السَّـمَاءِ هَجَمَـتْ عَـلَى الْبَحْرِ الْكَبِـيرِ. وَصَعِدَ مِـنَ الْبَحْـرِ أَرْبَعَـةُ حَيَوَانَـاتٍ عَظِيمَـةٍ هَذَا مُخَالِـفٌ ذَاكَ.

---

[٢٢٥] يوحنا ١٢: ٣٤ هـو اسـتثناء ظاهـريّ فقـط، لأن الجمـوع كانـوا فقـط يقتبسـون كلمات المسـيح نفسـه. أمـا خـارج الأناجيـل فالاسـتثناء الوحيـد لهـذه القاعـدة يـرد في كلـمات اسـتفانوس الرائعـة في أعـمال الرسـل ٧: ٥٦.

الأَوَّلُ كَالأَسَدِ وَلَهُ جَنَاحَا نَسْرٍ. وَكُنْتُ أَنْظُرُ حَتَّى انْتَتَفَ جَنَاحَاهُ وَانْتَصَبَ عَنِ الأَرْضِ وَأُوقِفَ عَلَى رِجْلَيْنِ كَإِنْسَانٍ وَأُعْطِيَ قَلْبَ إِنْسَانٍ. وَإِذَا بِحَيَوَانٍ آخَرَ ثَانٍ شَبِيهٍ بِالدُّبِّ فَارْتَفَعَ عَلَى جَنْبٍ وَاحِدٍ وَفِي فَمِهِ ثَلاَثُ أَضْلُعٍ بَيْنَ أَسْنَانِهِ فَقَالُوا لَهُ: قُمْ كُلْ لَحْمًا كَثِيرًا. وَبَعْدَ هَذَا كُنْتُ أَرَى وَإِذَا بِآخَرَ مِثْلِ النَّمِرِ وَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةِ طَائِرٍ. وَكَانَ لِلْحَيَوَانِ أَرْبَعَةُ رُؤُوسٍ وَأُعْطِيَ سُلْطَانًا. بَعْدَ هَذَا كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا بِحَيَوَانٍ رَابِعٍ هَائِلٍ وَقَوِيٍّ وَشَدِيدٍ جِدًّا وَلَهُ أَسْنَانٌ مِنْ حَدِيدٍ كَبِيرَةٌ. أَكَلَ وَسَحَقَ وَدَاسَ الْبَاقِيَ بِرِجْلَيْهِ. وَكَانَ مُخَالِفًا لِكُلِّ الْحَيَوَانَاتِ الَّذِينَ قَبْلَهُ. وَلَهُ عَشَرَةُ قُرُونٍ. كُنْتُ مُتَأَمِّلًا بِالْقُرُونِ وَإِذَا بِقَرْنٍ آخَرَ صَغِيرٍ طَلَعَ بَيْنَهَا وَقُلِعَتْ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْقُرُونِ الأُولَى مِنْ قُدَّامِهِ وَإِذَا بِعُيُونٍ كَعُيُونِ الإِنْسَانِ فِي هَذَا الْقَرْنِ وَفَمٍ مُتَكَلِّمٍ بِعَظَائِمَ.[٢٢٦]

ارتعب دانيال فسأل: «أما مِن أحد يفسِّر لي هذا؟» ثم اقترب من أحد الشخصيات الغريبة التي كانت في الرؤيا، «وَطَلَبْتُ مِنْهُ الْحَقِيقَةَ.»[٢٢٧]

هذه سمة شائعة في الأدب **الرؤيوي**، نجدها أيضًا في سفر الرؤيا.[٢٢٨] فقد كان كلٌّ من دانيال والرسول يوحنا

[٢٢٦] دانيال ٧: ٢-٨.

[٢٢٧] دانيال ٧: ١٦.

[٢٢٨] رؤيا ٧: ١٣-١٤.

ينجذبان بشدة إلى واقع الرؤى حتى بدا وكأنهما يخطوان داخل العالم الذي يشاهدانه، ويصبحان جزءًا من الرؤيا. إن جاز التعبير، هما لا يصبحان بعد متفرجين من الخارج، بل يدخلان الرؤيا، ويشاهدان نفسيهما وكأنهما جزءٌ منها! فقد كانا يشعران وكأن حياتهما عالقة بشكل ما داخل معنى ودلالة ما يشاهدانه، ولذلك سألا: «أما من أحد يفسِّر هذا؟»

كان لرؤيا دانيال معنى. فقد كانت هذه الحيوانات تمثل سلاطين أو ممالك ستظهر في الأرض وتُتلِفها. كانت الصورة مروِّعة. فقد شُنَّت حرب على القديسين. لكن ظل عرش الله مثبَّتًا في السماء، وكان عمل ابن الإنسان هو الضامن لسلامة ملكوت الله. فقد أُعطِي ابن الإنسان سلطانًا ومجدًا وملكوتًا، وفي النهاية «عَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ تُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ».[٢٢٩]

هذه إذن صورة مرئية مجسَّمة لتاريخ العالم باعتباره بيئة الصراع بين ملكوت الله وقوات الظلمة. أليست هذه نسخة طبق الأصل من تكوين ٣: ١٥ في هيئة رؤيا؟ تنبأ دانيال عن أزمنة فيها ستظهر قوات الظلمة بسلطان هائل وقوة تخريبية شديدة، حتى سيبدو وكأن هزيمة ملكوت الله أمرًا مرجَّحًا. لكن بعد ذلك يُعطى دانيال هذا اليقين والتشجيع الرائع: بأن ملكوت الله سيسحق كافة الممالك

[٢٢٩] دانيال ٧: ٢٧.

الأخرى. تكررت هذه الفكرة في السفر. فإن ممالك ستأتي، وممالك ستمضي، وإمبراطوريات ستقوم وتسقط. لكن ملكوت الله سيَثبُت، ويبقى إلى الأبد. فإن الرؤيا بأكملها صورة رائعة، ووعدٌ بانتصار الله.

الدينونة الأكيدة للشر:

ثانيًا، يتضمن هذا المشهد نبوة رائعة عن دينونة الشر العتيدة أن تأتي.

بما أننا نستطيع اليوم قراءة نصوص العهد القديم بدرجة ٦/٦ من الوضوح باستخدام نظارة العهد الجديد، فإننا نعلم جيدًا أن نبوات العهد القديم تتحقق أحيانًا على مراحل. فإن متسلق الجبال المتمرس يعلَم أن القمة الصغيرة التي يراها أمامه ليست سوى أحد مراحل صعوده إلى القمة الأعلى للجبل.

تتَّسم بعض رؤى العهد القديم بهذه الصفة. فهي ترسم لنا صورة عن نصرة الله الجبَّارة، ولكن حين تتكشَّف هذه النصرة تدريجيًّا عبر التاريخ، نجدها تتحقق على مراحل. فإننا نصادف قمم صغيرة ومحطات على طول الطريق قبل بلوغ القمة الأعلى في النهاية.

هذا هو ما نجده هنا. فإن ملكوت الله سيثبُت، وسلطان الظلمة سيُقهَر. ولكن في أثناء تصاعُد مسار تاريخ الفداء، نكتشف مجموعة من القمم الصغيرة قبل بلوغ الإبادة النهائيَّة لمملكة الظلمة.

كان دانيال يتطلَّع إلى الأمام وإلى الأعلى. ففي الرؤيا، بدت النصرة وكأنها حدث واحد وحيد. ولكننا نعلَم الآن من خلال العهد الجديد أنه في حين قد جاء ملكوت الله بالفعل في المسيح، لكنه لم يكتمل بعد. فإننا نعيش اليوم بين قمتين — إحداهما تُسمى البداية أو التأسيس والأخرى تُسمي الاكتمال. تم تَسلُّق قمة منهما بالفعل في موت الرب يسوع، وقيامته، وصعوده، وجلوسه على العرش. وسيتم تسلق القمة الأخرى في النهاية عند مجيئه ثانية في مجد.

ففي خدمة ربنا يسوع، بدأت دينونة الشر العتيدة أن تأتي، والتي وصفها دانيال. فقد قال يسوع: «اَلآنَ دَيْنُونَةُ هَذَا الْعَالَمِ، اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ خَارِجًا».[٢٣٠] طُرح رئيس هذا العالم خارجًا بموت المسيح وقيامته، لكنه لم يُطرح بعد في بحيرة النار.[٢٣١]

ثم بدأ دانيال يدرك الأمر. فقد رأى عروشًا توضَع في السماء، وظهر القديم الأيام، جالسًا على عرشه:

كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ
وُضِعَتْ عُرُوشٌ
وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ.
لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ

---

[٢٣٠] يوحنا ١٢: ٣١.

[٢٣١] رؤيا ٢٠: ١٠.

وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ
وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ
وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ.
نَهْرُ نَارٍ جَرَى
وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ.
أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ
وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ.
فَجَلَسَ الدِّينُ
وَفُتِحَتِ الأَسْفَارُ.[٢٣٢]

ثم بعد هذا، جاء ابن الإنسان من بعيد راكبًا سحب السماء، إن جاز التعبير، وأتى إلى القديم الأيام:

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ
وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ
مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى
وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ
فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ
فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا
وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا
لِتَتَعَبَّدَ لَهُ
كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ.
سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ

[٢٣٢] دانيال ٧: ٩–١٠.

مَا لَنْ يَزُولَ
وَمَلَكُوتُهُ
مَا لاَ يَنْقَرِضُ.[٢٣٣]

أتى ابـن الإنسـان إلى مصـدر السـلطة المُطلَقـة. لم تكـن هذه السـلطة آنـذاك كامنـة سـواء في أورشـليم أو في بابـل. كـما أنهـا لا تكمُـن اليـوم في واشـنطن العاصمـة، أو في لنـدن، أو في بكـين. ولكنهـا كامنـة بشـكل حـصري في القديـم الأيـام، الجالـس عـلى العـرش. والآن يشـترك ابـن الإنسـان الـذي أتى إلى القديـم الأيـام في هـذه السـلطة وفي هـذه القـوة، وسـيظل كذلـك إلى الأبـد.

بينـما كان دانيـال يتطلَّـع إلى هـذا، ويتـوق إلى فهمـه، كان في الحالـة نفسـها التـي كان عليهـا إشـعياء، أو حزقيـال، أو أيٌّ مـن الأنبيـاء الآخريـن. يصـف بطـرس هـؤلاء الرجـال بأنهـم فتشـوا وبحثـوا «بَاحِثِـينَ أَيُّ وَقْـتٍ أَوْ مَـا الْوَقْـتُ الَّـذِي كَانَ يَـدُلُّ عَلَيْـهِ رُوحُ الْمَسِـيحِ الَّـذِي فِيهِـمْ، إِذْ سَـبَقَ فَشَـهِدَ بِـالآلاَمِ الَّتِـي لِلْمَسِـيحِ وَالأَمْجَـادِ الَّتِـي بَعْدَهَـا».[٢٣٤]

يمكننـا إذن أن نتخيـل دانيـال هكـذا: فقـد رأى تلـك الصـور الملوَّنـة عاليـة الجـودة، لكنـه لا يـزال يحـك رأسـه متسـائلًا: «مـن هـي شـخصية ابـن الإنسـان هـذه؟ ومتـى سـيأتي؟ ومـا معنـى كل هـذا؟»

---

[٢٣٣] دانيال ٧: ١٣-١٤.

[٢٣٤] ١ بطرس ١: ١١.

لكن مع أن الكثير جدًا من تفاصيل النبوة لم تكن قد تحققت بعد، تشدَّدت نفس دانيال بهذه الرؤيا العظيمة، في وقت ضيق وكرب شديد. فقد رأى، نظير إشعياء، لمحة خاطفة من جلال الله وعظمته في السماء. ونظير إشعياء أيضًا، صار على وعي بوجود شخصية أخرى، وإن كانت هويتها لم تزل مجهولة، هو «العبد المتألم»، بحسب إشعياء، و«ابن الإنسان»، بحسب دانيال.

وحين يُغلق هذا الباب الذي دخل منه دانيال، والمؤدِّي إلى السماء، سيصير قادرًا على الرجوع إلى الواقع، والعيش في الحاضر في ضوء نصرة الله. ولكنه صار يعلم الآن أن ابن الإنسان لا بد أن يظهر أولاً. وفقط بعد ذلك، سيتقدَّم إلى عرش العلي كي يتسلَّم مملكته. ولكن حتى ذلك الحين، وبينما كان يعيش في بابل في أزمنة متقلبة وعصيبة، سيتمكَّن من تَذَكُّر أن الله جالس على العرش، وأن الملكوت سيُعطى لابن الإنسان يومًا ما في المستقبل. فقد رأى الأسفار تُفتح، والقديم الأيام يُمارس الحُكم، وسلطان الحيوانات يُباد. كما رأى أن الحُكم سيُعطى لقديسي العلي، وأنهم سيصبحون شركاء في رخاء الملكوت.

وفي تلك الصورة عن يسوع، كان الشيء اللافت للنظر هو أنه لم يُفصَل عن شعبه قط. ينطبق هذا على كل جانب من جوانب خدمة يسوع — كنبي، وككاهن، وكملك؛ وهذا لأن عمله مرتبطٌ دائمًا بمنحنا البركة. فكما

سنرى، كانت خدمته كعبد متألم هي أيضًا بالنيابة عن شعبه. وكانت نصرة ابن الإنسان المشار إليها هنا هي لأجل قديسي العلي. ولذلك، يُختَتَم هذا المقطع بهذه الصورة المذهلة:

وَسَتُعْطَى السِّيَادَةُ
عَلَى كُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ
وَسُلطَانُهَا وَمَجْدُهَا لِقِدِّيسِي اللهِ العَلِيِّ.
وَسَتَكُونُ مَملَكَتُهُمْ مَملَكَةً أَبَدِيَّةً.
وَسَتَخْضَعُ لَهُمْ جَمِيعُ السُّلُطَاتِ وَتَخْدِمُهُمْ وَتُطِيعُهُمْ.[٢٣٥]

في حقيقة الأمر، كانت هذه أحد التعاليم الأولى التي علَّمها يسوع لتلاميذه. فبعد أن كرز بإنجيل الملكوت، وأظهر قوته المغيِّرة بواسطة أعماله القديرة، تابع معلِّمًا تلاميذه عن الحياة داخل هذا الملكوت. وقد ردَّدت بعض الكلمات الأولى من عظته على الجبل صدى هذه الرؤيا عينها: «طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ».[٢٣٦] هناك إذن خطوط تربط ما بين الأصحاح السابع من سفر دانيال وأسفار العهد الجديد، من خلال تتميمها في الرب يسوع المسيح.

لدينا هنا إذن وعد عن مُلك الله العتيد أن يأتي، ووعدٌ عن دينونة الشر العتيدة أن تأتي.

---

[٢٣٥] دانيال ٧: ٢٧ (الترجمة العربية المبسطة).

[٢٣٦] متى ٥: ٥.

لكـن العنـصر الثالـث الـذي ينبغـي ملاحظتـه هنـا هـو الوعـد الرئيـسي في هـذا المقطـع.

وعد «ابن الإنسان»: دلالة اللقب

في ضـوء هـذه الخلفيـة الموجـودة في الأصحـاح السـابع مـن سـفر دانيـال، صرنـا نُـدرِك أن اسـتخدام يسـوع للقـب «ابـن الإنسـان» يتعـدَّى كونـه مجـرد تشـديد عـلى ناسـوته في مقابـل لاهوتـه. فـإن الصـورة التـي ترسـمها الرؤيـا هـي صـورة نـصرة، وبهـاء، بـل ومجـد لا مثيـل لـه. فإننا نـرى ابـن الإنسـان متقدِّمًا إلى عـرش العـلي، القديـم الأيـام، مسـتلمًا السـلطان عـلى الكـون بـأسره. لا يمكـن إذن أن يُفـسَّر هـذا اللقـب بأنـه تشـديد عـلى الاتِّضـاع وليـس عـلى الجـلال العظيـم! فقـد احتـوت الرؤيـا، بشـكل مـا، عـلى كلا البُعديـن.

ما معنى هذه الرؤيا، إذن؟

سفر حزقيال:

في العهـد القديـم، يظهـر تعبـير «ابـن آدم» في سـفر حزقيـال في غالبيـة الأحيـان في سـياق مخاطبـة اللـه للنبـي بصـورة شـخصية.[٢٣٧] فـإن اللـه هـو اللـه، وحزقيـال هـو «مجـرَّد» انسـان، ولذلـك، كان عـلى حزقيـال أن يسـتودع نفسـه بالكامـل للـه في المهمـة المُوكَلـة إليـه.

ولكـن يبـدو أيضًـا أن تعبـير «ابـن آدم» كان يميِّـز حزقيـال

[٢٣٧] مثـلاً، في حزقيـال ٢: ١، ٣، ٦، ٨. يحتـوي سـفر حزقيـال عـلى ٩٣ إشـارة إلى هـذا التعبـير مـن أصـل ١٠٧ إشـارة إليـه في كل العهـد القديـم.

عـن الآخريـن — فقـد كان حزقيـال إنسـانًا أمينًـا، أي إنسـانًا كـما ينبغـي أن يكـون. فقـد كان تعبـير «ابـن فـلان» أسـلوبًا في اللغـة العبريـة يعنـي أن هـذا الشـخص «يمتلـك خصائـص كـذا، أو يتصـف بكـذا، أو تظهـر عليـه علامـات كـذا». فتعبـير «ابـن الهـلاك»، مثـلًا، كان يعنـي أن الهـلاك كان في طبيعـة ذلـك الشـخص.[٢٣٨]

فَكِّـر معـي في اللقـب الـذي أطلقـه يسـوع عـلى يعقـوب ويوحنـا (ربمـا أطلـق يسـوع ألقابًـا عـلى جميـع التلاميـذ): فقـد عُرفـا باسـم بُوَانَرْجِـسَ، أَيِ «ٱبْنَـيِ ٱلرَّعْـدِ». كان يسـوع يقصـد بهـذا أن شـخصية هذيـن التلميذيـن كانـت شـبيهة بالرعـد. فقـد أرادا ذات مـرة أن تنـزل نـار مـن السـماء عـلى السـامريين.[٢٣٩] (لم يكـن سـمعان بطـرس هـو التلميـذ الوحيـد الـذي كانـت تطلعاتـه تفـوق إمكانياتـه!). هكـذا إذن، حـين يسـتخدم الكتـاب المقـدس تعبـير «ابـن آدم»، فـإن أحـد الجوانـب الضمنيـة مـن معنـاه هـو أن هـذا «إنسـان كـما ينبغـي أن يكـون».

بالإضافـة إلى ذلـك، حـين خاطـب اللـه حزقيـال مسـتخدمًا تعبـير «ابـن آدم»، يبـدو أن التعبـير كان يحمـل طابعًـا خفيفًـا مـن المـودة — ربمـا شـبيه بأسـلوب مخاطبـة رجـل بريطـاني مـن القـرن الثامـن عـشر لصديـق مقـرَّبٍ لـه (*My dear man*).

---

[٢٣٨] يوحنا ١٧: ١٢.

[٢٣٩] لوقا ٩: ٥٤.

لم تكن هذه هي الصيغة «العادية» التي كان الله يخاطب بها البشر. لكن أيضًا من الجدير بالملاحظة أن هذا التعبير قد استُخدِم في سفر حزقيال **دون أداة التعريف**.[٢٤٠] فإن حزقيال هو ابن آدم، أو ابن إنسان،[٢٤١] وليس «ابن الإنسان»! فإن الرب يسوع هو وحده ابن الإنسان.[٢٤٢]

المزمور الثامن:

يظهر المصطلح مرة أخرى، وبصورة ملحوظة، في المزمور الثامن، في السؤال التالي: «فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ!»[٢٤٣]

يُعَد المزمور الثامن تأمُّلًا في الخليقة، وفي صلاح الله المطلَق، المتمثِّل في تنازله كي يخلق الإنسان على صورته وكشبهه. فإننا لا نساهم بأي شيء في وجودنا، ومع ذلك أغدق الله علينا بامتيازات — وقد فعل ذلك مع آدم أولاً.[٢٤٤] فإن ابن آدم هو صورة الله، الذي حظى بامتياز أن يشغل وظيفة ثلاثية نوعًا ما. فقد كان ينبغي أن يكون النبي الذي ينقل كلمة الله إلى كل الخليقة. وكان ينبغي أيضًا أن يكون الكاهن، الذي يصيغ العبادة الواجبة على جميع مخلوقات الله في صورة صحيحة وسليمة. وأخيرًا،

---

[٢٤٠] المترجم: هذا غير واضح في الترجمة العربية.

[٢٤١] المترجم: في الترجمة الإنجليزية، كلمة «آدم» هي نفسها كلمة «إنسان» (man).

[٢٤٢] وجود أداة التعريف في تعبير «ابن الإنسان» في اللغة الأصلية هو نمط ثابت في الأناجيل. يرد الاستثناء الوحيد في يوحنا ٥: ٢٧.

[٢٤٣] مزمور ٨: ٤.

[٢٤٤] تكوين ١: ٢٦-٢٨.

كان ينبغي أن يكون الملك الذي يمارس حُكمه وسلطته.

ومن ثَمَّ، يبدو أن خلفية إطلاق يسوع هذا اللقب على نفسه كانت تكمُن في خلق آدم، وفي خدمة حزقيال، وفي رؤيا دانيال.

إن يسوع هو الإنسان الحقيقي كما ينبغي أن يكون، أو، بحسب تعبير مارتن لوثر، هو «الإنسان الأصيل».[٢٤٥] فهو «الإنسان كما خُلق ليكون»، أو «الإنسان الذي يتمِّم الغرض من وجود الإنسان».

الصورة الكبرى:

في النهاية، هذه فعليًّا هي الصورة الكبرى والعامة للكتاب المقدس. فقد أخطأ آدم الأول، ابن الإنسان الأول، وسقط؛ لكن يسوع هو الإنسان الثاني و«آدم الأخير».[٢٤٦] خُلِق آدم ليكون ابن الإنسان، وليمارس السلطة نيابة عن الله. وكما ذكرنا في الفصل الأول، اقتضت دعوة آدم أن يستلم الجنة الصغيرة التي أعطاها الله له، ثم، بصفته سيدًا على **هذا الكون المصغَّر** (*microcosmos*)، كان عليه أن يعكس طبيعة الله العظيمة الظاهرة في سيادته على **الكون الأكبر** (*macrocosmos*).

أراد الله بهذا أن يستمتع آدم بالدخول في «تجربة مشترَكة» معه، من شأنها أن تعزز من فرح الشركة بينهما،

---

[245] Martin Luther, "A Mighty Fortress Is Our God," 1529.

[٢٤٦] ١ كورنثوس ١٥: ٤٥.

ومـن تلـذُّذ أحدهـما بالآخـر، كأب وابـن. بـدا إذن وكأن اللـه كان يقـول:

> الآن يـا آدم، كي نسـتمتع بصحبـة أحدنـا الآخـر، سـأريك عينـة مـما أعرفـه وأسـتمتع بـه عـلى نحـو غـير محـدود، كخالـق ومُدبِّـر. إليـك جنـة صغـيرة الحجـم. سـأعطيك نقطـة انطـلاق. وأريـد منـك أن تكـون سـيدًا ليـس عـلى هـذه الجنـة فحسـب، بـل أن تتسـلَّط عـلى كلِّ شيء عـلى الأرض. وفيـما يحـدث ذلـك، ستكتشـف أنـك تـزداد أكـثر فأكـثر في معرفتـك بي، وفي محبتـك لي! بالإضافـة إلى ذلـك، سيتسـنَّى لي أن أحبـك أكـثر فأكـثر، حـين كأبٍ أشـاهدك يـا بُنـي وأنـت تتقـدَّم في إمكانياتـك، وفي فهمـك ومحبتـك لي. سـيكون لدينـا الكثـير لنتحـدَّث فيـه وأنـت تتقـدَّم نحـو الكـمال!

بكلـمات بسـيطة، أراد اللـه، الآب السـماوي، أن يدخـل ابنه معـه في «تجـارب مشـترَكة» مـن شـأنها أن تـؤدي إلى تعمُّـق مسـتمر للشركـة بينهـما. لا يتوقـف هـذا فقـط عنـد الاعتنـاء بالجنـة، وتوسـيع نطاقهـا، بـل يصـل الأمـر إلى اشـتراك الإنسـان مـع اللـه في «فعـل خلـق ثانـوي»، بـأن يصـير هـو نفسـه أبًـا.

فَكِّـر معـي في كلـمات يسـوع (هـل تعكـس هـذه الكلمات، ربمـا، تجربتـه الشـخصية في ورشـة يوسـف للنجـارة؟): «لاَ يَقْدِرُ الاِبْـنُ أَنْ يَعْمَـلَ مِـنْ نَفْسِـهِ شَـيْئًا إِلاَّ مَـا يَنْظُـرُ الآبَ يَعْمَـلُ».

ولاحقًا: «الْكلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ.»[٢٤٧]

هذا هو ما يعنيه أن تكون ابن الإنسان. يعني هذا أن تكون مخلوقًا على صورة الله، وأن تتمم القصد الذي عيَّنه الله لك، الشيء الذي سيُنتِج عالمًا منظَّمًا ومكتملًا، كجنة الله، يمتد إلى أقصى الأرض.[٢٤٨] إذن، يشمل استخدام يسوع لتعبير «ابن الإنسان» بداخله كل ما يلي: الخلق على صورة الله، والشركة معه في الحياة، واختبار محبته ومودته، ونوال مصير مجيد. فإنه هو الذي يتمِّم كل هذا.

في أيِّ اتجاه؟

لكن يوجد شيء إضافي في رؤيا دانيال عن ابن الإنسان. فحين ظهر ابن الإنسان لأول مرة في الرؤيا، **إلى أين كان متجهًا؟**

من المؤكَّد أن هذا سؤال غريب.

انظر مجددًا إلى الأصحاح السابع من سفر دانيال، واطرح على نفسك الأسئلة التالية: متى قيل إن ابن الإنسان **جاء**؟ وفي أي **اتجاه** كان **آتيًا**؟ ومِن أين أتى؟

كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ
وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ
مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ.

---

[٢٤٧] يوحنا ٥: ١٩؛ ١٧: ٧-٨.

[٢٤٨] انظر رؤيا ٢١-٢٢ حيث يتبين أن أورشليم الجديدة هي مدينة حدائق وبساتين (أي مثل جنة عدن).

من أين جاء؟ وإلى أين كان ذاهبًا؟
أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ.[٢٤٩]

لماذا يشكِّل هذا أهمية؟

لأننا نميل إلى التسليم بأننا كلما قرأنا عن يسوع، ابن الإنسان، «آتيًا»، فإن هذا حتمًا يشير إلى مجيئه **الثاني**.

ولكن يثير الأصحاح السابع من سفر دانيال سؤالًا هامًا. فحين يتحدث الكتاب المقدس عن مجيء ابن الإنسان، يَلزَم أن نسأل: **في أيِّ اتجاه كان ابن الإنسان آتيًا؟** فأحيانًا، يشير «مجيئه» ليس إلى النهاية حين يأتي من السماء، بل إلى صعوده بعد قيامته من الأموات، وجلوسه عن يمين أبيه، كي يؤسس ملكوته، مع جميع ما يترتب على هذا.[٢٥٠]

حقًّا، يومًا ما، سيأتي يسوع **من عند** القديم الأيام كي يتمِّم الاكتمال النهائي لملكوته. ولكن يبدو أن الإشارة إلى مجيء ابن الإنسان هنا كانت تعني **مجيء** يسوع إلى عرش الله بعد تجسده، وموته، وقيامته، وصعوده. ليس هذا المجيء هو مجيء يسوع في النهاية، بل في منتصف الزمان. فقد أتى إلى أبيه بعد أن حطَّم عنق قوات الظلمة، وأخذ شوكة الموت، وحمل ذنب الخطية، وذاق لعنة دينونة الله، ثم قام من القبر. فإن «مجيئه» هو في حقيقة الأمر «ذهاب» إلى القديم الأيام، متسربلًا ببشريتنا، بعد أن فعل

---

[٢٤٩] دانيال ٧: ١٣.

[٢٥٠] لوقا ٢٤: ٥٠-٥٣؛ أعمال الرسل ١: ٩-١١.

كل ما أخفق آدم وأخفقنا نحن أيضًا في القيام به، وبعد أن أخذ على عاتقه الدينونة التي يستحقها آدم ونستحقها نحن أيضًا. ومن تلك اللحظة فصاعدًا، سوف يُشرِك جميع قديسيه معه في الملكوت الذي استعاده.

اعتاد آباء الكنيسة الأوائل أن يعتبروا المزمور الرابع والعشرين تصوُّرًا لهذه اللحظة الحاسمة:[٢٥١]

اِرْفَعْنَ أَيَّتُهَا ٱلْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ،
وَٱرْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا ٱلْأَبْوَابُ ٱلدَّهْرِيَّاتُ،
فَيَدْخُلَ مَلِكُ ٱلْمَجْدِ.
مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ ٱلْمَجْدِ؟
ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ ٱلْجَبَّارُ،
ٱلرَّبُّ ٱلْجَبَّارُ فِي ٱلْقِتَالِ.
ٱرْفَعْنَ أَيَّتُهَا ٱلْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ،
وَٱرْفَعْنَهَا أَيَّتُهَا ٱلْأَبْوَابُ ٱلدَّهْرِيَّاتُ،
فَيَدْخُلَ مَلِكُ ٱلْمَجْدِ.
مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ ٱلْمَجْدِ؟
رَبُّ ٱلْجُنُودِ
هُوَ مَلِكُ ٱلْمَجْدِ.[٢٥٢]

تخيَّل هؤلاء الكُتَّاب جند السماء يتطلَّعون من داخل أبراج أورشليم السماويَّة ليروا الرب يسوع الصاعد إلى

[٢٥١] «الآباء الأوائل» تشير إلى المسيحيين من القرون الأربعة أو الخمسة الأولى من تاريخ الكنيسة، الذين لا تزال كتاباتهم موجودة.

[٢٥٢] مزمور ٢٤: ٧–١٠.

السماء ومعه موكب من الملائكة، يهتف: «افتحوا أبواب المدينة، ليدخل ملك المجد!»

ومن داخل أبراج المدينة يأتي الرد كالتالي: «ولكن مَن هو ملك المجد هذا الذي ينبغي أن نفتح أمامه أبواب أورشليم السماويَّة على مصراعيها؟»

وكيف كانت الإجابة؟ هو «ٱلرَّبُّ ٱلْقَدِيرُ ٱلْجَبَّارُ، ٱلرَّبُّ ٱلْجَبَّارُ فِي ٱلْقِتَالِ؛ هذا هو ملك المجد. افتحوا الأبواب ليدخل ملك المجد!»

وهكذا، يتقدَّم ابن الإنسان إلى القديم الأيام، آتيًا من أحداث الجلجثة الدامية، ومن نصرة قيامته من الأموات، كي يستلم المملكة والسلطان والمجد. والآن سيزيل الإنجيل الغشاوة عن أعين الأمم، وسيبني يسوع كنيسته في هذا العالم المحتل من العدو (لكن الذي لم يَعُد العدو يملُكه!). وسيبزغ فجر اليوم الذي فيه «تَجْثُوَ ... كُلُّ رُكْبَةٍ ... وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ».[٢٥٣]

ومن ثَمَّ، كان التركيز المباشر لرؤيا دانيال هو على اكتمال خدمة يسوع الأرضيَّة. نعم، سيأتي يسوع ثانية في جلال ومجد لينهي التاريخ، ويأتي بالسماوات الجديدة والأرض الجديدة. لكن كان تركيز هذه الرؤيا منصبًّا على نتائج مجيئه الأول.

---

[٢٥٣] فيلبي ٢: ١٠-١١.

قطعًا أشار يسوع إلى هذا المقطع في أثناء سيره مع التلميذين المتحيرين في الطريق إلى عمواس، بينما كان يفسر لهما العهد القديم، وبينما كانت شخصيته لا تزال مجهولة لديهما. هل كان كليوباس ورفيقه متحيرين بشأن النصف الثاني من سفر دانيال، كما ربما نحن كذلك أيضًا؟ ربما قال لهما يسوع هذا:

> يا صديقيَّ العزيزين، أعلم أنه يَصعُب عليكما فهم رؤى دانيال، وأنكما ربما أحجمتما عن دراستها بسبب الخوف، لأن معلِّميكم من اليهود قد تعاملوا معها على أنها ألغاز. ولكن ألا تدركان مَنْ هو هذا الشخص؟ ألم تفهما لماذا كان مُعلِّمكما يطلق طوال الوقت على نفسه اسم «ابن الإنسان»؟ وألا تريان صلة كل هذا بوعد نسل المرأة، وكذلك بالوعد الذي قُطع لإبراهيم في سفر التكوين بأنَّ في نسله تتبارك الأمم، وأيضًا بوعد المزمور الثاني: «أَنْتَ ٱبْنِي ... ٱسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ ٱلْأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ»؟ ألا تدركان أنه «كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ ٱلْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟» كما تعلَّمتما من إشعياء ٥٢: ١٣-١٥؟
>
> هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ
> يَتَعَالَى وَيَرْتَفِعُ
> وَيَتَسَامَى جِدًّا.
> كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ.

كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ
وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ.
هَكَذَا يَنْضِحُ أُمَمًا كَثِيرِينَ.
مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مُلُوكٌ أَفْوَاهَهُمْ
لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ
وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ.[٢٥٤]

لم يَعلَم التلميذان أن هذا الشخص الذي لم يعرفاه سيخبرهما بعد قليل بأن كل سلطان في السماء وعلى الأرض قد دُفِع إليه. ولم يعلما أنهما سيُرسَلان قريبًا إلى أقصى الأرض كي يوسّعوا من نطاق جنة النعمة!

تناولنا حتى الآن، إذن، الكيفيَّة التي يَرِد بها لقب «ابن الإنسان» في العهد القديم، وكيف يتحقق هذا بالكامل في يسوع.

بشكل رئيسي، تندرج الأقوال الخمسون المختلفة التي يطلق فيها يسوع على نفسه لقب «ابن الإنسان» تحت ثلاث فئات. يمكن أن يساعدنا هذا التمرين البسيط على أن نقدِّر بشكل أفضل دلالة هذا. فإذا كنتَ معتادًا على وضع علامات في كتابك المقدس، أو لديك كتاب مقدس قديم يمكن أن تضع فيه علامات، لاحظ معي كلَّ استخدام لتعبير «ابن الإنسان» في الأناجيل، ثم قم بتظليل كل قول باللون المناسب للفئة التي ينتمي إليها. (بغض النظر

[٢٥٤] إشعياء ٥٢: ١٣-١٥؛ انظر أيضًا تكوين ٣: ١٥؛ ١٢: ١-٣؛ مزمور ٢: ٨؛ لوقا ٢٤: ١٣-٣٥.

عـن أي شيء آخـر، فإنـك سـتتعلَّم الكثـير جـدًا فقـط بالقـراءة السريعـة للأناجيـل كلهـا!)

الفئة الأولى:

تصـف أقـوال «الفئـة الأولى» ابـن الإنسـان المتجسـد الـذي **يؤسِّـس** ملكوتـه.

ربمـا كان أوضـح مقطـع نـرى فيـه هـذا هـو في الأصحـاح الرابـع وحتـى الأصحـاح السـابع مـن إنجيـل متـى. فكـما سـنرى في هـذا المقطـع، كان يسـوع هـو ابـن الإنسـان الـذي دخـل في صراع مـع قـوات الظلمـة. فقـد جـاء جالبًـا الدينونـة. كـما قـال لوثـر:

> عنا يحارب الإنسان الأصيل
> بأمرٍ من الله نفسه.[٢٥٥]

أو كـما كتـب جـون هـنري نيومـان (John Henry Newman) في تقليـد كنـسي آخـر:

يا لحكمة الله	O loving wisdom of our
المُحِبة!	God,
فحين سادت الخطية والعار	When all was sin and shame
جاء آدم ثانٍ	A second Adam to the fight
إلى أرض المعركة نجدةً.	And to the rescue came.
ما أحكم هذه المحبة! إن اللحم	O wisest love, that flesh and
والدم	blood
الذي أخفق في آدم	That did in Adam fail

[255] Luther, "A Mighty Fortress Is Our God."

يَهُب من جديد ضد العدو يَهُب ويغلب.	Should strive afresh against the foe Should strive and should prevail.[256]

إنجيل متى:

يُعَـد إنجيـل متـى مفيـدًا لنـا بشـدة في هـذا السـياق. فإنـه يتخـذ شـكلًا مميـزًا بـدءًا مـن متـي ٣: ١٣ وحتـى متـى ٧: ٢٩. ينتقـل النـص مـن (١) معموديـة يسـوع في نهـر الأردن، حيـث دخـل إلى المرحلـة العلنيـة مـن خدمتـه باعتبـاره ابـن اللـه، وآدم الأخـير، والمسـيا. تـلا ذلـك (٢) التجربـة التـي تعـرَّض لهـا بـأن يسـتولي عـلى المملكـة مـن خـلال تجنـب الصليـب. وإذ خـرج غالبًـا، (٣) بـدأ يكـرز بمجـيء ملكوتـه، و(٤) يبرهـن عـلى وجـود هـذا الملكـوت مـن خـلال شـفاء المـرضى ومحاربـة قوات الظلمـة. ثـم يـؤدي هـذا إلى (٥) عـرض نمـط حيـاة الملكـوت في العظـة عـلى الجبـل.

١) **المعموديـة**. كـرز يوحنـا المعمـدان بـأن الملكـوت قـد اقـترب، ولهـذا عـلى الشـعب أن يتوبـوا. وحـين اسـتجاب الشـعب، «اعْتَمَـدُوا مِنْـهُ فِي الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِـينَ بِخَطَايَاهُـمْ.»[٢٥٧]

لكـن حـين جـاء يسـوع ليعتمـد، تجـادل يوحنـا معـه. فقـد كان هـذا المعمـدان هـو المحتـاج أن يعتمـد مـن يسـوع، وليـس العكـس. كان يوحنـا يعلَـم أنـه خاطـئٌ، وأن يسـوع هـو «حمـل

[256] From John Henry Newman's poem "Dream of Gerontius."

[٢٥٧] متى ٣: ٦.

الله» (الذي هو بلا عيب).[٢٥٨] لكن كان هذا بالتحديد هو الغرض: فإن اعتمد ذاك الذي هو بلا عيب متحدًا بالخطاة، حينئذٍ فقط سيتمكّن الخطاة بدورهم من أن يعتمدوا متحدين بحامل الخطية، ومختبرين غفران الخطايا.

لكن نعمة الملكوت تجلب ما هو أكثر من مجرد غفران الخطايا. فهي تجلب الحرية من قوات الظلمة، والعودة إلى حياة جديدة. ولهذا السبب، انتقل يسوع لا محالة من المعمودية إلى الصراع مع إبليس.

٢) **التجارب**. بحسب رواية إنجيل متى، كانت التجربة الأخيرة من بين التجارب الثلاثة، والتي شكّلت ذروة التجارب، مختصة بالملكوت:

> ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ ٱلْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هَذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: ٱذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ:
>
> لِلرَّبِّ إِلَهَكَ تَسْجُدُ
> وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ.[٢٥٩]

لماذا كان من شأن هذا أن يمثِّل تجربة أو غواية ليسوع؟ ألم يكن من المتوقَّع أن يبتسم ببساطة ويقول: «لا يمثِّل هذا أيَّ إغواء لي»؟ لكن كانت هذه تجربة حقيقية

---

[٢٥٨] يوحنا ١: ٢٩.

[٢٥٩] متى ٤: ٨-١٠.

لأن المهمة التي لأجلها أرسله الآب كانت بالتحديد هي استعادة ممالك هذا العالم من إبليس. فإنه لهذا تجسَّد ليكون الإنسان الثاني، وآدم الأخير، وابن الإنسان!

كان إبليس على استعداد أن يعطي يسوع كلَّ ما كلَّفه الآب باستعادته. لكن كان ثمن هذا هو الثمن نفسه الذي دفعه آدم وحواء في حماقة شديدة وفي قصر نظر في جنة عدن: العصيان. كان الشيطان كذَّابًا ومضلًا منذ البدء، وهو الآن كان يسعى إلى خداع يسوع. كانت التجربة حقيقيّة لأن المكسب كان حقيقيًّا. لكن استطاع الرب إدراك حقيقة هذا الخداع. فلو كان قد سجد، لضاع الكون بأكمله إلى الأبد. ولو كان قد اغتنم الفرصة، واختطف لنفسه ممالك هذا العالم، التي جاء كي يستعيدها بالطريقة المستقيمة، لضاع كل شيء.

حين وبَّخ يسوع إبليس قائلًا: «اُذْهَبْ يا شَيْطَانُ!»[٢٦٠] كان يتكلَّم بكل السلطان الذي لديه كنبيٍّ عيَّنه الله، وكملك أقامه الله. فقد كان يسدد أول ضربة قاضية بحق تلقَّتها مملكة الظلمة على الإطلاق.

يلزم أن نفهم أن هذا لم يحدث من قبل قط في تاريخ البشريَّة. فإن يسوع هو الإنسان الثاني. ولم يقدر أي إنسان آخر من آدم وحتى يسوع على فعل هذا. هذا هو ما كان ينبغي أن يفعله الإنسان الأول.

---

[٢٦٠] متى ٤: ١٠.

ربما لهذا السبب لم تذهب الحية إلى آدم مباشرة. فقد كانت تعلم أنها إن استطاعت في المقابل إيقاع أفضل عطية من الله لآدم، أي حواء، في الشرك، ستحظى بتأثير أكثر فاعليّة على آدم، وستتمكن من القضاء على عمله. كان من المفترَض أن يسحق الإنسان الأول رأس الحية، لكنه أخفق تمامًا. لكن ما أخفق فيه آدم الأول، جاء آدم الأخير، أي يسوع المسيح، كي يتمّمه.

لهذا أضاف إنجيل مرقس — الذي يصف تجارب يسوع بإيجاز — هذه التفصيلة الهامة: أن يسوع كان في **البرية**، محاطًا **بالوحوش**.[٢٦١] فعلى خلاف آدم، لم يكن يسوع محاطًا بالأشجار جميلة المنظر وبالحيوانات التي دعاها هو نفسه بأسماء (وهو فعل يعبِّر عن سلطانه عليهم). لكنه في المقابل كان جائعًا وعطشًا، وكان في برية قاحلة، محاطًا «بالطبيعة المكشرة عن أنيابها».[٢٦٢]

لم يَصمُد أحدٌ أمام إبليس إلى هذا الحد من قبل. ولم يتمكّن أحد من احتمال هذا المستوى من التجربة من قبل. نعم، كان يسوع عتيدًا أن يتعرَّض للمزيد. لكن للمرة الأولى، اضطر إبليس أن ينسحب. نستطيع تطبيق الكلمات الشهيرة التي قالها نيل أرمسترونج (Neil Armstrong)، أول رجل يضع قدميه على سطح القمر، على انتصار يسوع

---

[٢٦١] مرقس ١: ١٢-١٣.

[٢٦٢] يأتي هذا التعبير من المصدر التالي:
Alfred Lord Tennyson's poem "In Memoriam."

هنا (وفي مواضع أخرى): «خطوة صغيرة بالنسبة لإنسان واحد — لكنها قفزة عملاقة بالنسبة للجنس البشري». ففي البرية، فتح المسيح ثغرة واسعة في مملكة إبليس.

٣) **الكرازة بالملكوت**. لاحظ ما فعله يسوع بعد هذا؛ فقد بدأ يكرز قائلًا: «تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَاوَاتِ».[٢٦٣] ثم دعا أناسًا للدخول إلى ملكوته هذا. فقد أتى إلى شخص بعد الآخر قائلًا لهم: «اتركوا مراكب الصيد والشباك، واتبعوني».

٤) **استعلان الملكوت**. وهكذا، أسَّس يسوع ملكوته، وكرز به، وأدخل التلاميذ إليه. ثم بعد هذا، بدأ في إظهار قوة هذا الملكوت. فقد طاف في أنحاء الجليل، وشفى المرضى، وأعتق أولئك الذين استُعبِدت حياتهم من قوات الظلمة. وذاع خبره، «فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ ٱلسُّقَمَاءِ ٱلْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَٱلْمَجَانِينَ وَٱلْمَصْرُوعِينَ وَٱلْمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ».[٢٦٤] ما معنى هذا؟ كان يسوع هنا يمارس سلطانه في ضوء انتصاره؛ فقد كان يُطلِق سراح أسرى الحرب، ويبدأ في تتميم عمل الاسترداد الإلهي. فقد كان لديه السلطان ليعكس نتائج الخطية.

كان جوهر معجزات الشفاء والتغيير التي صنعها يسوع هي أنها آيات أو علامات. لكن إلام كانت هذه العلامات

---

[٢٦٣] متى ٤: ١٧.

[٢٦٤] متى ٤: ٢٣-٢٥.

تشـير؟ كانـت تشـير إلى التجديـد الأخـير والقيامـة الأخـيرة للكـون، التـي سـيحققها الـرب يسـوع المسـيح في النهايـة، حـين يصنـع كلَّ شيء جديـدًا.

هـذا الملكـوت الأخـير، الـذي سـيكون ظاهـرًا علنًـا في النهايـة، قـد بـدأ نشـاطه في خدمـة يسـوع، وظهـر بالفعـل في انتصـاره عـلى قـوات الظلمـة وعكسـه لنتائـج الخطيـة. فقـد قـال لأحدهـم: «مَغْفُـورَةٌ لَـكَ خَطَايَـاكَ»، و«قُـمِ ٱحْمِـلْ فِرَاشَـكَ وَٱذْهَـبْ إِلَى بَيْتِـكَ!» في الآن ذاتـه.[٢٦٥] ففـي هـذه المعجـزة الواحـدة، أُبطِلـت النتائـج الروحيَّـة والماديَّـة للسـقوط.

أظهـر يسـوع بالفعـل لمحـات مـن الخليقـة المسـتقبليَّة المُجـدَّدة. ربمـا دخلـتَ مـن قبـل غرفـة مظلمـة، ثـم حـين أشـعلتَ الضـوء، انقطـع التيـار في الحـال. لكنـك في تلـك اللحظـة السريعـة اسـتطعت رؤيـة لمحـة خاطفـة مـمَّا كان في الغرفـة. كذلـك أيضًـا، قدمـت لنـا المعجـزات لمحـات خاطفـة مـن العـالم الأخـير المسـتقبلي، حيـث يصبـح كلُّ شيء جديـدًا.

كانـت معجـزات يسـوع هـي أعـمال رحمـة شـديدة. لكـن الأكـثر مـن هـذا أنهـا كانـت تشـير إلى هُويَّتـه كابـن الإنسـان الـذي جـاء كي يؤسـس ملكوتـه في العـالم، ويُظهِـر قـوة هـذا الملكـوت.

٥) **نمـط الحيـاة في الملكـوت**. تـأتي الموعظـة عـلى الجبـل في إنجيـل متـى بعـد هـذا مبـاشرة. وقـد ربطـت الكلـمات «وَلَـمَّا

[٢٦٥] متى ٩: ١-٨.

رَأَى ٱلْجُمُوعَ» بين الأصحاح الرابع والأصحاح الخامس. ماذا فعل يسوع؟ ابتدأ يعلِّم عن نمط الحياة في الملكوت.

يتسم النصف الأول بأكمله من خدمة الرب على الأرض بتقدُّمه غازيًا مملكة الظلمة (من خلال الكرازة، والشفاء، والتعليم).

يصل كلُّ هذا إلى ذروته، وإلى نقطة انتقاليَّة، بطرح يسوع السؤال التالي (لاحظ هنا كيف يصف يسوع نفسه): «مَنْ يَقُولُ ٱلنَّاسُ إِنِّي أَنَا ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ؟» وعندما اعترف بطرس بأنه هو المسيح (أي نبي الله الممسوح، والكاهن، والملك)، أوضح يسوع بعد هذا ما قد جاء كي يحقِّقه: فقد كان بصدد بناء كنيسته على أرض محتلة من العدو، ولن تقوى أبواب الجحيم نفسها على منعه من هذا![٢٦٦]

يقتادنا ما جاء بعد هذا التصريح إلى فئة أخرى من أقوال «ابن الإنسان».

الفئة الثانية:

تسلّط الفئة الثانية من أقوال ابن الإنسان الضوء ليس فقط على تأسيس ابن الإنسان **المتجسِّد** لملكوته، بل على تسديد ابن الإنسان **المتألِّم** ثمن الفداء لأجل هذا الملكوت.

يشكِّل اعتراف سمعان بطرس نقطة محوريَّة، ولحظة فاصلة، في قصة الإنجيل. فقد بدأت الفقرة التالية من إنجيل متى كالتالي: «**مِنْ ذَلِكَ ٱلْوَقْتِ** ٱبْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ

[٢٦٦] متى ١٦: ١٣-١٨.

لِتَلَامِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا ... وَيُقْتَلَ، وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ يَقُومَ».[٢٦٧]

هل من الغريب أن يحاول إبليس مقاومته مرة أخرى — كانت أداة المقاومة هذه المرة هي كلمات سمعان بطرس، الذي قال: «لا تذهب يا يسوع إلى الصليب؛ ولا تجعلني أقترب منه أيضًا»؟ يفسِّر هذا الرد العنيف من جانب المُخلِّص: «ٱذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!»

> يا بطرس، عليك أن تفهم أنني قد جئتُ كي أتمِّم وعد تكوين ٣: ١٥. هذا هو ما يعنيه أن أكون ابن الإنسان. فكي يُدفَع إليَّ كل سلطان، ينبغي أولاً أن يُسحَق عقبي في أثناء صراعي مع إبليس. وأينما أبني الكنيسة، ستظل أبواب الجحيم على الدوام مُترقِّبة كي تشن عليها هجومًا. لا يوجد طريق آخر غير هذا يمكن أن أسلكه.

في نهاية تجارب البرية، ترك إبليس يسوع. فقد هُزم منه، لكنه لم ينكسر نهائيًّا بعد. ولهذا كتب لوقا هذه الملاحظة الجانبية المشؤومة إلى حد ما: «فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ».[٢٦٨]

كان هذا «**الحين**» قد جاء الآن. كان بطرس قد اعترف بأن يسوع، ابن الإنسان، هو المسيح — أي نبي الله،

---

[٢٦٧] متى ١٦: ٢١.

[٢٦٨] لوقا ٤: ١٣.

وكاهنه، وملكه.[٢٦٩] لكنه لم يكن قد فهم بعد أن ابن الإنسان هو أيضًا العبد المتألم. فقد قاوم الفكرة القائلة إنه كي يأخذ يسوع السلطان، كان يلزم دفع ثمن باهظ للغاية، وهو أن يقدِّم نفسه ذبيحة على الصليب. فقد كان يدرك إلى أين كان من المفترَض أن يتوجَّه ابن الإنسان — إلى العلي العظيم، محاطًا بسحب المجد. لكنه لم يفهم أن الطريق إلى المجد كان ينبغي أن يمر أولاً بالجلجثة. تنطبق الكلمات التي قالها يسوع للتلميذين في الطريق إلى عمواس على بطرس أيضًا:

أَيُّهَا ٱلْغَبِيَّانِ وَٱلْبَطِيئَا ٱلْقُلُوبِ فِي ٱلْإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ٱلْأَنْبِيَاءُ! أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ ٱلْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ بِهَذَا وَيَدْخُلُ إِلَى مَجْدِهِ؟[٢٧٠]

استطاع إشعياء أن يفهم هذا أكثر من أي نبي آخر. يبدأ النشيد الرابع من أناشيد العبد الموجودة في سفر إشعياء بالكلمات الآتية: «هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدًّا».[٢٧١] أليست هذه هي نفسها صورة ابن الإنسان كما جاءت في الأصحاح السابع من سفر دانيال؟ لكن بعد ذلك، رأى إشعياء لمحة خاطفة ممَّا يكمن وراء هذا

---

[٢٦٩] متى ١٦: ١٦.

[٢٧٠] لوقا ٢٤: ٢٥-٢٦.

[٢٧١] أناشيد العبد الأربعة هي: إشعياء ٤٢: ١-٤ (يضيف البعض إليها الأعداد ٥-٩)؛ ٤٩: ١-٦ (يضيف البعض إليها الأعداد ٧-١٣)؛ ٥٠: ٤-٩ (يضيف البعض إليها الأعداد ١٠-١١)؛ ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢.

التسامي — أي أنه رأى الموضع الذي كان ابن الإنسان فيه **قبل** أن يأتي إلى القديم الأيام في مجدٍ. فإن ذلك المجد يقع على الجانب الآخر من آلامه. فقد جاء إلى العرش آتيًا من الصليب، حيث «كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ ٱلرَّجُلِ».[٢٧٢]

يقدم لنا أليك موتيير (Alec Motyer) صورة نابضة بالحياة عن الطبيعة اللافتة للنظر لكلمات إشعياء:

> لم يكن المقصود بهذا أن ذلك العبد قد تألَّم أكثر من أي إنسان آخر، أو أكثر من البشر، بل أنه قد تعرَّض للتشوُّه «حتى اختلف شكله عن شكل الإنسان الطبيعي ... وكأنه لم يعد ينتمي إلى الجنس البشري»؛ لدرجة أن مَن رأوه تراجعوا إلى الوراء مرتعبين؛ ولم يقولوا: «أهذا هو العبد؟» بل: «أهذا إنسانٌ من الأساس؟»[٢٧٣]

كان ينبغي أن يُفسَد منظر يسوع أكثر من البشر، وأن ينزل إلى أعماق المياه المجهولة، حيث لا يعود الله يرى فيه انعكاسًا لصورته، إذ صار مغطًّى بخطايانا. في ذلك الموضع البارد والمظلم، حدث نوع من التفسخ الشديد في كيانه. فقد شعر «الإنسان الأصيل» وكأنه يُجرَّد من بشريته! وفي

---

[٢٧٢] إشعياء ٥٢: ١-٤.

[273] J. Alec Motyer, The Prophecy of Isaiah: An Introduction and Commentary (Downers Grove, IL: InterVarsity, 1993), 425.

أثناء تفكُّره في المزمور الثاني والعشرين،[٢٧٤] هل توقف عند كلماته التي تقول؟

أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لَا إِنْسَانٌ.
عَارٌ عِنْدَ ٱلْبَشَرِ وَمُحْتَقَرُ ٱلشَّعْبِ.
كُلُّ ٱلَّذِينَ يَرَوْنَنِي يَسْتَهْزِئُونَ بِي.
يَفْغَرُونَ ٱلشِّفَاهَ، وَيُنْغِضُونَ ٱلرَّأْسَ.[٢٧٥]

تقول رواية إنجيل مرقس إن يسوع قد ابتدأ «يَدْهَشُ»، مستخدمًا فعلًا نادرًا لوصف هذا الشعور.[٢٧٦] يقول ج. ب. لايتفوت (J. B. Lightfoot) إن هذا الفعل

> يصف حالة الارتباك، والاضطراب، والتشوش، الناتجة عن خلل جسدي، أو تكدُّر عقلي كالحزن، أو خزي الإحباط.[٢٧٧]

فمع أننا مخلوقات ساقطة، يصر الكتاب المقدس على أننا نظل صورة الله. ربما نحن مشوَّهون، وفاسدون. وربما تحطمت المرآة التي كانت تعكس من قبل صورة الله. لكننا لا نزال بشرًا، ولا يزال هناك بعض الانعكاس لما كان من المفترَض أن نكون عليه. لكن كي يصلح يسوع هذا الوضع،

---

[٢٧٤] هذا هو المزمور الذي يبدو أنه كان يجول بخاطر يسوع في أثناء الجزء الأخير من صلبه.

[٢٧٥] مزمور ٢٢: ٦-٧.

[٢٧٦] الفعل Adēmonein، انظر مرقس ١٤: ٣٣.

[277] J. B. Lightfoot, Saint Paul's Epistle to the Philippians (London: MacMillan, 1913), 123.

كان ينبغي أن ينزل إلى حالة أكثر انحدارًا، إن جاز التعبير، من حالتنا، وأن يقاسي هذا الشعور الرهيب بالتفسُّخ — أي أن يُعامَل باعتباره خطية،[٢٧٨] ويحمل اللعنة،[٢٧٩] ويصير «دُودَةً لَا إِنْسَانٌ»، وذلك حتى يحقق تكامُلًا من جديد، وحتى يجلب بشريَّة جديدة.

النعمة العامة. في ضوء ما خطط الله بأن يعمله بواسطة يسوع، ظل يبدي من نحو خليقته نعمة عامة. فقد سُمِح حتى لأشر البشر بالتمتع بامتيازات أعطيت من الله في الأصل لحملة صورته. لدى الكثير من المجرمين إمكانيات رائعة، لكنهم يفسدونها؛ كما يحظى أشخاصٌ بغيضون بعلاقات زوجية جيدة، وبحياة عائلية مستقرة؛ ويمتلك المتكبرون والمتغطرسون مواهب طبيعية مذهلة. هكذا إذن، ظلت صورة الله المشوَّهة تتذوق من بركاته، بينما تصر على التمرُّد عليه. فإن الفتاة التي كان والدها يحتويها في محبة على ركبتيه قد وجَّهت له صفعة قوية؛ والابن الذي نال من أبيه عطايا بصق في وجهه.

وكي يحمل ابن الإنسان، الذي «أَطَاعَ حَتَّى ٱلْمَوْتَ، مَوْتَ ٱلصَّلِيبِ»،[٢٨٠] عقوبة هذا التمرد، تطلَّع نحو أبيه خاضعًا، مشتاقًا أن يبادله نظرة حب — لكن على النقيض،

---

[٢٧٨] ٢ كورنثوس ٥: ٢١.

[٢٧٩] غلاطية ٣: ١٣.

[٢٨٠] فيلبي ٢: ٨.

أحـاط بـه الظـلام مـن كل جانـب، وشـعر بالنبـذ التـام. وبـدا وكأن الطبيعـة نفسـها قـد تعاطفـت معـه، إذ سـيطر الظـلام عـلى المشـهد لمـدة ثـلاث سـاعات، لئـلا يسـترق أحـدٌ النظـر إلى هـذا اللغـز الغامـض:[٢٨١]

Well might the Sun in darkness hide	حقًّا اختبأت الشمس في الظلام
And shut his glories in	مخفية أمجاده
When God the mighty maker died	إذ مات الإله القدير الخالق
For man the creature's sin.[282]	عن خطايا مخلوقاته.

يَظهَـر هـذا الوصـف لابـن الإنسـان بأنـه العبـد المتـألم، المجـروح لأجـل معاصينـا، والمسـحوق لأجـل آثامنـا، طـوال روايـة الأناجيـل. تطلَّـع معـي إلى ابـن الإنسـان وهـو في طريقـه إلى أن يُشـوَّه لأجلنـا:

وَٱلرِّجَـالُ ٱلَّذِيـنَ كَانُـوا ضَابِطِينَ يَسُـوعَ كَانُوا يَسْـتَهْزِئُونَ بِـهِ وَهُـمْ يَجْلِدُونَـهُ، وَغَطَّـوْهُ وَكَانُـوا يَضْرِبُـونَ وَجْهَـهُ وَيَسْـأَلُونَهُ قَائِلِـينَ: «تَنَبَّـأْ! مَـنْ هُـوَ ٱلَّـذِي ضَرَبَـكَ؟». وَأَشْـيَاءَ أُخَـرَ كَثِـيرَةً كَانُـوا يَقُولُـونَ عَلَيْـهِ مُجَدِّفِـينَ. وَلَـمَّا كَانَ ٱلنَّهَـارُ ٱجْتَمَعَـتْ مَشْـيَخَةُ ٱلشَّـعْبِ: رُؤَسَـاءُ ٱلْكَهَنَـةِ وَٱلْكَتَبَـةُ، وَأَصْعَـدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِـمْ قَائِلِـينَ: «إِنْ كُنْـتَ أَنْـتَ ٱلْمَسِـيحَ، فَقُـلْ لَنَـا!».[٢٨٣]

---

[٢٨١] لوقا ٢٣: ٤٤.

[282] Isaac Watts, "Alas and Did My Savior Bleed," 1707.

[٢٨٣] لوقا ٢٢: ٦٣-٦٧.

لكـن لم يتبـقَّ لـدى يسـوع سـوى شيء واحـد يقولـه لهـم. فقـد جـاء زمانهـم ومـضى:

فَقَـالَ لَهُـمْ: «إِنْ قُلْـتُ لَكُـمْ لَا تُصَدِّقُـونَ، وَإِنْ سَـأَلْتُ لَا تُجِيبُونَنِـي وَلَا تُطْلِقُونَنِـي. مُنْـذُ ٱلْآنَ يَكُـونُ ٱبْـنُ ٱلْإِنْسَـانِ جَالِسًـا عَـنْ يَمِـينِ قُـوَّةِ ٱللـهِ».[٢٨٤]

صرنا ندرك الآن معنى هذا، فقد كان يسوع يقول:

أنـا هـو ابـن الإنسـان الـذي أشـار إليـه سـفر دانيـال. وهـا أنـا الآن أتعـرض منكـم لـلإذلال، لكـن أنـا هـو مَن سـيأتي إلى القديـم الأيـام محاطًـا بملائكتـه العظـام مـع سـحب السـماء، كي أتسـلَّم سـلطانًا. تـرون الآن منظـري مفسَـدًا أكـثر مـن الرجـل، لكـن هـذا هـو الثمـن الـذي سيُكسِـبني سـلطانًا يفـوق تصـوُّر البـشر. سـيبزغ قريبًـا فجـر اليـوم الـذي فيـه يصـير كل سـلطان في السـماء وعـلى الأرض لي! هـذا أيضًـا سـترونه![٢٨٥]

تـلا هـذه الكلـمات طوفـان آلام يسـوع الجـارف. لكـن يحـدث هنـا أمـرٌ مذهـلٌ، يظهـر بوضـوح خـاص في إنجيـل لوقا. يبـدو أن لدينـا شـيئين متناقضـين — يتكـرران كثـيرًا — وكأن القصـة نفسـها كانـت تـصرخ قائلـة لنـا: «إياكـم أن يفوتكـم الغـرض مـن هـذا! أتـرون جيـدًا مـا كان يحـدث هنـا؟»

---

[٢٨٤] لوقا ٢٢: ٦٧-٦٩.

[٢٨٥] انظر رؤيا ١: ٧.

ففي خمسة مواقف — بالإضافة إلى موقف سادس يُفهَم ضمنًا — خضع يسوع للاستجواب، ثم أعلِنت براءته، لكنه مع ذلك أُديـن:

بيلاطس: «إِنِّي لَا أَجِدُ عِلَّةً فِي هَذَا ٱلْإِنْسَانِ». (لوقا ٢٣: ٤)

بيلاطس مرة أخرى: «وَلَمْ أَجِدْ فِي هَذَا ٱلْإِنْسَانِ عِلَّةً». (لوقا ٢٣: ١٤)

الإشارة الضمنية: «وَلَا هِيرُودُسُ أَيْضًا [«وجد فيه علة»]، لِأَنِّي أَرْسَلْتُكُمْ إِلَيْهِ». (لوقا ٢٣: ١٥)

بيلاطس مرة أخرى أيضًا: «فَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ هَذَا؟ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِيهِ عِلَّةً لِلْمَوْتِ». (لوقا ٢٣: ٢٢)

اللص على الصليب: «لِأَنَّنَا نَنَالُ ٱسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا، وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ». (لوقا ٢٣: ٤١)

قائد المئة الروماني: «بِٱلْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا ٱلْإِنْسَانُ بَارًّا!» (لوقا ٢٣: ٤٧)

كيف يمكن أن تُعلَن براءة يسوع، أكثر من مرة، ومع ذلك يدان ويُحكَم عليه بالموت مصلوبًا وكأنه مذنبٌ؟

قطعًا كان لوقا يريد أن يقول هذا: «ألا ترون أن الله قد كتب رسالة الإنجيل من قلب الاختبار الذي كان ابنه يجتاز فيه في تلك اللحظة؟ فقد أخذ البريء مكان المذنب، حتى يمكن أن يُعامَل المذنب كبريء». يتأكَّد هذا من طبيعة

الاتهامات التي وُجِّهت ضد يسوع، وهي: تهمة التجديف في المجمع (وهي جريمة تستوجب حُكم الإعدام)، وتهمة الخيانة العظمى للدولة في المحكمة المدنية (وهي أيضًا جريمة تستوجب حُكم الإعدام). وُجد يسوع «غير مذنب» في كلتا التهمتين، ومع ذلك حُكم عليه بالموت.

ما هو المعنى الكامن وراء كل هذا؟ المعنى في غاية البساطة، وهو أن هذه الجرائم لم تكن جرائمه هو.

جرائم مَن كانت إذن؟

إن تهمتي التجديف والخيانة العظمى للدولة هما الجريمتان المكتوبتان على لائحة الاتهامات الموجَّهة إلينا في محكمة الله. فقد جدَّفنا على الله حين وضعنا أنفسنا في مركز الكون، وحين جعلنا أنفسنا أسيادًا على حياتنا. كما قد ارتكبنا فعل الخيانة العظمى ضد سلطة الله العادلة، حين رفضنا مشيئته. كان هذا هو ما فعله آدم، وما فعلناه نحن أيضًا.

حُكِم على يسوع بأنه مذنب، وأدين لأجل جرائمنا نحن.

في رواية الأناجيل، أصدر جميع الشهود حُكمًا عن يسوع أمام المحكمة بأنه «بريء من جميع التهم المنسوبة إليه». ليس هناك، إذن، سوى تفسير واحد مُحتمَل لموته، وهو أنه قَبِل أن يتحمل مسؤوليَّة التهم الموجَّهة إلينا أمام محكمة الديان السرمدي. فقد فسد منظره أكثر

مـن الرجـل، وهـو صـورة اللـه الكاملـة، حتـى نعـود نحـن إلى صـورة اللـه.[٢٨٦]

هـذا لغـز عميـق، لكـن يمكـن صياغتـه ببسـاطة شـديدة لدرجـة تتيـح للطفـل فهمـه:

لم يكن هناك مَن هو صالح كفاية	There was no other good enough
حتى يدفع ثمن الخطية؛	To pay the price of sin;
كان هو الوحيد القادر أن يفتح	He only could unlock the gate
باب السماء ويُدخِلنا.	Of heaven and let us in.[287]

فإذ حمل الخزي والاستهزاء،	Bearing shame and scoffing rude,
وقف مدانًا عوضًا عني،	In my place condemned he stood,
خاتمًا عفوي بدمه:	Sealed my pardon with his blood:
هللويا! يا له من مخلِّص!	Hallelujah! What a Savior![288]

الفئة الثالثة:

يـأتي بنـا هـذا إلى الفئـة الأخـيرة مـن أقـوال ابـن الإنسـان. فقـد رأينـا أعـلاه أن:

---

[٢٨٦] انظر رومية ٨: ٢٩؛ أفسس ٤: ٢٤؛ كولوسي ٣: ١٠.

[287] Cecil Frances Alexander, “There Is a Green Hill Far Away,” 1848.

[288] Philip P. Bliss, “Man of Sorrows,” 1875.

- يسوع هو ابن الإنسان المتجسِّد الذي يؤسِّس ملكوته.
- يسوع هو ابن الإنسان المتألِّم الذي يستعيد ملكوته

لكن لا بد أن نضيف الآن بُعدًا ثالثًا:

- يسوع هو ابن الإنسان الغالب الذي سيُكمِل ملكوته.

هذا هو ما كان يجول في ذهن يسوع في نص الإرسالية العظمى:

> فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي ٱلسَّمَاءِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ، فَٱذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ ٱلْأُمَمِ.[٢٨٩]

نميل عادة إلى ربط هذه الأعداد الشهيرة بفريضة المعمودية، وبحدث توديع المرسلين. قطعًا هذه الأعداد وثيقة الصلة بكلا الحدثين. لكن بالأكثر، تتعلق هذه الكلمات بانتصار يسوع كابن الإنسان — ذلك الانتصار الذي بدونه لن يكون لكل من المعمودية المسيحيَّة أو الإرساليَّات إلى العالم أي معنى.

تردِّد الكلمات «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي ٱلسَّمَاءِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ» صدى تكوين ١: ٢٦-٢٨. فقد كان يسوع يقول الآتي:

> أنا هو الإنسان الثاني، القائم من الأموات. أنا من دفعتُ ثمن شراء العالم الساقط. فقد اشتريتُه من جديد، وكان الثمن هو موتي. والآن بعد أن صار لي كل السلطان، سأمضي ثانية إلى أبي، وأريد منكم

[٢٨٩] متى ٢٨: ١٨-١٩.

أن تبدأوا في أن تنفِّذوا روحيًّا ما قد دُعي آدم إلى تنفيذه ماديًّا: أريد أن تكرزوا بالإنجيل للعالم أجمع. حوِّلوا هذه البرية إلى جنة مرة أخرى!

من المثير للدهشة أن تلاميذ يسوع، الذين كانوا قبلًا في حالة من الارتباك والجُبن الشديد، بدأوا بالفعل في تنفيذ هذا.

فقد كرز سمعان بطرس (بعد تَخَرُّجه من مدرسة يسوع التي كانت مدتها أربعين يومًا) وكأنه عالم لاهوت كتابي متمرِّس. ففي يوم الخمسين، أوضح كيف تشير جميع الكتب إلى يسوع المسيح، وكيف ارتفع يسوع عن يمين الله، طالبًا من أبيه الوفاء بوعده. فكي يأتي الأمم (وليس اليهود فحسب) إلى المسيح، انسكب الروح القدس على كلِّ بشر. وتحوَّل تمرُّد برج بابل إلى النقيض، إذ سمع أناسٌ من أمم كثيرة، يتحدثون بلغات مختلفة، رسالة الإنجيل المُوحِّدة لجميع الخطاة، في الآن ذاته. فالآن جعل ابن الإنسان قديسيه من جميع الأمم شركاء في ملكوت الله. كان الوعد الإبراهيمي، والوعد المسياني بأن يرث الابن الأمم بصدد التحقُّق؛ فقد تسامى الآن العبد المتألم، وجعل ملوكًا يسدُّون أفواههم أمامه في رهبة.[٢٩٠]

هكذا إذن، بدأت الأزمنة الأخيرة، وصارت تتقدَّم لا محالة صوب اليوم الأخير. فقد أتى ابن الإنسان إلى عرش

---

[٢٩٠] للاطلاع على هذه الجوانب من تتميم المسيح للنبوة، انظر: تكوين ١١: ١-٩؛ ١٢: ١-٣؛ مزمور ٢: ٨؛ إشعياء ٥٢: ١٣، ١٥؛ ٥٣: ١٢؛ يوئيل ٢: ١٨-٢٠.

القديم الأيام، وهو الآن يجعل قديسي العلي شركاء في الملكوت. والآن، ننتظر جميعًا ذلك اليوم الذي فيه يُستعلَن انتصار ابن الإنسان في كل مكان.

يصف بولس، في أصحاح القيامة العظيم، أي الأصحاح الخامس عشر من رسالة كورنثوس الأولى، الأعمال الأخيرة لابن الإنسان، بشكل نابض بالحياة. يتحدث هذا الأصحاح عن لحظة القيامة الأخيرة، ولكنه أيضًا يذهب إلى أبعد من ذلك. يرى بولس تاريخ البشر بأكمله ملخَّصًا في رجلين، بل في آدمين — آدم والمسيح.[٢٩١] فقد كتب قائلاً:

> وَلَكِنِ ٱلْآنَ قَدْ قَامَ ٱلْمَسِيحُ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ ٱلرَّاقِدِينَ. فَإِنَّهُ إِذِ ٱلْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ [آدم]، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ ٱلْأَمْوَاتِ. لِأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ ٱلْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي ٱلْمَسِيحِ سَيُحْيَا ٱلْجَمِيعُ. وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ [لاحظ الترتيب]: ٱلْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ [أي، هو ضمان مجيء الحصاد الأخير]، ثُمَّ ٱلَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ [الحصاد الأخير]. وَبَعْدَ ذَلِكَ ٱلنِّهَايَةُ، مَتَى سَلَّمَ ٱلْمُلْكَ لِلهِ ٱلْآبِ، مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ».[٢٩٢]

---

[٢٩١] «ولماذا؟» هكذا سأل توماس جودوين (Thomas Goodwin)، اللاهوتي وراعي الكنيسة العظيم في القرن السابع عشر. وكانت الإجابة: «لأن مصير سائر أبناء البشر كان معلَّقًا على حبلٍ يصل ما بين هذين الرجلين»:
Thomas Goodwin, The Works of Thomas Goodwin, 12 vols. (Edinburgh: James Nichol, 1862), 4:31.

[٢٩٢] ١ كورنثوس ١٥: ٢٠-٢٤.

ماذا كان من شأن آدم أن يفعل لو كان قد مارس بالفعل سلطانه، ووسَّع من نطاق جنة عدن، إلى أقصى الأرض؟

بما أن آدم قد أخفق في هذا، لا يسعنا أن نقدِّم جوابًا قاطعًا عن هذا السؤال. لكن نستطيع أن نفترض أنه كان سيأتي إلى عرش القديم الأيام — كما قد يأتي أي ابنٍ أكرم اسم أبيه — قائلًا:

> يا أبي، قد اكتمل كلُّ شيء. لم تَعُد هناك أعشاب ضارة. وقد انتشرت الورود في كل مكان! يا أبي، قد أعطيتني كل هذا. فهلا تقبَّلت مني هذه الجنة هبة محبة؟

تخيَّل معي ذلك الحضن المتبادل الذي كان سينتج عن هذا.

لكن قد أخفق آدم.

إلا أن بولس يقول إنه في اليوم الأخير، سيأخذ يسوع، ابن الله، بحسب منصبه كابن الإنسان، ذلك الملكوت الذي اشتراه، وسيأتي ثانية إلى أبيه قائلًا:

> تفضَّل يا أبي؛ فبصفتي الإنسان الثاني، وابن الإنسان، قد خلَّصتُ واستعدتُ كل هذا لأجلك ولأجل مجدك. هذه هبة محبة لك. ها أنا أقدمها لك نيابة عن جميع مَن سفكتُ دمي الثمين عنهم، والذين صاروا الآن أبناءك بالتبني.

وسيحتوي ذلك الملكوت على جميع مَن يؤمنون بيسوع.

فإننا سنصير جميعًا مشاهدين.

لا! بل إننا سنتعدَّى هذا أيضًا. فإننا سنصير جميعًا شركاءً.

لكن الآن، احبس أنفاسك جيدًا. لأن بولس يتابع حديثه قائلًا:

> وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ ٱلْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ ٱلِٱبْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ ٱلْكُلَّ، **كَيْ يَكُونَ ٱللهُ ٱلْكُلَّ فِي ٱلْكُلِّ**.[٢٩٣]

لم يكن بولس يقصد بهذا أن الله الابن سيفقد مكانته. كما لم يكن ينكر مساواة الابن مع الآب في الكرامة، والسلطان، والسرمدية، والمجد. بل في المقابل، كان بولس يتحدث عن الرب يسوع في منصبه الخاص كابن الإنسان. فإذ تجسَّد يسوع في بشريتنا، صار ممثلًا، ووسيطًا، وبديلًا، ومخلصًا، وملكًا لنا. فهو مَن يقودنا في العبادة أمام عرش الله. وهو المتحدث الرسمي عنَّا أمام الآب السماوي، وهو إذن مَن سوف «يأتي» مرة أخرى إلى الآب، قائلًا: «يا أبي، إن الكلَّ لك — ونيابة عن شعبك المفدي، أقول: 'نريد أن تكون الكل في الكل'».

تخيل معي هذا المشهد، وتطلع إلى ابن الإنسان آتيًا إلى عرش القديم الأيام، وجاثيًا أمامه بصفته الرأس الممثل لنا،

---

[٢٩٣] ١ كورنثوس ١٥: ٢٨.

والنائـب عنَّـا. ثـم، في حـدث مجيـد، تجثـو كل ركبـة ويعـترف كل لسـان أن يسـوع المسـيح هـو رب لمجـد اللـه الآب.

ما أروع أن نتواجد هناك في تلك اللحظة!

وما أروع أن نرى الابن يُكرَّم من الآب!

وما أروع أن نقول: «يا أبانا، كن أنت الكلَّ في الكلِّ!»

حينئـذ، قطعًـا، يصـير الملـك والقـوة والمجـد للـه — إلى أبـد الآبديـن، في عـالم لا نهايـة لـه.

في ضـوء ذلـك، لـن يلزمنـا أن نقـول إننـا في حاجـة إلى المزيـد مـن التفكـير في التسـامي المجيـد لمخلِّصنـا. لكـن قبـل أن نفعـل ذلـك، نحتـاج أن نلقـي نظـرة أخـرى عليـه بصفتـه العبـد المتـألم.

الفصل السادس
يسوع المسيح،
العبد المُتألِّم

تمثِّل دينونة الله على شعبه وسبيهم إلى بابل الخلفية القاتمة للنصف الثاني من نبوة إشعياء.[٢٩٤] فرويدًا رويدًا، من وسط هذا المشهد الكئيب، تبرز شخصيةٌ ما. يصف الله هذه الشخصية باسم «عبدي»؛ وكما رأينا من قبل، يهيمن وجود هذه الشخصية على سلسلة من النصوص الشعرية تُعرَف معًا باسم «أناشيد العبد».

«نشيد العبد» الرابع:

يُعَد النشيد الرابع من هذه الأناشيد، الوارد في إشعياء ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢، هو الأشهر إلى حد كبير. ففيه يظهر العبد في صورة العبد المُتألم، وهي صورة أثَّرت بشدة على الكيفيَّة

[٢٩٤] من إشعياء ٣٩ أو ٤٠، وحتى إشعياء ٦٦.

التي تحدث بها كُتَّاب العهد الجديد عن يسوع.[٢٩٥]

يَظهر العبد في البداية كشخصية عظيمة ومجيدة:

هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ،
يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي
وَيَتَسَامَى جِدًّا.[٢٩٦]

ولكن بعد ذلك، ولسبب غير مفهوم، يصير هذا العبد مُتألمًا.

كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ.
كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ،
وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ.[٢٩٧]

ثم، في بقية النشيد، يوصَف هذا العبد بأنه «مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ ٱلنَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ ٱلْحَزَنِ». ثم تبدأ الحقيقة في التكشُّف: كان هذا العبد يأخذ مكان آخرين؛ أي أنه كان يتألم عنهم.

لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا،
وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا.
وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا

---

[٢٩٥] تسرد طبعة «العهد الجديد باللغة اليونانية» التي أصدرتها (The United Bible Societies) سبع اقتباسات، وأربعة وثلاثين تلميح وتشابهات لفظية في العهد الجديد مع إشعياء ٥٢: ١٣-٥٣: ١٢.

[٢٩٦] إشعياء ٥٢: ١٣.

[٢٩٧] إشعياء ٥٢: ١٤.

مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولًا.
وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا،
مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا.
تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ،
وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا.
كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا.
مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ،
وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ
إِثْمَ جَمِيعِنَا ...
أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ
بِالْحَزَنِ.
إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ
يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ،
وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ.
مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ،
وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ
يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ،
وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا.[٢٩٨]

ثم مرة أخرى أيضًا نجده متساميًا، ثم نجد تفسيرًا للصلة ما بين انحطاط شأنه ورفعته:

لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ

[٢٩٨] إشعياء ٥٣: ٤-٦، ١٠-١١.

وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً،
مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ
وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ،
وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ
وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ.[٢٩٩]

كُتب الأصحاح الثالث والخمسون من سفر إشعياء بإرشاد من روح الله. كان كاتبه يتحدث عن شيء يفوق إدراكه؛ ولكن في الآن ذاته، كانت هذه كلمة الله بفم إنسان.[٣٠٠] ولذلك، وصف النبي ما رآه داخل محدوديات حالته النفسية وبشريته.

أسئلة على طاولة العشاء:

تخيَّل معي، من فضلك، إشعياء وقد كتب هذه الكلمات، ثم مضى في نهاية اليوم إلى بيته وأسرته. وفي أثناء قضائه وقتًا من الراحة معهم، سأله أحد أبنائه قائلًا: «هل كتبتَ شيئًا اليوم يا أبي؟»

كلُّ ما يستطيع إشعياء أن يجيب به هو بالتأكيد شيءٌ من هذا القبيل: «حسنًا، قد دوَّنتُ اليوم هذه الكلمات:

مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا،
وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟

---

[٢٩٩] إشعياء ٥٣: ١٢.

[٣٠٠] هذه هي الطريقة المعتادة في العهد القديم لتعريف ووصف النبوة؛ قارن إرميا ١: ٩.

نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ
وَكَعِرْق مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ،
لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ،
وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ.
مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ،
رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ،
وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا،
مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ.[٣٠١]

لكن ماذا لو طرح عليه فرد آخر من عائلته هذا السؤال: «وماذا يعني ذلك تحديدًا؟ وعمَّنْ كَتبتَ هذه الكلمات؟ هل تعرف هذا الشخص؟»

كلُّ ما يمكن أن يجيب إشعياء به هو: «لا أستطيع أن أعرف هذا بصورة مؤكَّدة. فمع أنني كُنت جالسًا أكتب، لكنني شعرتُ في أعماقي وكأنني واقف على أطراف أصابعي أتطلَّع إلى ما بعد خط الأفق، محدِّقًا في المستقبل. وقد طرحتُ أنا نفسي هذه الأسئلة عينها، متسائلًا، بل ومحاولاً أن أتخيَّل مَنْ عساه يكون هذا الشخص، وكيف سيتحقق كل هذا».

هذا ليس مجرد تخمين من جانبنا؛ فإن بطرس يقول إنه بينما يتساءل الملائكة فيما بينهم كيف يبدو اختبار المؤمنين لنعمة الله في الإنجيل، كان الأنبياء يتساءلون أيضًا

[٣٠١] إشعياء ٥٣: ١-٣.

مَـن هـو الشـخص «أَوْ مَـا الْوَقْـتُ الَّـذِي كَانَ يَـدِلُّ عَلَيْـهِ رُوحُ الْمَسِـيحِ الَّـذِي فِيهِـمْ، إِذْ سَـبَقَ فَشَـهِدَ بِـالآلاَمِ الَّتِـي لِلْمَسِـيحِ، وَالأَمْجَـادِ الَّتِـي بَعْدَهَـا».[٣٠٢]

فقـد أُنعِـم علينـا اليـوم بقـراءة الكتـاب المقـدس في الاتجاه العكـسي مـن النهايـة للبدايـة. فـإن تفسـيرات وشروحـات العهد الجديـد تتيـح لنـا فهـم نصـوص العهـد القديـم، وتُسـاعدنا عـلى أن نـرى كيـف يشـير كل شيء إلى الـرب يسـوع. وعـلى وجـه الخصـوص، يُظهِـر لنـا العهـد الجديـد تتميـم كلـمات إشـعياء هـذه.[٣٠٣]

عـلى هـذه الخلفيـة إذن — أي المسـيح باعتبـاره العبـد المتـألم — دعونـا، إن جـاز التعبـير، نتتبَّـع يسـوع بقـدر اسـتطاعتنا في درب آلامـه.

المُتألِّم:

مـا المقصـود بـأن يسـوع هـو «العبـد المتـألم؟» للإجابـة عـلى هـذا السـؤال — ولـو بشـكل جـزئي — يلـزم أن نحـاول تتبُّـع يسـوع في الليلـة التـي صُلـب فيهـا حتـى إلى بسـتان جثسـيماني.

> وَخَـرَجَ وَمَـضَى كَالْعَـادَةِ إِلَى جَبَـلِ الزَّيْتُـونِ، وَتَبِعَـهُ أَيْضًـا تَلاَمِيـذُهُ. وَلَـمَّا صَـارَ إِلَى الْمَـكَانِ قَـالَ لَهُـمْ: «صَلُّـوا لِـكَيْ لاَ تَدْخُلُـوا فِي تَجْرِبَـةٍ». وَانْفَصَـلَ عَنْهُـمْ نَحْـوَ رَمْيَـةِ حَجَرٍ

---

[٣٠٢] ١ بطرس ١: ١٠-١٢.

[٣٠٣] انظـر، عـلى سـبيل المثـال، متـى ٨: ١٧ (إشـعياء ٥٣: ٤)؛ يوحنـا ١٢: ٣٨ (إشـعياء ٥٣: ١)؛ أعمال الرسـل ٨: ٣٢-٣٣ (إشـعياء ٥٣: ٧-٨)؛ ١ بطرس ٢: ٢٢ (إشـعياء ٥٣: ٩).

وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ. ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ، فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ».[٣٠٤]

في الفصل الأول من هذا الكتاب، كنا في جنة أو بستان. وها نحن نأتي هنا إلى بستانٍ آخر. كان هذا البستان، بستان جثسيماني، مكانًا مألوفًا لدى يسوع وتلاميذه.[٣٠٥] وهو في حقيقة الأمر بستان زيتون. ولكن في تلك الليلة بالتحديد، احتلَّ هذا البستان مركز الكون، وشكَّل مفترق طرق في التاريخ.

وصف فريد:

لا يحتوي العهد الجديد على أيِّ وصف جسدي ليسوع. وبغض النظر عن الكُتب التي ربما كانت عندك في مرحلة الطفولة، والتي كانت تحوي صورًا ليسوع، فإنك تعلَم جيدًا أن هذه كانت مجرد محاولات من جانب الرسَّامين لإيجاد طريقة يصفونه بها — وعادةً ما كان الوصف غربيًّا

[٣٠٤] لوقا ٢٢: ٣٩-٤٦.

[٣٠٥] كان يسوع يذهب إلى هناك كثيرًا مع تلاميذه؛ يوحنا ١٨: ٢.

تقليديًّا للغاية. ولكن ليست تلك الصور مستمَدة من أية معلومات يعطيها لنا الكتاب المقدس.

ولكن هنا في جثسيماني نرى لمحة نادرة. فإننا نجد وصفًا بالحقيقة؛ ولكنه وصفٌ للحالة الوجدانيَّة، والعقليَّة، والنفسيَّة للرب يسوع، فيما كان يواجه الصليب. فأمامنا هنا، تظهر أعماق طبيعته البشريَّة بطريقة لم يكن ليُظهِرنا لنا قط أي موقف آخر.

يمدُّنا كلُّ إنجيل من الأناجيل الثلاثة الأولى بوصف محرِّك للمشاعر لما اجتاز فيه يسوع. كان المشهد مزعجًا للغاية. فقد كان يسوع، الذي كان قد تنبأ قبلاً في هدوء عن آلامه العتيدة أن تأتي، وعن كل ما سيقاسيه على أيدي أناس قُساة وأشرار، يعبِّر عما بداخله الآن «بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ».[٣٠٦]

مرَّ حوالي واحد وعشرون عامًا على ذلك اليوم الذي كان فيه يسوع في ساحة الهيكل، حين قال لمريم ويوسف إنه ينبغي أن يكون في ما لأبيه.[٣٠٧] في ذلك اليوم، لم يفهم أبواه الأرضيان قصده من هذا الكلام. ومن المؤكَّد أنه في طريق العودة، قال أحدهما للآخر: «في رأيك، ماذا كان يسوع يقصد بقوله: ‹أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لِأَبِي؟›؟» هل قال يوسف لمريم: «حسنًا، أنتِ والدته؛ ألا

---

[٣٠٦] عبرانيين ٥: ٧.

[٣٠٧] لوقا ٢: ٤١-٥٢.

تفهمين ما يقصده؟ ما رأيك؟» وهل أجابته مريم: «لا زلتُ أفكر في كلِّ الكلام، وسأظل أفكر. فإنني طوال الوقت كنتُ أحفظ كلامه وأتفكر به مليًّا في قلبي»؟

ولاحقًا، حين أخبر يسوع تلاميذه — وهذه لم تكن المرة الأولى — بأنه ينبغي أن يصعد إلى أورشليم، لم يستوعبوا معنى كلامه:

> «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَسَيَتِمُّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بِالأَنْبِيَاءِ عَنِ ابْنِ الإِنْسَانِ، أَنَّهُ يُسَلَّمُ إِلَى الأُمَمِ، وَيُسْتَهْزَأُ بِهِ، وَيُشْتَمُ وَيُتْفَلُ عَلَيْهِ، وَيَجْلِدُونَهُ، وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ». وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذلِكَ شَيْئًا، وَكَانَ هذَا الأَمْرُ مُخْفًى عَنْهُمْ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ.[٣٠٨]

كان هؤلاء التلاميذ أقرب إليه من أي شخص آخر. وقد سمعوا كرازته وشهدوا آياته ومعجزاته. ومع ذلك، نجدهم هنا غير فاهمين شيئًا من كلامه. كان معنى كلِّ هذا مخفيًّا عنهم.

يجب هنا ألا نتصلف قائلين: «يا للهول! أعتقد أنني لو كُنت موجودًا هناك، لفهمتُ كلَّ شيء جيدًا. لا أصدق هؤلاء التلاميذ! فقد تبيَّن في النهاية أنهم ليسوا شديدي الذكاء! ما أضعف مستواهم! فقد أخبرهم يسوع بذلك

[٣٠٨] لوقا ١٨: ٣١-٣٤.

عـدة مـرات. هـل كان الأمـر صعبًـا لهـذه الدرجـة؟ ‘أنـا صاعـدٌ إلى أورشـليم. وسـأتألم. وسـأموت عـلى أيـدي رجـال قُسـاة’«.

لكـن كيـف كان يمكـن للتلاميـذ التوفيـق بـين هـذا الـكلام عـن الآلام والمعلِّـم العظيـم الـذي كانـوا يتبعونـه؟ كيـف كان يمكنهـم الجمـع بـين كونـه ملـكًا سيسـمو فـوق جميـع الملـوك، وكاهنًـا سـيقدم ذبيحـة نهائيـة غـير محـدودة القيمـة، ونبيًّـا سـيمحو جهلهـم إلى الأبـد؟ ولكـن، بالرغـم مـن الطبيعـة غـير المستسـاغة لـكلام يسـوع، كان المعنـى الـذي يقصـده واضحًـا لا لبـس فيـه؛ لكنهـم ببسـاطة لم يتمكنـوا مـن اسـتيعابه.

توجُّه من الاتضاع:

إن كُنـا أمنـاء، فسـنرى هـذه المشـكلة نفسـها فينـا نحـن أيضًـا. لهـذا السـبب، ينبغـي أن نقـدِّر قيمـة تلـك الترتيلـة التـي يقـول قرارهـا:

ساعدني حتى أفهم،	Oh, make me understand it,
وأعنِّي حتى أدرك،	Help me to take it in,
ما كان يعنيه بالنسبة لك، أيها القدوس	What it meant for thee, the Holy One
أن ترفع خطاياي.	To bear away my sin.[309]

يـأتي هـذا الفهـم — الـذي مـن خلالـه يُحـدِث الإنجيـل تأثـيرًا حقيقيًّـا عـلى حياتنـا — فقـط كنتيجـة لنعمـة اللـه وصلاحـه مـن نحونـا. فأمـام كل هـذا الغمـوض، يلـزم أن نتعلـم

[309] Katherine Kelly, “Give Me a Sight, O Savior,” 1944.

كيف نفكِّر في خشوعٍ وبشكلٍ صحيح حين نقف أمام مقطع كهذا. يلزم أن نسأل: ماذا يحدث هنا بالتحديد؟

أيضًا من الممكن جدًا أن يتوقف الأمر عند تأثرنا عاطفيًّا بهذا المشهد، دون أن نصارع بالحقيقة لفهم معناه الباطني أو دلالاته. ومن ثَمَّ، ينتهي بنا الحال وقد تجاوبنا مع آلام المسيح بطريقة لا تزيد عن كونها انفعاليَّة أو عاطفيَّة.

في هذا الوصف الذي قدَّمه إشعياء للعبد المتألم، نصادف عبارات من قبيل: «أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ».[٣١٠] ما معنى هذه العبارات؟

تكشَّف كل هذا بالفعل في حدث الصلب، الذي كان المسيح الآن في هذا البستان ينتظره. يبدو الأمر برمته فوضى عارمة ورهيبة: فإن يسوع، العبد الأمين، كان على وشك أن يُصلب بين لصين، فوق كومة من القمامة خارج أسوار مدينة أورشليم — بعد أن تعرَّض للخيانة، والإنكار، والتخلِّي، والبصق، والجلد، والإذلال. كيف يمكن أن يكون قصد الله في لُبِّ كل هذا؟ كيف أمكن لإشعياء أن يقول — ولو بتوقيرٍ — إن الله هو المتحكِّم في كل هذا، وإن «الرَّبُّ سُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ»؟

يفسِّر لنا بولس هذا قائلاً إن يسوع قد صار لعنة لأجلنا، حتى ننال نحن فيه بركة الله.[٣١١] ولماذا صار

---

[٣١٠] إشعياء ٥٣: ١٠.

[٣١١] غلاطية ٣: ١٣.

«لعنة» لأجلنا؟ لأنه «جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ».[٣١٢] وتمد لنا الرسالة إلى العبرانيين يد المساعدة أيضًا في هذا الشأن: فإن يسوع قد «كفَّر خَطَايَا الشَّعْبِ»،[٣١٣] إذ صار هو الذبيحة التي ابتلعت كل غضب الله على خطايانا.

كان يسوع في جثسيماني إذن ينتظر تقديم نفسه ذبيحة كفاريَّة «نيابيَّة» أو «بدليَّة» عن خطايانا.

وما لم نُقدِّر قيمة فكرة الكفارة البدليَّة، سيصير تعليم العهد الجديد عن موت المسيح لغزًا غامضًا تمامًا بالنسبة لنا — وفي أفضل الأحوال سيصير رواية تراجيديَّة عن شجاعة وُجِّهت بطريقة خاطئة.

سنعود إلى ذلك لاحقًا. ولكن يلزم أن نبدي في الوقت الحالي ثلاث ملاحظات بسيطة، لكنها هامة.

ترفُّق:

حين ننظر إلى المسيح من خلال عدسة كتابيَّة، ونراه كعبدٍ متألم، سيكون أول رد فعل لنا على الأرجح هو: «يا لهذا الترفق!»

فكِّر معي في الظروف التي كان المسيح يجتاز فيها بينما كان يدخل البستان، ثم لاحظ الفكرة الأولى التي خطرت على باله. لم تكن الفكرة تتعلق به، بل بأتباعه. فقد حوَّل

[٣١٢] ٢ كورنثوس ٥: ٢١.

[٣١٣] عبرانيين ٢: ١٧.

اهتمامه إلى هؤلاء الرجال الذين كان قد دعاهم، وعَلَّمهم بطول أناة، وعاش بينهم؛ والذين كان يحبهم أكثر جدًا مما يمكنهم حتى محاولة التصوُّر (كما قال يوحنا: «إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ ٱلَّذِينَ فِي ٱلْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى ٱلْمُنْتَهَى»[٣١٤]).

تطلَّع معي جيدًا إلى إنكار يسوع لذاته. فقد قال قبلًا: «وَلَكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَٱلَّذِي يَخْدُمُ».[٣١٥] والآن وبصفة خاصة، ظل يخدم مصالح تلاميذه على الرغم من قسوة الموقف المتناهية التي كانت قد بدأت تسحقه.

لاحظ كيف حثَّهم في عطفٍ ومودة على أن يحافظوا على تواصلهم الوثيق مع الآب لئلا يدخلوا في تجربة. «اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ».[٣١٦]

وفي وقت سابق، حين تحدَّث إلى بطرس، لا بد أنه نطق بهذه الكلمات بقلبٍ مفطورٍ:

> سِمْعَانُ، سِمْعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ.[٣١٧]

جاء الضمير الأول في ذلك التصريح («طَلَبَكُمْ») في صيغة الجمع، بينما جاء الضمير الثاني («مِنْ أَجْلِكَ») في صيغة

---

[٣١٤] يوحنا ١٣: ١.

[٣١٥] لوقا ٢٢: ٢٧.

[٣١٦] مرقس ١٤: ٣٨.

[٣١٧] لوقا ٢٢: ٣١-٣٢.

المفرد. يبدو وكأن يسوع كان يقول: «يا سمعان، لقد طلب الشيطان أن يُغربلك، ليس أنت فحسب، يا سمعان، بل جميعكم. ستجتازون جميعهم في الطاحونة، وستصلون جميعكم إلى حافة الانهيار، من جراء الأحداث التي على وشك الوقوع. ولكن، اعلم يا سمعان أنني صليتُ من أجلك أنت بشكل خاص».

يعجز البعض منا عن إيجاد الوقت أو الطاقة لأي شيء أو لأي شخص آخر حين لا يسير أقلُّ شيء في حياتنا على ما يرام. ألا ينطبق هذا ربما بشكل أساسي على الرجال؟ لدى الزوجات قدرة استثنائية على التحمُّل والمضي قدمًا، لكن حين لا يسير أقل شيء في حياة البعض منا نحن الرجال على ما يرام، نبدأ في الانسحاب، وننتظر أن يأتي آخرون ويهتموا بنا!

لكن لم يكن يسوع هكذا. فعلى الرغم من كل ما كان يواجهه، ومن كل ما رآه مكتوبًا على وجوه هؤلاء التلاميذ، أبدى اهتمامًا بهم، وقال: «وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ». كان يَعلَم أنهم سيجرَّبون بالشك فيه والتخلِّي عنه، بل وبإنكاره أيضًا.

نجد هذه الروح نفسها من الاهتمام المترفق متغلغلة في كلمات يسوع في صلاته العظيمة الواردة في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا، تلك الصلاة التي ينبغي أن تُقرأ جنبًا إلى جنب مع رواية الأناجيل الإزائيَّة. **فهنا،**

في مشهد جثسيماني، يوصي يسوع التلاميذ بأن يصلُّوا لئلا يدخلوا في تجربة. **وفي مشهد الصلاة**، في إنجيل يوحنا، صَلَّى يسوع من أجل أن يظلوا أقوياء في التجربة العتيدة أن تأتي عليهم.[٣١٨] كان الهدف من صلوات العبد المتألم إذن هو أن يُحفَظوا، حتى يتمكَّنوا من أن يصلُّوا لأجل أنفسهم كي يُحفَظوا!

لن يكون ثبات هؤلاء التلاميذ في هذا الموقف المتناهي القسوة شيئًا سيحدث بمحض الصدفة. كما أنه لم يكن شيئًا سيحدث فقط عن طريق **أمر إلهي بحت**. بل كان هذا سيحدث بنعمة الله، التي تُعطَى لهم من خلال وسائط من الله.

وسائط النعمة العادية:

هذا وقتٌ مناسبٌ كي نُذَكِّر أنفسنا ببُعدٍ من أبعاد الحياة المسيحيَّة صار مُهملاً بصورة متزايدة. فإننا بحاجة إلى تقدير أفضل لقيمة ما نطلق عليه عادة اسم «وسائط النعمة العادية».

ما هي هذه الوسائط؟ الصلاة، والوعظ، وشركة المؤمنين، وفريضتا المعموديَّة وعشاء الرب، واختبار الضيقات، وغير ذلك. ومن ثَمَّ، فحين يقول الكتاب المقدس: «احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ فِي مَحَبَّةِ اللهِ»،[٣١٩] يوحي هذا ضمنًا بأن الله

---

[٣١٨] يوحنا ١٧: ١١.

[٣١٩] يهوذا ١: ٢١.

يُكمِل العمل الصالح الذي ابتدأه **بأن يعمل فينا ومن خلالنا**.[٣٢٠] فإننا محفوظون من الله، وإننا أيضًا نحفظ أنفسنا بالاتكال عليه.

السمة الثانية لخدمة يسوع هي:

التكريس والتسليم:

تُخبرنا الأناجيل بأنه حين دخل يسوع بستان جثسيماني، طلب من ثمانية من تلاميذه البقاء في موضع معيَّن، ربما للحراسة. ثم أخذ ثلاثة منهم (بطرس، ويعقوب، ويوحنا) إلى مسافة أبعد داخل البستان. وبعد ذلك، دخل أيضًا إلى مسافة أبعد بمفرده، وابتدأ يُصلِّي.[٣٢١]

ثم ماذا حدث؟

يصف لنا لوقا وضعية الصلاة التي اتخذها يسوع: «جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ».[٣٢٢]

في موضع سابق في الإنجيل، يصف لنا لوقا وضعية الصلاة التي اتخذها واحدٌ من الفريسيين، قائلًا إنه «وَقَفَ».[٣٢٣] اعتاد اليهود الوقوف للصلاة (نظير ما كان المسيحيون يفعلونه لسنوات عديدة أيضًا في خدمات العبادة في الكنيسة). ولكن، لم يقف يسوع في وضعية الصلاة

---

[٣٢٠] فيلبي ١: ٦؛ قارن فيلبي ٢: ١٢-١٣.

[٣٢١] لوقا ٢٢: ٤١.

[٣٢٢] لوقا ٢٢: ٤١.

[٣٢٣] لوقا ١٨: ١١.

الرسمية، بل جثا على ركبتيه — في البداية على الأقل. فإن متى يروي لنا أنه بعد هذا «خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ».[٣٢٤] ويروي مرقس أيضًا أنه «خَرَّ عَلَى الأَرْضِ».[٣٢٥] كان هذا يمثِّل نوعًا من اللجاجة، بل والاستماتة أيضًا — لكن كان هذا مصحوبًا أيضًا بخضوع واستسلام، إذ انطرح يسوع في التراب أمام أبيه. لم يكن هناك مفر من هذه المشاعر القوية والحادة. فقد كان يسوع على وشك الانتقال من الشق النظري، إن جاز التعبير — أي من المعرفة التي كان يحتفظ بها منذ أمد طويل بأن الصلب ودينونة الله ينتظرانه في نهاية الدرب — إلى الشق الملموس والفعلي.

ربما كان الخضوع لعمليَّة جراحيَّة كبيرة هو الموقف الأقرب إلينا من هذا الموقف. فإنك تسجِّل تاريخ العمليَّة في مفكرتك الخاصة. وإلى أن يحين هذا التاريخ، ربما تلتقي باستمرار بأناس في المسار اليومي للحياة، فتجيب على أسئلتهم قائلًا: «نعم، سأدخل غرفة العمليات في الساعة الثامنة صباحًا، ثم سيحدث كذا. ثم في الساعة التاسعة صباحًا، سيحدث كذا. أما في الساعة الحادية عشر، فسيحدث كذا». وربما نقول لأنفسنا: «في حوالي الساعة الثالثة ونصف ظهرًا، سأكون في غرفتي أتناول المثلَّجات» — متحلِّين بالأمل طوال الوقت بأننا سنتمكن من الوصول بسلامٍ إلى نقطة النهاية.

---

[٣٢٤] متى ٢٦: ٣٩.

[٣٢٥] مرقس ١٤: ٣٥.

لكن بعد ذلك، يأتي اليوم الفعلي للعمليَّة الجراحيَّة.
حينئذ يجف حلقك.
وعندئذ، تهزم الأجواء المعقَّمة شجاعتك.
وحينئذ، سيختلف شكل صلاتك ...

عند مفترق الطرق إلى درب الصليب:

جثا المسيح على ركبتيه؛ ثم انطرح أرضًا؛ ثم خرَّ على وجهه في الأرض، منبطحًا في الصلاة أمام أبيه. لم يرَ الرسول بولس هذا المشهد، لكنه أدرك معناه: فقد كان يسوع بهذا يطيع حتى الموت، موت الصليب.[٣٢٦]

وقد عبَّرت الوضعيَّة الجسديَّة التي اتَّخذها الرب هنا عن حجم الألم الذي كان يعتمل بداخله.

فكِّر فيما كان يعنيه بالنسبة ليسوع أن يتحدث إلى أبيه قائلًا: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ ٱلْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ».

ففي نقطة ما داخل دائرة تدبير الله الواسعة في الأزل، دخل الآب، والابن، والروح القدس معًا في عهدٍ. وبكلمات بسيطة، ألزم كلٌّ واحد منهم نفسه بإتمام جانب معين من جوانب فدائنا. فقد اشترك الأقانيم الثلاثة جميعهم دائمًا معًا في كل عمل يعمله الله. ولكن كان دور الآب هو أن يخطِّط للخلاص، ودور الابن أن يأتي ليتمِّمه، ودور الروح القُدس أن يُرسَل لتطبيقه.

---

[٣٢٦] انظر فيلبي ٢: ٨.

جاء الابن ليتمِّم مهمة الخلاص التي كُلِّف بها. وقد اختار أن يترك الأمجاد الرائعة وغير المحدودة للحياة في السماء ويأتي إلى عالمنا الساقط. فقد ترك ألفة السماء، حيث كان يستمتع منذ الأزل بلذة الشركة الحميمة مع أبيه داخل دائرة حياة الله، وجاء إلى هذا العالم الملوَّث والفاسد أخلاقيًّا وروحيًّا. وقد وُلد ولادة طبيعيَّة، وتقدَّم في القامة وَٱلنِّعْمَةِ، عِنْدَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ.[٣٢٧] كما تعلَّم من يوسف أيضًا شؤون العمل في ورشة النجارة، وغير ذلك من أشياء. ولكن طيلة الوقت، كان لديه وعيٌ بأن حياته تتحرك لا محالة صوب تاريخ كتبه الله في المفكرة الإلهيَّة. وقبل ذلك التاريخ، لم تكن «ساعة» يسوع قد أتت بعد.[٣٢٨]

لكن الآن، وهنا، في بستان جثسيماني، أتت ساعة يسوع — في تزامنٍ مع ما أطلق عليه «ساعة سُلْطَانُ ٱلظُّلْمَةِ».[٣٢٩]

كان عقرب ساعة المصير الإلهيَّة يتحرك الآن لا محالة صوب منتصف الليل. وبالرغم من الظلام، استطاع يسوع أن يرى أوضح صورة على الإطلاق للآلام والعذابات التي كانت في انتظاره. هل هناك ضرر من أن نقول إنه قد تعرض هنا لهجوم شيطاني؟ فبالتأكيد، أُطلِق العنان لجيوش عالم الظلمة البغيضة ضده، مهاجمة نفسه وعقله، وقامعة

---

[٣٢٧] لوقا ٢: ٥٢.

[٣٢٨] تتخلل هذه الإشارات إنجيل يوحنا. انظر يوحنا ٢: ٤؛ ٧: ٣٠؛ ٨: ٢٠؛ قارن يوحنا ١٢: ٢٣؛ ١٣: ١؛ ١٧: ١.

[٣٢٩] لوقا ٢٢: ٥٣.

إيَّاه حتى النخاع. فإن الأفق البعيد قد اقترب الآن بكل واقعه الذي يعتصر الأحشاء.

لا بد أن يسوع كان يعرف كيف يبدو الصلب، وكيف هو وقعه، وماذا يفعل بالإنسان. وربما فكر كثيرًا في أعماقه في أن الأمر سيكون شبيهًا بالصور التي رسمها المزمور الثاني والعشرون للألم: أسود زائرة تُمزق فريستها، وثيران قوية تحيط به.

لكن كانت هذه الليلة مختلفة. فقد كان التخيُّل والتفكير المسبق الآن يفسح المجال للواقع. الآن قد هجمت قوات الجحيم!

كاد الهلع أن يتمكَّن من يسوع. ولا يثير تعليق مارتن لوثر دهشتنا، إذ قال: «لم يُصَب إنسانٌ برعب الموت مثلما أصيب هو ... فقد شعر واختبر مخاض الموت أكثر منا كلنا مجتمعين».[٣٣٠]

يخبرنا مرقس بأنه حين كان يسوع لا يزال مع التلاميذ «ابْتَدَأَ يَدْهَشُ وَيَكْتَئِبُ». وكانت خلاصة كلماته هي: «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ!»[٣٣١] وكما رأينا قبلاً، تعبِّر هذه اللغة عن شعور بالاضطراب والتشويش الناجم عن صدمة عنيفة.

---

[330] Martin Luther, The Complete Sermons of Martin Luther, vol. 5, ed. Eugene F. A. Klug (Grand Rapids, MI: Baker, 2000), 384.

[٣٣١] مرقس ١٤: ٣٣-٣٤.

في ذلك الوقت، رأى بطرس، ويعقوب، ويوحنا يسوع من زاوية جديدة. فقد رأوه قبلًا المعلم الذي يعلِّمهم، والنبي الذي ينادي بكلمة الرب، والمتحنِّن الذي يحمل الأطفال على ركبتيه. كما رأوه يمارس سلطانه على الرياح والأمواج. لكنهم لم يروه هكذا من قبل.

ربما وجَّه له أحدهم هذه الكلمات: «يا يسوع، هل أنت بخير؟ هل تشكو من خطبٍ ما؟» فأجابهم الرب: «إن الحزن يغمر نفسي». لم يَقل لهم: «أشعر اليوم أنني لستُ بخير بعض الشيء. لستُ على ما يرام هذا المساء. لستُ اليوم في حالتي الطبيعية نوعًا ما»؛ لكنه قال: «نَفْسي حَزِينَةٌ جِدًّا».

كان يسوع هنا يجتاز في تجربة غير مسبوقة، يفوق رعبها الخوف الشديد الذي اعترى التلاميذ في السفينة وهم يواجهون عاصفة بحر الجليل. فقد صرخوا قائلين: «يا يسوع، استيقظ! إننا نغرق! أنقذنا! أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟»[٣٣٢] لكن كان يسوع بمفرده تمامًا في هذا القارب المبحر نحو قلب عاصفة الغضب الإلهي. الآن كان رمز اعتماده في مياه نهر الأردن لأجل خطايا شعبه يتحقق في واقع اعتماده في الدم في الجلجثة. ففي دينونة مياه شديدة وعاتية، انطلقت كل لجج الله صوبه، وطمت عليه

[٣٣٢] انظر مرقس ٤: ٣٥-٤١.

تياراتــه، فيــما كان يأخــذ عــلى عاتقــه خطايــا شــعبه:[٣٣٣]

خَلِّصْنِي يَا ٱللهُ،
لِأَنَّ ٱلْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي.
غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ،
وَلَيْسَ مَقَرٌّ.
دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ ٱلْمِيَاهِ،
وَٱلسَّيْلُ غَمَرَنِي.
تَعِبْتُ مِنْ صُرَاخِي.
يَبِسَ حَلْقِي.
كَلَّتْ عَيْنَايَ
مِن ٱنْتِظَارِ إِلَهِي.
أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي
ٱلَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلَا سَبَبٍ.
ٱعْتَزَّ مُسْتَهْلِكِيَّ
أَعْدَائِي ظُلْمًا.
حِينَئِذٍ رَدَدْتُ
ٱلَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ».[٣٣٤]

انكمــش يســوع، في ناســوته المقــدَّس، فزعًــا مــن بشــاعة الهــوان، والألم، والمــوت الــذي كان في انتظــاره.

---

[٣٣٣] مزمور ٤٢: ٧.

[٣٣٤] مزمور ٦٩: ١-٤.

ولذلك طلب «النجاة» قائلاً: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ».[٣٣٥]

لو لم يكن قد فعل ذلك، لقلنا إنه ليس إنسانًا حقيقيًّا. فهو لن يكون إنسانًا أو قدوسًا (أليس كذلك؟) إن كان الواقع الماثل أمامه لا يمثل له أيَّة أهميَّة. فهو لم يكن قد اختبر من قبل هذا الواقع البشع الذي كان يواجهه الآن — أي انصباب غضب الآب على نفسه المقدسة. كان هذا المشهد المنتظَر يفوق التصور.

إنسان كامل وحقيقي:

لطالما تراوح فهم الكنيسة عن شخص يسوع المسيح ما بين التأرجُح والثبات. فقد تأرجح البندول كثيرًا ما بين الانتقاص من لاهوت يسوع والانتقاص من ناسوته. وفي المئة وخمسين عامًا الأخيرة، انتقص الفكر الليبرالي من لاهوت المسيح، بينما عرَّضت العقيدة المستقيمة نفسها لخطر الانتقاص من ناسوته، جزئيًّا كرد فعل على هذا. فمع إصرارنا على أن يسوع ربٌّ، وعلى أنه هو الإله الملك — الشيء الذي نؤكده بكل صراحة ودون أي تحفظ — علينا ألا نسقط البتة في ضلالة أن نجعله إما أدنى أو أعلى من إنسان. فإننا إن فعلنا ذلك، نختزل خلاصه إلى مجرد معادلة رياضية، بل والأسوأ من ذلك أننا سنجعله مسيحًا غير مؤهَّل لأن يكون مُخلِّصًا.

---

[٣٣٥] لوقا ٢٢: ٤٢.

لكـن إن كان مُخلِّصنا إنسـانًا كاملًا وحقيقيًّا، فلابد أن يكون عملـه إذن حقيقيًّا، مـن لحـم ودم. لدينـا إذن إنسـان حقيقـي، متواجـدٌ في هـذا البسـتان الحقيقـي، بـين أحبـاء حقيقيـين، خذلـوه أمـام هـذا الهجـوم الحقيقـي. ومـن ناحيـة، كان هـذا الهجـوم آتيًـا مـن الجحيـم (هـل هنـاك تجربـة أكـثر شراسـة عـلى الإطـلاق مـن تلـك التـي كان يواجههـا الآن؟)، ومضمونـه: «تراجـع عـن طاعتـك حتـى المـوت، مـوت الصليـب». لكـن من ناحيـة أخـرى، كانـت الـكأس التـي ارتعـد يسـوع مـن تجرُّعهـا تحـوي هجومًـا مـن السـماء،[٣٣٦] سـيصل بـه في النهايـة إلى حـد الـصراخ قائـلًا: «إِلهِـي، إِلهِـي، لِـمَاذَا تَرَكْتَنِـي؟»

كان يسـوع يعلَـم جيـدًا أن هـذا هـو مـا كان يعنيـه أن يتـألم ويمـوت كذبيحـة كفاريَّـة عـن الخطايـا. فقـد كان عـلى وشـك أن يـذوق ويختـبر معنـى التخـلِّي الإلهـي.

مخلِّص شَعَر ولا زال يشعر:

هنـاك بُعـد عقـلي لهـذه الآلام. لهـذه الآلام جانـبٌ فكـريٌّ، بالإضافـة إلى الجانـب النفـسي الجسـماني. فقـد تملَّكـت مـن يسـوع مشـاعر وانفعـالات الموقـف. كان قـد أكـد مـرارًا وتكرارًا عـلى الـضرورة الإلهيَّـة لآلامـه، لكنـه كان الآن يواجـه المحنـة عـن قُـرب. ففـي ليلـة اسـتدعت برودتهـا إشـعال نـار للتدفئـة في سـاحة رئيـس الكهنـة، تصبَّـب عـرق يسـوع كقطـرات كبـيرة

[٣٣٦] للاطـلاع عـلى إشـارات أخـرى إلى كـون هـذا هـو معنـى «الـكأس»، انظـر: مزمـور ٧٥: ٨؛ إشـعياء ٥١: ١٧، ٢٢؛ إرميـا ٢٥: ١٥-١٧؛ حزقيـال ٢٣: ٣٢-٣٣؛ حبقـوق ٢: ١٦.

مـن الدمـاء، سـقطت ملطِّخـة الأرض.[٣٣٧] كيـف يمكـن لأحـد أن يتصبَّـب عرقًـا بهـذا الشـكل في ليلـة بـاردة لدرجـة أن بطـرس أسرع في الذهـاب ليسـتدفئ بقـرب النـار؟[٣٣٨]

يُـدرك بعضنـا جيـدًا معنـى الكـرب والعـذاب العقلي. فـإن البعض منـا يشـعر بـه إلى حـدٍ أننـا نخـشى بالفعـل عـلى سـلامتنا العقليَّـة، بل وعـلى حياتنـا أيضًـا. تصيـب عقـول البعـض منـا المخـاوف، ويشـعرون أحيانًـا بأنهـم عـلى حافـة اليـأس وفقـدان الأمل.

وهل لدى رسالة الإنجيل شيءٌ تخبرنا به في هذا الشأن؟

قطعًـا لديهـا مـا تخبرنـا بـه! تخبرنـا رسـالة الإنجيـل بـأن المسـيح قـد اختـبر كلَّ هـذا في أعماقـه. هـل تعلَـم أن الـرب يسـوع يـدرك جيـدًا طبيعـة هـذا الشـعور بالضغـط والضيـق الشـديد؟ ليـس عبثًـا إذن أنَّ كاتـب العهـد الجديـد الـذي قـال:

> الَّـذِي، فِي أَيَّـامِ جَسَـدِهِ، إِذْ قَـدَّمَ بِـصُرَاخٍ شَـدِيدٍ وَدُمُـوعٍ طَلِبَـاتٍ وَتَضَرُّعَـاتٍ لِلْقَـادِرِ أَنْ يُخَلِّصَـهُ مِـنَ الْمَـوْتِ، وَسُـمِعَ لَـهُ مِـنْ أَجْـلِ تَقْـوَاهُ، مَـعَ كَوْنِـهِ ابْنًـا تَعَلَّـمَ الطَّاعَـةَ مِـمَّا تَأَلَّـمَ بِـهِ.[٣٣٩]

هو نفسه الذي قال أيضًا:

> يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ.[٣٤٠]

---

[٣٣٧] لوقا ٢٢: ٤٤.

[٣٣٨] لوقا ٢٢: ٥٥.

[٣٣٩] عبرانيين ٥: ٧-٨.

[٣٤٠] عبرانيين ١٣: ٨.

لا تصف هذه الكلمات الأخيرة طبيعة الابن السرمديَّة وغير المتغيِّرة. صحيح أن هذا حق كتابي، ولكنه ليس الحق المقدَّم في هذا النص. بل يخبرنا هذا النص بأن **يسوع لا يزال كما كان في أثناء خدمته على الأرض، في كلِّ شيء.** فإن ترفُّقه الشديد، وتحنُّنه، وتفهُّمه التام للألم سواء العقلي أو الجسدي — الذي صوَّرته الأناجيل بوضوح شديد — لا يزال حقيقيًّا اليوم كما كان بالأمس. والأكثر من هذا أنه سيظل دائمًا هكذا! فهو لا يزال اليوم كما تصفه رواية الأناجيل تمامًا — وكل هذا لأجلنا!

هناك جانب جسدي لهذه الآلام. هذا الأمر جديرٌ بالذكر، ولا داعي للاستفاضة فيه. فإن الصلب، بالتأكيد، هو أشد العقوبات وحشيَّة، وقسوة، ولا آدميَّة التي اخترعها الإنسان على الإطلاق. يجب أن يكون واضحًا أمامنا تمامًا أنه لم يكن هناك شيء في ناسوت المسيح يستطيع أن يجعل مشاعره تتبلَّد، أو يستطيع أن يخدِّره للتقليل من حجم آلامه. فإن الكيفيَّة المروعة التي نُفِّذت بها عقوبة الموت التي صدرت ضده — على الرغم من براءته — لم تكن جزءًا من رواية، بل هي واقع حقيقي.

بل في حقيقة الأمر، حرص يسوع بشدةٍ على أن يتألَّم دون تخفيف، لدرجة أنه حين قُدِّم له خلٌّ ممزوجٌ مرارة كنوع من المخدر لإماتة حواسه والتسكين من آلامه، أَبَى أن

يـشرب.[٣٤١] فقـد عـزم عـلى أن يتجـرَّع كأس الآلام حتـى الثمالـة.

هنـاك بُعـد اجتماعـي لهـذه الآلام. ربمـا لم يخطـر ببالـك قبـلاً أن هـذا البُعـد قـد يشـكِّل أيَّـة أهميَّـة فعليَّة لدى يسـوع. ولكـن فكِّـر معـي في ذلـك الآن: كان يسـوع شـخصًا ودودًا. فهـو لم يكـن في خدمتـه كصخـرة صلبـة أو كجزيـرة نائيـة.

لم يـبنِ يسـوع أسـوارًا بينـه وبـين النـاس، بـل بنـى جسـورًا. فقـد جمـع النـاس حولـه، وأحبَّـه الأطفـال. وقـد أتـاه أنـاس مـن الصفـوة، كـما أنصـت إليـه أنـاس عاديـون. كان أصدقائـه وأحبـاؤه يمثلـون أهميَّـة عنـده. كـما أنـه أحـب جيرانـه. فقـد كان حَنونًـا ومحبًّـا. وكان يسـتمتع بالعلاقـات الإنسـانيَّة.

ولهـذا، حـين جثـا يسـوع عـلى ركبتيـه في هـذا البسـتان (الـذي كان قبـلاً بالنسـبة لـه موضعًـا لراحـة البـال والعلاقـات الجيـدة)، لم يكـن بالأمـر الهـين عليـه أنـه كان عـلى وشـك أن يُهمَّـش، ويُعـزَل، ويُـدان. كان رفقـاؤه طـوال ثـلاث سـنوات عـلى وشـك خيانتـه، أو إنـكاره، أو الازدراء بـه والتخـلِّي عنـه. ولـن يجـد وجهًـا ودودًا، أو يـدًا تمسـك بـه، أو كلمـة تشـجيع تُهمَـس في أذنـه.

كان يسـوع عـلى وشـك التعـرض للظلـم وسـوء المعاملـة مـن المؤسَّسـة الدينيَّـة التـي سـعى قبـلًا إلى معاملتهـا باحـترام وتوقـير. وكان عـلى وشـك التعـرُّض علنًـا للـذل والمهانـة — تلـك

[٣٤١] متى ٢٧: ٣٤.

المهانة التي قطعًا شعر بها أعز أصدقائه وأقرب أفراد عائلته. فقد كان يسوع، الذي كان جاثيًا الآن في البستان، على وشك أن يموت ظلمًا، وحيدًا، بينما وقف أحباؤه على مبعدة منه تقريبًا حتى النهاية، ناهيك عمَّن تخلوا عنه تمامًا. هل شعر يسوع أيضًا بأن أولئك الذين كانوا يمثلون أهميَّة لديه في هذه الحياة الأرضيَّة هم أكثر مَن ظنوا **أنه قد خَذلهم؟**

نستطيع أن نرى إذن أنه لو كان يسوع إلهًا فحسب، كنا سنميل إلى التفكير هكذا: «حسنا! أين تكمُن المشكلة؟ فإنه ابن الله، وهذا لا يمثل مشكلة بالنسبة له».

لا، بل كان هذا بالحقيقة يمثل مشكلة لديه.[٣٤٢]

في أثناء سنوات نشأتنا في جلاسكو، بإسكتلندا، اعتدنا أن تأتينا زيارات من مجموعات من المؤمنين من الولايات المتحدة الأمريكيَّة. وكانوا يحضرون معهم مُرنمين وأنواع مختلفة من التراتيل كي نتعلَّمها. وقد ترك البعض من هذه التراتيل أثرًا عميقًا في أذهان الشباب وقلوبهم. تبدأ واحدة من هذه التراتيل بالكلمات الآتية:

كان هناك تسعة وتسعون	There were ninety and nine
رابضون في سلام	that safely lay
داخل الحظيرة.	In the shelter of the fold.

[٣٤٢] ربما ينبغي أن نشير هنا إلى أن هذا لن يكون تجاهلاً لناسوت الرب فحسب، بل أيضًا سوء فهم للاهوته.

But one was out on the hills away,	لكن ابتعد واحدٌ نحو التلال،
Far off from the gates of gold.	بعيدًا عن الأبواب الذهبية.
Away on the mountains wild and bare.	ابتعد في الجبال البرية وفي العراء.
Away from the tender Shepherd's care.	بعيدًا عن رعاية الراعي الحنونة.
Away from the tender Shepherd's care.	بعيدًا عن رعاية الراعي الحنونة.
"Lord, Thou hast here Thy ninety and nine;	«يا رب، لديك تسعة وتسعون؛
Are they not enough for Thee?"	ألا يكفونك؟»
But the Shepherd made answer: "This of Mine	لكن أجاب الراعي: «ذاك الذي هو لي،
Has wandered away from Me;	قد ضلَّ بعيدًا؛
And although the road be rough and steep,	وبالرغم من وعر الطريق وانحداره،
I go to the desert to find My sheep,	سأمضي إلى الصحراء لأجد خروفي،
I go to the desert to find My sheep."[343]	سأمضي إلى الصحراء لأجد خروفي».

[343] Elizabeth Clephane, "The Ninety and Nine," 1868.

كانت هذه الكلمات التي كتبتها إليزابيث كليفان (Elizabeth Clephane) تُرتل دائمًا باللحن الذي ألفته إيرا د. سانكي (Ira D. Sankey). كانت الترتيلة مؤثرة للغاية. كان يبدو لنا أن البيتين الأول والثاني يسيران بسلاسة مع اللحن؛ ولكن بدءًا من البيت الثالث. كان ينتابنا شعورٌ بحلول الظلام، ويغيب يسوع عن المشهد. كنا نعلم أننا لا نقدر أن نقطع كلَّ المسافة معه.

لكن لم يدرك أحدٌ من المفتدين	But none of the ransomed ever knew
عمق المياه التي عبر فيها الرب،	How deep were the waters crossed;
أو ظلمة الليلة التي اجتاز فيها،	Nor how dark was the night the Lord passed through
حتى يجد خروفه الضال.	Ere He found His sheep that was lost.
فخارجًا في الصحراء سمع صراخه،	Out in the desert He heard its cry,
عليلًا وعاجزًا، على مشارف الموت؛	Sick and helpless and ready to die;
عليلًا وعاجزًا، على مشارف الموت؛	Sick and helpless and ready to die;

ثم بدا وكأن البيت الرابع والخامس يصفان لنا كل ما كان مسموحًا لنا أن نعرفه:

“Lord, whence are those blood
drops all the way
That mark out the mountain’s
track?”
“They were shed for one who
had gone astray
Ere the Shepherd could bring
him back.”
“Lord, whence are Thy hands
so rent and
“They are pierced tonight by
many a thorn;
They are pierced tonight by
many a thorn.”

«يا رب، من أين تأتي قطرات الدماء
المتساقطة على طول الطريق
صابغة طريق
الجبل؟
«قد سُفِكت هذه
لأجل ضالٍ
كي يعيده
الراعي».
«يا رب، لماذا يداك مشققتان
وممزقتان هكذا؟»
«قد ثقبتهما اليوم
أشواك كثيرة؛
قد ثقبتهما اليوم
أشواك كثيرة».

And all through the
mountains, thunder riven
And up from the rocky steep,
There arose a glad cry to the
gate of Heaven,
“Rejoice! I have found My
sheep!”
And the angels echoed around
the throne,
“Rejoice, for the Lord brings
back His own!
Rejoice, for the Lord brings
back His own!”

وطوال الطريق إلى الجبال،
عصفت الرعود
ومن فوق قمة الصخرة المنحدرة،
انطلقت صرخة مبتهجة نحو
باب السماء،
«افرحوا! قد وجدتُ
خروفي!»
فردَّدت الملائكة
حول العرش،
«افرحوا، لأن الرب
استعاد خاصته!
افرحوا، لأن الرب
استعاد خاصته!»

لا أحد منا يدرك جيدًا البرودة اللاذعة لهذه المياه، أو عمق تلك الظلمة. كان الرب بمفرده تمامًا في جثسيماني. نستطيع أن نطيل النظر إلى هذا المشهد، وأن نبذل قصارى جهدنا لفهمه، لكننا لن نتمكَّن البتة من استيعابه بالكامل. ولهذا نحن ممتنون لكلمات بولس القائلة:

بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي ... لِكَيْ يُعْطِيَكُمْ بِحَسَبِ غِنَى مَجْدِهِ، أَنْ تَتَأَيَّدُوا بِالْقُوَّةِ بِرُوحِهِ فِي الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ ... وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلُوُّ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ.[٣٤٤]

تتبادر إلى ذهننا الآن ترتيلة أخرى، تنتمي هذه المرة إلى إقليم ويلز:

محبة واسعة كالمحيط،	Here is love, vast as the ocean,
ومراحم غزيرة كالطوفان،	Loving kindness as the flood,
رئيس الحياة، فِديتنا،	When the Prince of Life, our Ransom,
قد سفك عنا دمه الثمين.	Shed for us His precious blood
من منا لا يذكُر محبته؟	Who His love will not remember?

[٣٤٤] أفسس ٣: ١٤-١٩.

Who can cease to sing His praise?	مَنْ يستطيع التوقف عن الإنشاد بحمده؟
He can never be forgotten,	لا يمكن أن يُنسَى البتة،
Throughout Heav'n's eternal days.[345]	طوال الأبدية في السماء.

في حقيقة الأمر، كانت قسوة الموقف الذي تعرَّض له يسوع في البستان عنيفة، وكانت آلامه غائرة للغاية، لدرجة أن ملاكًا أُرسِل من السماء ليخدمه. (أليست الملائكة «أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ»؟[٣٤٦])

هل يمكنك تخيل شكل الاستدعاء الذي جاء إلى هذا الملاك؟

فكأن الآب قال له: «أريد أن تقوم بزيارة معيَّنة. أريدك أن تنزل إلى أورشليم، إلى جبل الزيتون — وبالتحديد إلى بستان جثسيماني. وهناك سَتجده».

«مَنْ هو هذا يا رب؟»

«عبدي. هناك ستجد المتألم. هو ابني. اذهب واخدمه».

مَنْ يستطيع وصف طبيعة خدمة ذلك الملاك — ناهيك عن تفسيرها؟ قال ألكسندر وايت (Alexander

[345] William Rees, "Here Is Love, Vast as the Ocean," 1876.

[٣٤٦] عبرانيين ١: ١٤.

Whyte)، راعي كنيسة سان جورج الحرة بمدينة إدنبرج في القرن التاسع عشر، إنه حين يصل إلى السماء، وبعد أن يلتقي بالمسيح أولاً، سيكون هذا الملاك هو أكثر شخص يرغب في لقائه.

نحن قطعًا نتفهم هذا جيدًا. فعلى الأرجح، لم يعرف ألكسندر وايت كيف يفسر هذه الآية بالتحديد. لكن ربما حين تتضح جميع الأمور، ولا يعود بعد ينظر في مرآة معتمة — وكذلك نحن أيضًا — ربما حينئذ يتضح شيء من الإجابة.

قطعًا، بمجرد مجيء الملاك (هكذا نظن)، أصبح كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟ ربما تظن ذلك، لأنك تحكم على الأمر من خلال بعض الكُتب الحالية التي تتحدث عن الملائكة. فحين يأتي الملاك، يصير كل شيء بخير ... أليس كذلك؟

هل هذا صحيح؟

ليس صحيحًا. بل بعدما جاء الملاك، صارت الأمور أبعد ما يكون عن الحال الجيد.

لاحظ معي الجملة الصادمة التي تلت هذا: «وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. **وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ**».[٣٤٧]

قطعًا كان الرب يسوع ممتنًا لله لأجل التعضيد الذي جاءه من السماء، لكن لم يقلل هذا من حدة صراعه، بل

[٣٤٧] لوقا ٢٢: ٤٣-٤٤.

فقط أتاح له أن يواصل الصراع حتى النهاية. (بالمناسبة، لاحظ أن يسوع لم «يستعِن» بأية قوة خاصة من لاهوته في هذه اللحظة — فإن لاهوته وناسوته لم يمتزجا أو يختلطا البتة بهذه الطريقة. بل بالأحرى، حصل يسوع على معونة من أبيه عن طريق زيارة الملاك).

أكد دونالد ماكلويد (Donald Macleod) على حدة الأمر حين كتب هذه الكلمات:

في كلِّ هذا، لا يزال المسيح يساند أولئك الرازحين تحت ضغوط أحزانهم، ولا يجدون في أنفسهم قدرة على احتمال الحزن والارتباك، بل ويخشون أن يقضي هذا عليهم.[٣٤٨]

يا لشدة التحنن! ويا لشدة التسليم والتكريس!

يتحتم علينا الآن أن نتناول بعدًا آخر يخص الرب يسوع بصفته العبد المتألم.

تناقُض:

وأخيرًا، قام يسوع من الصلاة.

وانتهى الصراع.

وعلى نقيض انبطاحه السابق، رجع يسوع إلى تلاميذه هادئًا.

والآن صار مستعدًا أن يسلك درب الآلام.

---

[348] Donald Macleod, From Glory to Golgotha (Fearn, Ross-shire: Christian Focus, 2002), 88.

لم يعد هناك الآن أدنى شك في أنه سيسلك درب الآلام حتى نهايته.

والآن سيتحول كل ما ترقَّبه في اللحظات الكئيبة في البستان إلى واقعٍ.

فقد جاءه الملاك وقوَّاه. والآن كان واقفًا على قدميه.

فقد صمد في جثسيماني، وحان الآن وقت عودته إلى تلاميذه. لكن، مع أنه حث التلاميذ على السهر والصلاة، غلبهم النعاس. لكنه الآن قد أمسك بالكأس بين يديه، وسيرفعها إلى شفتيه.

يقول لوقا في لطفٍ شديد إن التلاميذ كانوا منهكي القوى من شدة الحزن. لكن ربما لم يكن هذا مجرد لطف من جانب لوقا. فقد كان طبيبًا، وقد أولى اهتمامًا لطبيعة العرق الذي تصبب من يسوع. ربما إذن كان يريد منا هنا أن نفهم شيئًا. فقد اجتاز هؤلاء الرجال في تجربة مريرة تهز المشاعر، وعجزوا هم أيضًا عن احتمالها. لكن الشيء الرائع هو أن يسوع خاطبهم مرة أخرى قائلاً: «لماذا أنتم نيام؟ دعوني أوصيكم مرة أخرى بما تحتاجون أن تفعلوه: اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة».

ثم حين جاء الجنود مع يهوذا للقبض على يسوع، خطا يسوع إلى الأمام وقال: «أظن أنكم تبحثون عني». لا نجد أثرًا هنا لانكماش، أو هروب، أو اختباء.

أعـرب مارتـن لوثـر، جزئيًّـا في ضـوء فهمـه لـلألم العنيـف الـذي اجتـازه المخلِّـص، عـن قلقـه الشـديد حيـال حـال الكنيسـة في زمانـه. فقـد أصبحـت الكنيسـة قويـة ماديًـا، وصـار يملأهـا شـعورٌ بالقـوة، والمجـد، والرفعـة؛ وكانـت تتبنـى مـا دعـاه لوثـر *theologia gloriae* — أي لاهـوت المجـد، الـذي هـو مجدهـا الشـخصي. ولكـن مـا كانـت بحاجـة إليـه بالفعـل هـو *theologia crucis* — أي لاهـوت الصليـب.

وإن مـا نجـده هنـا هـو لاهـوت الصليـب. فحـين نـرى المسـيح العبـد المتـألم، ليـت اللـه يسـاعدنا عـلى أن نكتفـي بـلا رجعـة مـن تلـك الغطرسـة السـطحية التـي تنبعـث بـكل أسـف مـن الكثـير جـدًا مـن الهيئـات والكنائـس المسـيحيَّة.

هـل فكـرتَ قبـلاً في أن رعـاة الكنائـس يخدمـون، في أيـام الآحـاد العاديـة، أناسًـا تمتلـئ حياتهـم باليـأس المنعـزل — الـذي عـلى الأغلـب يشـوِّهها؟ لكـن للأسـف، صـارت بعـض الكنائـس و»الخدمـات» الباحثـة عـن الربـح المـادي، والتـي صـارت موجـودة بكـثرة، شـديدة البراعـة في إخفـاء كل هـذا بوعـود بالنـصرة، وبحيـاة بعيـدة عـن متنـاول الألم والحـزن.

فـإن إخفـاء الاحتياجـات العميقـة عـن طريـق شريـط لاصـق هـو دائمًـا علاج غـير مجـدٍ ومنـافٍ للعقـل للقلـوب المحطَّمة. يكشـف اسـتخدام هـذا الشريـط عـن لاهـوت لا يمـت للكتـاب المقـدس بأيـة صلـة — بـل وشـديد القسـوة أيضًـا. فللأسـف الشـديد، لم تَعُـد أعـين المكسـورين، والمقهوريـن،

والمحطَّمين، والبائسين، والحزانى توجَّه قط نحو العبد المتألم الذي سيحبهم، ويرثي لهم، ويُخلِّصهم، ويغيرهم تدريجيًّا بقوة.

لن تكون لدى كنائسنا أية خدمات تقدمها للأدنياء وآخر الكل، وللضالين والمهمَلين، إلا حين نصير على استعداد أن نقر بأن المسيح نفسه كان عبدًا متألمًا دخل حتى إلى أعماق طبيعتنا البشرية. ولذلك، علينا نحن أيضًا، كأتباع ليسوع، مع أننا لا نزال خطاة، أن نكون عبيدًا متألمين.

إن ابتساماتنا التي تكشف عن نصرة سطحيَّة لا تجذب أولئك الذين يصارعون مع بحر الحياة المُضطرب، بل بالأحرى تنفرهم. **فإن رسالة الإنجيل الكتابية تهدم** جميع تأكيداتنا السخيفة على أن تدخل الله في حياتنا يبعِدنا عن متناول الضيقات والمصاعب؛ أو تلك الشهادة عن عمل يسوع والتي تبدو وكأنها توحي بأنك إن كنت مؤمنًا، فإن جميع إشارات المرور ستعمل لصالحك إن كنت على عجلة من أمرك؛ أو ستكون بناتك جميلات، أو أبناؤك وسماء وسيعملون في أفضل الوظائف، أو أنك ستحصل دائمًا على أعلى الدرجات في الاختبارات التي تجتازها. فإن المؤمنين هم حقًّا رابحون، ولكن المكافأة الحقيقية تنتظرهم على الجانب الآخر من آلامهم.

كيف يمكننا تصوُّر أن حالنا سيكون مختلفًا، بينما جاء ربنا ومُخلصنا كعبدٍ متألمٍ؟

مُخلص متألم لأجل المنبوذين:

تأمل معي في الجماعة المحظور لمسها، التي تُصنَّف في قاع النظام الطبقي التقليدي في الهند؛ أو في الأعداد الغفيرة من أولئك الذين ينتمون بحسب الميلاد إلى جماعة الداليت. يعيش هؤلاء بلا رجاء. فإنهم منبوذون، وفاقدو الأهلية، وممنوعون من شغل الوظائف. تخيل معي ماذا سيحدث إن ذهب إليهم شخص وأخبرهم عن يسوع، المُخلِّص الذي كان محتقَرًا ومخذولًا من الناس، والمعلِّم الذي كان رجل أوجاع ومُختبر الحزن؛ وعن يسوع المسيح ابن الله الذي ستر الناس وجوههم عنه — كما لو كان ينتمي إلى جماعة الداليت!

ربما يجيب حينئذ أحد الداليت: «لم نسمع قط عن هذا الشخص. مَنْ هو؟» لا عجب إذن أن ينجذب العديد من هؤلاء إلى المسيح.

ألا يختلف كل هذا اختلافًا شاسعًا عن المسيحيَّة الأمريكيَّة، أو الأستراليَّة، أو البريطانيَّة، أو عن مسيحيَّة جنوب أفريقيا؟ فإن هذه الأنواع من المسيحيَّة تناشد أبطال الرياضة، ومشاهير الفن، وأعضاء فرق المُشجعين، ورجال الأعمال الناجحين. لكننا لم نستمد هذا الفكر من الكتاب المقدس. حان الوقت كي نكتفي من كل هذا، إن أردنا، في القرن الحادي والعشرين، أن نقدم، في خضوع لله، الإنجيل إلى المعوزين والمُهمَّشين.

نحن نُريد يسوعًا يأخذ كل الألم على عاتقه بمفرده، أليس كذلك؟ كما قال أ. و. توزر (A. W. Tozer)، منذ سنوات، متنبئًا: «نُريد أن نَخلُص، لكننا نصر على أن يتولَّى المسيح بمفرده كل الموت. لسنا نريد صليبًا، أو نزولًا عن عروشنا، أو موتًا. فإننا نظل ملوكًا داخل مملكة 'النفس البشريَّة' الضئيلة، مرتدين تيجاننا المبهرَجة بكل كبرياء القياصرة؛ لكننا بهذا نحكم على أنفسنا بالظلام والضعف والعقم الروحي».[٣٤٩]

ولكن بمَ تخبرنا الأناجيل في هذا الشأن؟ تخبرنا بأنه بعدما قال يسوع للتلاميذ إن «ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ»، قال لهم أيضًا: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا».[٣٥٠]

كذلك أيضًا، حين كان بولس قد وصل إلى نهاية حياته، وكان يكتب رسالته الأخيرة إلى تيموثاوس، أوصاه قائلًا: «اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ ... فاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ».[٣٥١]

---

[349] From The Root of the Righteous, in Gems From Tozer (Carlisle, UK: Send the Light Trust, 1969), 20.

[٣٥٠] مرقس ٨: ٣١-٣٧.

[٣٥١] ٢ تيموثاوس ١: ٨؛ ٢: ٣.

نعـم، عـلى عبيـد العبـد المُتـألم أن يتألمـوا معـه. هـذا هـو الطريـق إلى المجـد.

لذلك، فاليوم إن سمعتَ صوت الله، لا تُقسِّ قلبك.[٣٥٢]

[٣٥٢] عبرانيين ٤: ٧.

الفصل السابع
يسوع المسيح،
الخروف الجالس على العرش

توجد أشهر لوحات الرسام الفرنسي جوجان (Gaugin)، الذي ينتمي إلى المدرسة الانطباعيَّة، على الأرجح في متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن. وفي الركن الأعلى على يسار اللوحة الزيتيَّة، كتب هذا الرسام الكلمات التالية باللغة الفرنسيَّة: «من أين نأتي؟ ومَن نحن؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟» يجيب الكتاب المقدس عن كل سؤال من هذه الأسئلة، ولا يترك أي مجال للشك في أصلنا ومصيرنا الأخير.

وبالرغم من الوضوح الذي يتكلَّم به الكتاب المقدس، خدع الشرير أعدادًا غفيرة من الرجال والنساء من جهة كلٍّ من أصلهم ومصيرهم النهائي. وبسبب هذا، يصيبهم الارتباك لا محالة بشأن كل من ماضيهم ومستقبلهم. ففي

مدن العالم الضخمة، كما أيضًا في المناطق النائية الشاسعة البعيدة عن المراكز السكانيَّة الرئيسيَّة في العالم، يبحث الرجال والنساء عن المعنى.

كانت هذه القضية بالتأكيد محط اهتمام العالم الأكاديمي — مثل علماء الاجتماع، وعلماء النفس، وآخرين. ولكن كانت الفنون هي من تناولتها بدرجة أكبر، وعادة بأشد حدة.

منذ بضعة سنوات، عُرضت المسرحيَّة التي قامت ببطولتها سيدة واحدة، بعنوان *The Search for Signs of Intelligent Life in the Universe*، والتي كانت من تأليف جاين فاجنر (Jane Wagner)، على مسارح برودواي؛ وكانت من بطولة الممثلة ليلي توملين (Lily Tomlin).

بينما كانت ليلي تتأمل في حياتها، توقفت عند نقطة ما، وقالت: «أتساءل أين تقع هذه الليلة في المخطط الكوني الأكبر للأحداث»؛ ثم أضافت: «أخشى أنه لا يوجد شيء يسمَّى المخطط الكوني الأكبر للأحداث».[٣٥٣]

صحيح أن هذا مضحك، لكنه أيضًا حاد ولاذع.

كتب أينشتاين أيضًا، في الخطاب الذي قدمه بعنوان (Credo)، ما يلي:

---

[353] Jane Wagner, The Search for Intelligent Life in the Universe (New York: Harper Collins, 1987), 26.

يبدو وضعنا في هذه الأرض غريبًا. يأتي كلٌّ منا هنا رغمًا عن إرادته، ودون دعوة، ليقضي مدة إقامة قصيرة، دون أن يعرف **الأسباب أو الحيثيات.**[٣٥٤]

من منا كان يتصور أن يشترك أينشتاين في الألفاظ مع المغنية البريطانية الشهيرة بيتيولا كلارك (Petula Clark) — والعكس صحيح؟ فقد غنت في الستينيات هذه الكلمات:

أنت تهيم في الأنحاء على سحابتك الصغيرة،	You wander around on your own little cloud,
حين لا تفهم **السبب أو الحيثية.**	and you don't see the *why or the wherefore.*

وماذا كانت النصيحة التي قدمتها؟

لا تنم يا حبيبي في الأنفاق	Don't sleep in the subway, darlin'
ولا تقف تحت الأمطار الغزيرة.	Don't stand in the pouring rain.[355]

هل هذا هو كلُّ ما يمكن قوله؟

على هذه الخلفية، يأتي الإنجيل برسالة من الرجاء المجيد. نجد جزءًا من تلك الرسالة في سفر الرؤيا، السفر الأخير في الكتاب المقدس. يؤكِّد هذا السفر باستمرار على الحق الكتابي المحوري بأن تاريخ الخلاص هو الذي يحدِّد

---

[٣٥٤] كُتِب هذا الخطاب في الأصل في عام ١٩٣٢، ثم تم تسجيله صوتيًّا لأجل الرابطة الألمانية لحقوق الإنسان.

[355] "Don't Sleep in the Subway," Tony Hatch and Jackie Trent.

بصورة مطلقة تاريخ عالمنا. بل وأن التاريخ لا يمكن أن يُقرَأ أو يفهَم بشكل صحيح دون استخدام العدسات الكتابيَّة.

في سفر الرؤيا نجد يوحنا، كاتب السفر، على جزيرة بطمس الصغيرة، التي تقع بالقرب من تركيا الحديثة. فقد نُفي هناك بسبب أمانته من نحو الإنجيل. وقد وصف نفسه لمَن يكتب إليهم قائلًا: «أَخَاكُمْ وَشَرِيكُكُمْ فِي ٱلضِّيقَةِ».[٣٥٦] كان قراؤه الأصليون مؤمنين يحاولون، نظيرنا، فهم معنى حياتهم. وبصفة خاصة، كانوا يحاولون في القرن الأول التوفيق بين ظروفهم الشخصيَّة المتعبة والقاسية ورسالة نصرة المسيح على الخطية، وإبليس، والموت.

سمع هؤلاء المؤمنون الكرازة بالإنجيل التي قُدِّمت لهم، وربما استمعوا إلى عظات كتلك التي قدمها بطرس في يوم الخمسين. فقد قدَّم بطرس، بقوة الروح القدس، نظرة بانوراميَّة شاملة عن التاريخ، موضحًا لمستمعيه أن يسوع الذي يتكلَّم عنه هو ذاك الذي صُلب، ومات، ودُفن. لكن الله أقامه من الأموات، وقد ظهر لتلاميذه، والآن قد صعد عن يمين الله. وكان حلول الروح القدس هو البرهان المنظور على تتويجه غير المنظور. وكل هذا كان ببساطة حسب الكتب.

كان مؤمنو القرن الأول هؤلاء يدركون أن ربَّهم وملكهم الذي صعد إلى السماء هو مَن يتحكَّم بالكامل في كل الظروف. فهو، كما رأينا فيما سبق، مَن «فِيهِ

[٣٥٦] رؤيا ١: ٩.

يَقُومُ ٱلْكُلُّ».[٣٥٧] وقد كانوا ينتظرون تلك اللحظة الحاسمة والأساسية التي فيها سيكتمل تمامًا كل ما خطط له الله، وستتثبَّت ربوبيَّة المسيح في كل أنحاء الأرض إلى الأبد.

كان هؤلاء المؤمنون قادرين على الإقرار بجميع مواد قانون إيمان الرسل.[٣٥٨] فقد كان يؤمنون بها، لكن كانت الصعوبة الحقيقية تكمن في أن الكثير مما أقرُّوا به بدا أنه لا يتحقق — ولا سيما وعود الإنجيل بغلبة الله، ونصرة ملكوته.

كان سمعان بطرس الرسول نظير يوحنا قد كتب بالفعل عن «قَوْمٌ مُسْتَهْزِئُونَ» سيأتون «فِي آخِرِ ٱلْأَيَّامِ» — وهذا تعبير يشير إلى الحقبة الواقعة ما بين المجيء الأول ليسوع في تجسده، ومجيئه ثانية في النهاية في القوة والمجد. ففي أثناء هذه الفترة، على المؤمنين أن يتوقعوا أن هؤلاء القوم المستهزئين — أي أولئك السالكين بِحَسَبِ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ — سيقولون: «أَيْنَ هُوَ مَوْعِدُ مَجِيئِهِ؟ أنتم تقولون إن يسوع المسيح ملك غالب، وإنه رب سيأتي ثانية. حسنًا، أين هو؟ يبدو كل شيء على ما هو عليه هذا العام كما كان في العام الماضي والعام السابق له».[٣٥٩]

بالطبع، كان هؤلاء المستهزئون على حق من ناحية ما.

---

[٣٥٧] كولوسي ١: ١٧.

[٣٥٨] لسنا نوحي ضمنًا بهذا أن قانون إيمان الرسل كان موجودًا كما هو في صورته الحالية في السنوات الأخيرة من القرن الأول، لكننا نقصد ببساطة أن تصريحاته كانت عناصر أساسية من «ٱلْإِيمَانِ ٱلْمُسَلَّمِ مَرَّةً لِلْقِدِّيسِينَ» (يهوذا ١: ٤).

[٣٥٩] انظر ٢ بطرس ٣: ٣ وما يله.

فإن ما كان المؤمنون في انتظاره لم يأتِ كلية. فمع أن هؤلاء المؤمنين كانوا هم الكنيسة، عروس المسيح، وأتباع يسوع، لكنهم كانوا بلا قيمة أو أهمية في مجتمعهم. فقد كانوا جماعة صغيرة — ربما تزداد شخصًا أو شخصين بين الحين والآخر — لم تكن تمثل أيَّة أهميَّة. لكن في الوقت نفسه، حين كانوا ينظرون إلى العالم المحيط بهم، كانوا يرون إمبراطوريات الإنسان تنمو حسب الظاهر في تأثيرها، ولا سيما في قدرتها على مضايقة أتباع يسوع هؤلاء. فقريبًا، كانت هذه الإمبراطوريات ستضطهدهم بشراسة، باستخدام القوة والحيلة. كما كانت عبادة الإمبراطور في ازدهار، وأولئك الذين رفضوا الاعتراف بقيصر ربًّا، ومن ثَمَّ رفضوا إنكار ربهم يسوع، سيتعرضون لعقوبة الموت.

ليس من الصعب إذن أن نتخيل أن يتعلق الحديث الذي يُجرَى على مائدة العشاء بين أفراد عائلة مسيحيَّة متوسطة بهذه التهديدات. ربما يقول أحد الأبناء هذه الكلمات:

> حسنًا، ما هي الحياة المسيحيَّة في النهاية؟ وكيف يسير الأمر؟ هل هي مجرد أمر شخصي وخاص يا أبي؟ هل بوسعنا الخروج بها إلى المجتمع؟ وهل لديها تأثير على الإمبراطوريَّة الرومانيَّة؟ ماذا عسانا نفعل بها؟ وأين هو يسوع؟ أعتقد أنك قلت إن يسوع سيأتي ثانية. هل سيحدث هذا قريبًا؟

ومع أن المسيحيين يعترفون بيسوع ربًّا، لكن لا بد أنه

قد بدا لكثيرٍ منهم أن قيصر لا يزال ربًّا. كم شخص من هؤلاء أتاه الشرير — الكذَّاب وأبو الكذَّاب[٣٦٠] — وتسلَّل إلى عقله قائلًا: «أتعلم شيئًا؟ ربما تسير وراء سراب عظيم. فإنك تكون بخير طالما كنت داخل دائرة جماعتك، تنشد التراتيل. لكن حين تخرج منها بمفردك وتفكر في الأمر ... تجد أنه لم يتغير الكثير، أليس كذلك؟»

يقول ليون موريس (Leon Morris):

> إلى كنيسة أربكتها هذه المشكلات كُتب سفر الرؤيا. فقد أُرسِل السفر إلى كنيسة ضئيلة الحجم، ومضطهَدة، وخائبة الآمال، لم تكن تعرف كيف تتعامل مع الوضع الذي وجدت نفسها عالقة فيه.[٣٦١]

هذا منظور شديد الأهمية ينبغي تبنِّيه بشأن سفر الرؤيا. ليس هذا السفر مكعب روبيك في اللاهوت. فهو لم يُكتَب كي يكون لغزًا فكريًّا يُرسَل إلى مجموعة من الأشخاص يستمتعون بحل المسائل الحسابيَّة. ليس هذا صحيحًا على الإطلاق. بل كان القراء الأصليون للسفر عالقين في مسألة حياة أو موت تمنعهم من الاستمتاع بهذا النوع من التسلية.

---

[٣٦٠] يوحنا ٨: ٤٤.

[361] Leon Morris, Revelation: An Introduction and Commentary (London: Tyndale, 1969), 20.

ربما تقول لي: «حسنًا، كل هذا جيد، لكن ألسنا بعيدين كل البعد عن هذا؟ فإننا لسنا مهدَّدين اليوم بعبادة الإمبراطور!»

هذا صحيح؛ لكن حياتنا محاطة بعالم في حالة من الاضطراب: هناك أزمات اقتصاديَّة، وبؤس وحرمان بشري، وحروب على العديد من الجبهات، وتفشٍ للفساد الأخلاقي. فإننا نستيقظ في كل صباح لنتناول جرعة منتظمة من الأخبار التي بمقدورها أن تدفعنا إلى اليأس. والأمر لا يتوقف البتة. فحقًا، للقرارات التي يتخذها رجال السياسة في واشنطن، وبكين، ولندن، وكابول، والقاهرة، وأورشليم، ودلهي تأثيرات بعيدة المدى على حياتنا. لكننا نعلَم أيضًا أننا محصورون داخل حقائق كونيَّة أضخم من أن نفهمها أو نتنبأ بها، فما بالك بالتحكُّم فيها. كما أننا ندرك أن أولئك الذين يدَّعون المعرفة لا يدركون مدى ضآلة ما يعرفونه. وبالرغم من كل أنظمة الحماية التي لدينا، سواء الشخصيَّة أو القوميَّة، فإن انعدام الأمن متفشٍّ للغاية في مجتمعنا الحديث.

قليلون من كتاب التراتيل في القرن العشرين يستطيعون أن يضاهوا براعة بول سايمون (Paul Simon) في نقل هذا الشعور بالعبثيَّة والقلق بهذه الدرجة من الوضوح والأسى. ففي عالمنا هذا، الواقع محطَّم ومنهار.

كيف إذن يغير يسوع من هذا الفهم عن الواقع؟

لندخل إلى سفر الرؤيا:

في بعض الأحيان، نجد أنفسنا نطرح هذا السؤال: «هل هناك أية وسيلة يمكننا بها الذهاب إلى ما وراء كواليس كل هذا؟ هل هناك مَن يمكن أن يعطينا لمحة بسيطة عن المكان الذي نحن ذاهبون إليه، وما الذي سنفعله؟»

حسنًا، هل هناك وسيلة بالفعل؟

الجواب هو نعم! فإن هذا هو ما حدث ليوحنا في يوم الرب على جزيرة بطمس.

فقد أُخِذ يوحنا إلى ما وراء كواليس الزمن والتاريخ. فقد قال: «كُنْتُ فِي ٱلرُّوحِ ... وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ».[٣٦٢] أبدى أحد المفسرين ملاحظة بارعة تقول إن يوحنا لم يؤخَذ إلى أرض **خيالية**، بل في المقابل أُخِذ إلى **الأرض الحقيقية والأبدية**، إلى أرض قوانين الله وحكمه الأبدي.

ثم سرعان ما نجد يوحنا في الأصحاح الرابع واقفًا أمام عرش أعلى وأكبر من أي عرش آخر معروف في هذا العالم. وهذا العرش يجلس عليه الله ذاته!

كان هناك سفر في يمين الله، وكان مكتوبًا عليه من الداخل والخارج، لكنه كان مختومًا بسبعة أختام. ثم صدر نداء في كل أنحاء الكون لإيجاد من يستطيع فك الأختام، وفتح السفر.

---

[٣٦٢] رؤيا ١: ١٠.

لكن في الحال، انتهى كل شيء تمنَّى يوحنا رؤيته نهاية قاسية.

فقد وُعِد يوحنا بأنه سيُعطَى فهمًا لمقاصد الله المتكشِّفة تدريجيًّا، وبأن الستار سيُرفَع حتى يتمكن من تفحُّص أسرار الله، حتى يتسنى له أن يكتب كلمات يشجع بها القديسين المحاصرين بالضيق في زمانه، مطمئنًا إياهم برسالة عن نصرة الله. لكن لندع يوحنا يروي القصة بكلماته:

وَرَأَيْتُ مَلَاكًا قَوِيًّا يُنَادِي بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «مَنْ هُوَ مُسْتَحِقٌّ أَنْ يَفْتَحَ ٱلسِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ؟». فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي ٱلسَّمَاءِ وَلَا عَلَى ٱلْأَرْضِ وَلَا تَحْتَ ٱلْأَرْضِ أَنْ يَفْتَحَ ٱلسِّفْرَ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَصِرْتُ أَنَا أَبْكِي كَثِيرًا، لِأَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ أَحَدٌ مُسْتَحِقًّا أَنْ يَفْتَحَ ٱلسِّفْرَ وَيَقْرَأَهُ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ.[٣٦٣]

ماذا عليه أن يفعل الآن؟

«لَمْ يُوجَدْ أَحَدٌ».

هل كان يوحنا يقصد أنه «لم يوجد أحد في بطمس»؟

لا.

حسنًا، ربما كان يقصد أنه «لم يوجد أحد هنا على الأرض».

لا.

---

[٣٦٣] رؤيا ٥: ٢-٤.

بل «لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ ... عَلَى ٱلْأَرْضِ وَلَا تَحْتَ ٱلْأَرْضِ أَنْ يَفْتَحَ ٱلسِّفْرَ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ».

حسنًا، إذن، ربما يستطيع أحد الملائكة الأقوياء، أو رؤساء الملائكة، أو الكروبيم أو ٱلسَّرَافِيمُ أن يفتح السفر؟

لا.

بل «لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي ٱلسَّمَاءِ ... أَنْ يَفْتَحَ ٱلسِّفْرَ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ». لم يكن الأمر يتعلق بقوة جبارة، بل بأن يكون الشخص «مستحقًا» أن يفعل هذا.

ولذلك، قال يوحنا: «فَصِرْتُ أَنَا أَبْكِي كَثِيرًا». لكن بعد ذلك،

> فَقَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ ٱلشُّيُوخِ: «لَا تَبْكِ. هُوَذَا قَدْ غَلَبَ ٱلْأَسَدُ ٱلَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ، لِيَفْتَحَ ٱلسِّفْرَ وَيَفُكَّ خُتُومَهُ ٱلسَّبْعَةَ».[٣٦٤]

هكذا قال له واحد من الأربعة والعشرين شيخًا الواقفين حول العرش: «لا تبكِ يا يوحنا! هناك أسد جبار قادر أن يفعل هذا».

لا يساورنا أدنى شك حيال هوية هذا الأسد. فهو «ٱلْأَسَدُ ٱلَّذِي مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، أَصْلُ دَاوُدَ»؛ أي هو المسيا الموعود به في كُتُب العهد القديم،[٣٦٥] والملك الغالب، والابن الذي

---

[٣٦٤] رؤيا ٥: ٥.

[٣٦٥] تكوين ٤٩: ٩-١٢.

مسحه الله وعيَّنه ليملك على صهيون جبله المقدَّس، والذي سيُعطَى الأمم ميراثًا،[٣٦٦] وسيوضَع أعداؤه موطئًا لقدميه.[٣٦٧] فلا الموت ولا الجحيم، ولا إبليس ولا الخطية سيستطيع أن يمنع هذا الانتصار. فإن في هذا الشخص تتحقق مقاصد الله بشكل نهائي، ومجيد.

أمدنا الله في يسوع بالحل لدموع يوحنا «لَا تَبْكِ!» لكن بعد ذلك التفت يوحنا لينظر،

> وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسَطِ ٱلْعَرْشِ وَٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْأَرْبَعَةِ وَفِي وَسَطِ ٱلشُّيُوخِ خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ ٱللهِ ٱلْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ ٱلْأَرْضِ. فَأَتَى وَأَخَذَ ٱلسِّفْرَ مِنْ يَمِينِ ٱلْجَالِسِ عَلَى ٱلْعَرْشِ.[٣٦٨]

توقَّع يوحنا أن يرى الأسد الذي من سبط يهوذا. فقد كان هذا بالحقيقة هو التوقع المسياني العظيم. لكن كانت حاسة البصر اللاهوتيَّة ليوحنا هنا أفضل مما كانت عليه قبلًا حين دعاه يسوع، ربما في سن صغيرة، كي يتبعه. فقد صار الآن يرى ما رآه يوحنا المعمدان منذ البداية: غلب الأسد الذي من سبط يهوذا بأن صار «حَمَلُ ٱللهِ ٱلَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ ٱلْعَالَمِ».[٣٦٩]

---

[٣٦٦] مزمور ٢: ٦-٨.

[٣٦٧] مزمور ١١٠: ١.

[٣٦٨] رؤيا ٥: ٦-٧.

[٣٦٩] يوحنا ١: ٢٩.

هـذا هـو الشـكل الوحيـد الـذي يمكـن أن نـرى الأسـد الملك عليـه. فإننـا نعرفـه ونؤمـن بـه فقـط حـين يأتينـا في هيئـة خـروف مذبـوح. فقـط في المسـيح مصلوبًـا نجـد الحـل لـكل اغـتراب وتشـويش أدت إليـه الخطيـة. ولهـذا السـبب، فـإن الكلـمات التاليـة هـي رد الفعـل المناسـب الوحيـد:

وَلَـمَّا أَخَـذَ ٱلسِّـفْرَ خَـرَّتِ ٱلْأَرْبَعَـةُ ٱلْحَيَوَانَـاتُ وَٱلْأَرْبَعَـةُ وَٱلْعِـشْرُونَ شَـيْخًا أَمَـامَ ٱلْخَـروفِ، وَلَهُـمْ كُلِّ وَاحِـدٍ قِيثَـارَاتٌ وَجَامَـاتٌ مِـنْ ذَهَـبٍ مَمْلُـوَّةٌ بَخُـورًا هِـيَ صَلَـوَاتُ ٱلْقِدِّيسِـينَ. وَهُـمْ يَتَرَنَّمُـونَ تَرْنِيمَـةً جَدِيـدَةً قَائِلِـينَ:

«مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ ٱلسِّفْرَ
وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ،
لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَٱشْتَرَيْتَنَا لِلهِ بِدَمِكَ
مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ،
وَجَعَلْتَنَا لِإِلَهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً،
فَسَنَمْلِكُ عَلَى ٱلْأَرْضِ».[٣٧٠]

لسـنا بحاجـة إلى المسـيح كي يخبرنـا بـأن عالمنـا مـليء بالاضطرابـات والمتاعـب، لكننـا حقًـا بحاجـة إلى انتصـاره عـلى مصـادر متاعبنـا، إن أردنـا أن تتوقـف عـن إرباكنـا وهزيمتنـا. ولهـذا، يمثـل سـفر الرؤيـا بـشرى سـارة. فمـن تلـك اللحظـة فصاعـدًا، ينقـل لنـا السـفر تلـك الفكـرة المذهلـة، والمجيـدة،

[٣٧٠] رؤيا ٥: ٨-١٠.

والمشجعة بأن الملك الحمل قد غلب، وأنه يستطيع أن يفك الختوم ويكشف الأسرار.

لَقَبان:

لهذ الغالب لقبان عظيمان.

يعود أصل اللقب الأول — أي لقب الأسد — إلى النبوة التي نطق بها يعقوب عند وفاته عن شخصٍ سيأتي من نسل ابنه يهوذا، شبيه بالأسد، وسيملك، ويتَّسم حكمه بازدهار ورخاء مصدره الله.[٣٧١]

هذه هي المرة الوحيدة التي ذُكِر فيها الأسد في سفر الرؤيا (في حين ذُكر الخروف تسع وعشرين مرة). لكن بالرغم من عدم تكرار اللقب، من الواضح أن لقب «الأسد» ينطبق على يسوع طوال السفر. فإن السفر يعج بالصور والأمثلة عن قوته، ونصرته، وسلطانه.

هذا الأسد هو أيضًا «أَصْلُ دَاوُدَ». يعود أصل هذا الوصف إلى الوعد الذي قُطع لداود، بأن من نسله سيأتي المسيا الملك. لكن يستلزم هذا الوعد المزيد من التفسير، الذي نجده بالفعل في سفر إشعياء وفي سفر إرميا.[٣٧٢] فإن المسيح هو رب داود، وهو غصن من داود في الآن ذاته! فقد أتى المسيا بعد داود، لكنه كان في حقيقة الأمر هو رب داود، ومن ثَمَّ كان قبله. كانت هذه هي الشهادة التي

---

[٣٧١] تكوين ٤٩: ٩-١٢.

[٣٧٢] إشعياء ١١: ١-٢؛ إرميا ٢٣: ٥-٦.

أدلى بهـا مزمـور ١١٠: ١-٢، ذلـك النـص الـذي ذكَّـر يسـوع الفريسـيين بعجزهـم التـام عـن تفسـيره:[٣٧٣]

قَالَ ٱلرَّبُّ لِرَبِّي:
«ٱجْلِسْ عَنْ يَمِينِي
حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ».
يُرْسِلُ ٱلرَّبُّ قَضِيبَ عِزِّكَ
مِنْ صِهْيَوْنَ.
تَسَلَّطْ فِي وَسَطِ أَعْدَائِكَ.

كيـف أمكـن أن يكـون ابـن داود هـو ربـه في الآن ذاتـه؟ فقـط إن كان هـذا «الابـن» هـو الـرب يسـوع — ذاك الـذي هـو مـن نسـل داود وابـن اللـه الأزلي في الآن ذاتـه.

لكـن حـين التفـت يوحنـا، رأى خروفًـا. فقـد امتـلأت عينـاه بمنظـر لاتضـاع المسـيح، يشـبه البسـاط المنسـوج. فإنـه قـد أطـاع أبـاه، إلى حـد الخضـوع للمـوت، مـوت الصليـب.[٣٧٤]

يشـبه سـفر الرؤيـا لوحـة تلويـن بحسـب الأرقـام. فحـين يلـوِّن الطفـل الصغـير الرسـم المرقَّـم بالألـوان الملائمـة لـكل رقم مـن لـوح الألـوان، ينتـج عـن هـذا لوحـة ملوَّنـة تفـوق في جودتهـا كثـيرًا إمكانيـات الطفـل الطبيعـي.

كذلـك أيضًـا في سـفر الرؤيـا، «لـوَّن» يوحنـا اللوحـة بجـودة تفـوق إمكانياتـه بمعونـة الـروح القـدس. لكـن في هـذا السـفر،

[٣٧٣] متى ٢٢: ٤١-٤٦.
[٣٧٤] فيلبي ٢: ٨.

كان «لوح الألوان» هو عبارة عن نصوص من العهد القديم. فقد كان ذهن يوحنا لوح ألوان مشبَّعًا بالنصوص المقدسة. وبينما كان يلوِّن هذه المشاهد والصور حتى يقرأها المؤمنون المتضايقون، تألَّف وصفه من نصوص كتابيَّة، وتلميحات، ونبوات، وغير ذلك. فإن المناخ العام لهذا البساط الملوَّن يحمل طابع تتميم العهد القديم في المسيح.

لا يسعنا التأكد تمامًا من مدى معرفة القراء الأصليين ليوحنا بالعهد القديم، لكن لا بد أن البعض منهم كانوا على دراية جيدة بالكثير من تعليم العهد القديم.[٣٧٥] ولذلك، لا بد أنه حين وُضعت صورة الخروف هذه في الصدارة، ذهبت أذهانهم سريعًا إلى أحداث عيد الفصح، الواردة في الأصحاح الثاني عشر من سفر الخروج. فقد كانوا يعلَمون أن إنقاذ الله في حدث الخروج كان من خلال حمل الفصح الذي قُدِّم ذبيحة.[٣٧٦] وحتماً تبادر إلى ذهنهم أيضًا

---

[٣٧٥] إذا كان أسلوب بولس في الخدمة في أفسس (وهي واحدة من الكنائس التي أرسل إليها سفر الرؤيا، رؤيا ١: ١١) كان هو الأسلوب المعتاد المتَّبَع في خدمة الكنيسة الأولى، فلا بد أن الكثير من المسيحيين الأوائل كانوا متشبِّعين بالتعليم الكتابي. فقد علم بولس كل يوم من أيام الأسبوع في ساحة مدرسة تِيرَانُّسُ (أعمال الرسل ١٩: ٩)، لمدة تقرب من عامين. تفترض بعض مخطوطات نص سفر أعمال الرسل أنه كان يفعل هذا في وقت القيلولة، أي من الساعة العاشرة صباحًا وحتى الساعة الثالثة مساءً (انظر الحاشية السفلية في ترجمة ESV). إن كان هذا صحيحًا، فقد قدَّم بولس للبعض من القراء الأصليين لسفر الرؤيا تعليمًا لاهوتيًّا في الدراسات الكتابية وفي علم اللاهوت!

[٣٧٦] من الأهمية بمكان أنه حين تحدث لوقا عن الحديث الذي أجراه يسوع مع موسى وإيليا فوق جبل التجلي، ذكر أنهم تكلموا عن «خروج» يسوع (أو exodus بحسب اللغة اليونانية)؛ لوقا ٩: ٣١.

الأصحاح الثالث والخمسون من سفر إشعياء، الذي يصف العبد المتألم الذي كان «كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى ٱلذَّبْحِ».[٣٧٧] هذا هو الخروف الذي رآه يوحنا — «خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ».

لكن هذا الخروف لم يعد **مذبوحًا**، بل كان **قائمًا**! فهو ينبض بحياة وقوة القيامة.

لاحظ شيئًا آخر. كان لا يزال ظاهرًا أن هذا الخروف قد ذُبِح بالفعل في الماضي، إذ كانت جراحه لا تزال ظاهرة. وتُذَكِّرنا هذه الجراح بالموت باهظ الثمن الذي به تَحقَّق فداؤنا، وبحقيقة أن هذا الخروف المذبوح **قائمٌ** بنصرة قيامته.

حين تبصر هذا بعيني ذهنك، ألا تشعر بأنك تريد أن ترنم مع جند السماء، أو على الأقل مع الكنيسة على الأرض في محضر المسيح عن

تلك الجراح، التي لا تزال ظاهرة في السماء،	Those wounds, yet [still] visible above,
لكنها ممجَّده بالجمال:	In beauty glorified:
توِّجوه بتيجان كثيرة، الخروف الجالس على عرشه.	Crown Him with many crowns, the Lamb upon His throne.
اسمعوا كيف يشوِّش النشيد السماوي على كل موسيقى أخرى.	Hark! How the heavenly anthem drowns all music but its own.

[٣٧٧] إشعياء ٥٣: ٧.

استيقظي يا نفسي، ورنمي عن
ذاك الذي مات عنك،
واهتفي له إلى الأبد، مَلِكك الذي
لا مثلَ له.
توِّجوا رب الحياة،
الذي هزم القبر،
وقام من المعركة غالبًا،
لأجل مَن جاء ليخلِّصهم.
اليوم نرنم بأمجاده، ذاك الذي
مات، وقام، وصعد،
الذي مات كي يجلب حياة أبدية،
وهو حيٌّ كي يبيد الموت.
توجوا ربَّ السلام، الذي سلطانه
يتحكَّم في ملوك،
في كل العالم،
موقفًا حروبًا،
ليصير الكل صلاة وحمدًا.
لن يكون لملكه نهاية، وحول
قدميه المثقوبتين،
تنبعث من ورود الفردوس
الجميلة رائحة عطرة دائمًا.
توجوا ملك المحبة، انظروا يديه
وجنبه،
تلك الجراح، التي لا تزال ظاهرة
في السماء، لكنها ممجَّدة بالجمال.
لا يقدر ملاك في السماء أن
يحتمل المنظر،

Awake, my soul, and sing of
Him who died for thee,
And hail Him as thy matchless
King through all eternity.
Crown Him the Lord of life,
who triumphed over the grave,
And rose victorious in the strife
for those He came to save.
His glories now we sing, who
died, and rose on high,
Who died eternal life to bring,
and lives that death may die.
Crown Him the Lord of peace,
whose power a scepter sways
From pole to pole, that wars
may cease, and all be prayer
and praise.
His reign shall know no end,
and round His pierced feet
Fair flowers of paradise extend
their fragrance ever sweet.
Crown Him the Lord of love,
behold His hands and side,
Those wounds, yet visible
above, in beauty glorified.
No angel in the sky can fully
bear that sight,

بل يشيح بعينيه	But downward bends his
أمام هذه	burning eye at mysteries so
الأسرار البراقة.	bright.
توجوه ربًّا على السنين،	Crown Him the Lord of years,
وحاكمًا للزمن،	the Potentate of time,
خالق الأفلاك الدائرة، المهوب	Creator of the rolling spheres,
بشكل لا يوصف.	ineffably sublime.
أحمدك، أيها الفادي، أحمدك!	All hail, Redeemer, hail! For
لأنك متَّ لأجلي؛	Thou hast died for me;
فإن حمدك ومجدك لن يزولا	Thy praise and glory shall not
إلى الأبد.	fail throughout eternity.[378]

لكن لا يزال هناك المزيد في هذا البساط المنسوج عن يسوع. فكما نرى، لهذا الخروف «سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ ٱللهِ ٱلْمُرْسَلَةُ إِلَى كُلِّ ٱلْأَرْضِ».[٣٧٩]

يمكن لهذه الكلمات، إن قُرئت في مجموعة لدراسة الكتاب المقدس، أن تشبه اللحم بالنسبة لأسد! ما أكثر مجموعات دراسة الكتاب المقدس التي خرجت عن مسارها عند الوصول إلى جملة صغيرة كهذه — «سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ»، أو غيرها. فقبل أن تتنبَّه، ستندفع أحد السيدات على الفور لتخبر الجميع بكل ما تعرفه عن القرون السبعة — وفجأة تختفي الصورة الكبرى عن هوية يسوع داخل حديث عن روسيا، أو الصين، أو الاتحاد الأوروبي. وعندئذ،

[378] Matthew Bridges, "Crown Him with Many Crowns," in The Passion of Jesus (1852).

[٣٧٩] رؤيا ٥: ٦.

يطلب القائد الصارم والحكيم للمجموعة من هذه السيدة الذهاب لإعداد الشاي والقهوة! ففي النهاية، كان ينبغي ألا تشتري هذه السيدة هذا الكتاب الضخم الذي يقدم الكثير من الشرح التفصيلي عن تاريخ العالم المعاصر، وكيف يوصَف بالتفصيل الدقيق في سفر الرؤيا، بينما لا يقول شيئًا عن المجد الكامل للرب يسوع! يمكن لهذا أن يكون جذابًا ورائعًا، مثل لعبة السودوكو، أو مثل مسألة حسابية، لكن بمقدوره أن يقتادك إلى أعماق الظلام.

فإن الله أبسط كثيرًا من كل هذا. فإن القرون تشير إلى القوة والجلال، وتذكِّرنا الأعين بأن المسيح قد أرسل روحه القدوس إلى العالم، ومعه علمه الكلي، وفهمه الكامل، وبصيرته المذهلة. وتعبر حقيقة وجود سبعة قرون، وسبع أعين، وسبعة أرواح ببساطة عن فكرة الكمال في صورة أرقام.

سيكون من المؤسف بشدة أن ترى هذه الصورة النابضة بالحياة عن الآب الجالس على العرش، والابن بكل نعمة فدائه ومجده، والروح القدس بملء خدمته الخلاصيَّة، بينما لا يلفت انتباهك سوى قرون، وأعين، وأرقام! فإنك بهذا ستكون وكأنك تحجب ما هو ظاهر، وتهمِّش ما هو محوري.

في حقيقة الأمر، هناك اختبار فيصلي في النص نفسه. هذا هو الاختبار: ما هو التأثير الذي تحدثه فينا هذه الرؤية؟ هل تصيبني هذه الرؤيا بالارتباك؟ أم تنتج جدالًا؟ أم تجعلني أجري عمليات حسابية؟ جميع ردود الأفعال

هـذه خاطئـة. لأن هـذا هـو رد فعـل السـماء:

خَـرَّتِ ٱلْأَرْبَعَـةُ ٱلْحَيَوَانَـاتُ وَٱلْأَرْبَعَـةُ وَٱلْعِـشْرُونَ شَـيْخًا أَمَـامَ ٱلْخَـروفِ، وَلَهُـمْ كُلِّ وَاحِـدٍ قِيثَـارَاتٌ وَجَامَـاتٌ مِـنْ ذَهَـبٍ مَمْلُـوَّةٌ بَخُـورًا هِـيَ صَلَـوَاتُ ٱلْقِدِّيسِـينَ. وَهُـمْ يَتَرَنَّمُـونَ تَرْنِيمَـةً جَدِيـدَةً قَائِلِـينَ:

«مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ ٱلسِّفْرَ
وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ،
لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَٱشْتَرَيْتَنَا لِلهِ بِدَمِكَ
مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ».[٣٨٠]

هـذه ترنيمـة الفـداء. وقـد ذكـر يوحنـا ثمنـه: سـفك دم الخـروف. ففـي الجلجثـة، اشـترى المسـيح فداءنـا مـرة واحـدة وإلى الأبـد. ولهـذا السـبب تظهـر لاحقًـا، في الأصحـاح السـابع مـن سـفر الرؤيـا، صـورة أخـرى داخـل الرؤيـا. فقـد طـرح أحـد الشـيوخ عـلى يوحنـا سـؤالًا (هـل كان هـذا هـو الشـيخ نفسـه الـذي سـمعه يوحنـا سـابقًا؟[٣٨١])، يقـول:

أتـرى هـذا الجمهـور الـذي لا يُحـصى مـن الواقفـين أمام الخـروف، متسربلـين جميعهـم بثيـاب بيضـاء؟ أتعلـم مَـن هـؤلاء ولمـاذا ثيابهـم بيضـاء إلى هـذه الدرجـة؟

ألم يكـن رد يوحنـا هـو الـرد الـذي كان مـن شـأني ومـن شـأنك أن نجيـب بـه؟

[٣٨٠] رؤيا ٥: ٨-٩.

[٣٨١] رؤيا ٥: ٨.

يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَعْلَمُ. أخبرني أرجوك.

أجابه الشيخ:

أنت تعلم مَن هؤلاء يا يوحنا. فهم مؤمنون قد أَتَوْا مِنَ ٱلضِّيقَةِ ٱلْعَظِيمَةِ، وَقَدْ غَسَّلُوا ثِيَابَهُمْ وَبَيَّضُوا ثِيَابَهُمْ فِي دَمِ ٱلْخَرُوفِ.

من هؤلاء؟ هم مؤمنون تطهَّروا من خطاياهم بدم الخروف الذي سُفِك، وهم الآن متسربلون ببره الكامل.

ربما إن قرأنا سفر الرؤيا كثيرًا، ونحن مثبِّتون أعيننا على الرب يسوع، سيزداد حماسنا تجاه بعض التراتيل القديمة. إليكَ ترتيلة أخرى لا نرنمها إلا نادرًا:

بالقيثارات والرباب، يقف
جمهور عظيم
في حضرة يسوع، يرنمون هذه
الترنيمة الجديدة:
للذي أحبنا وقد غسَّلنا من
خطايانا
المجد إلى الأبد،
آمين.
هؤلاء جميعًا كانوا قبلًا خطاة،
ونجسين في نظره،

والآن هم محتشدون في ثيابٍ
طاهرة، مرنِّمين بصوت واحد:

With harps and with viols,
there stands a great throng
In the presence of Jesus, and
sing this new song:
Unto Him Who hath loved us
and washed us from sin,
Unto Him be the glory
forever, Amen.
All these once were sinners,
defiled in His sight,
Now arrayed in pure
garments in praise they
unite:

للذي أحبنا وقد غسَّلنا من خطايانا	*Unto Him Who hath loved us and washed us from sin,*
المجد إلى الأبد،	*Unto Him be the glory*
آمين.	*forever, Amen.*[382]

إن حمل الله الذي يرفع خطية العالم يقف متوَّجًا في مركز هذه الصورة. فهو يحتل مركز خطة الله للفداء، التي لا يشوبها أي خطأ.

حين ينجذب الناس إلى هذا المشهد، ويلتفُّون حوله، يدركون أول كل شيء أن لدينا فاديًا، ومخلِّصًا، مات بديلًا عنا. هذه هي رسالة الإنجيل، التي هي أيضًا رسالة الأصحاحين الرابع والخامس من سفر الرؤيا.

يا لهذا الفداء الكامل الذي اشتُري بالدم،	O perfect redemption the purchase of blood,
وهو وعد الله لكل مؤمن.	To every believer the promise of God.
فإن أشر خاطئ يؤمن حقًا	The vilest offender who truly believes
في تلك اللحظة ينال عفوًا من يسوع.	That moment from Jesus a pardon receives.[383]

لص عند باب السماء:

فكِّر معي في اللصين اللذين صُلبا على جانبي يسوع.

---

[382] A. T. Pierson, "With Harps and with Viols, There Stands a Great Throng," n.d.

[383] Fanny J. Crosby, "To God Be the Glory," 1875.

في البداية، بدا أن كليهما قد صبَّا عليه جام ألمهما وغضبهما.[٣٨٤] لكن بعد هذا صمت أحدهما، ثم بعد قليل، تكلَّم قائلًا: «توقف عن قول هذه الأشياء! نحن هنا لأننا نستحق أن نُصلَب. لكن هذا الإنسان لم يرتكب أي خطأ». ثم التفت إلى يسوع في اعترافٍ تائب، قائلًا في توسُّل: «يا يسوع، اذكرني متى جئتَ في ملكوتك».[٣٨٥]

وعلى مرأى من الملائكة في المجد، وبثمنٍ يفوق إدراكه — وإدراكنا أيضًا — وصل هذا اللص إلى باب السماء.

لم يحظ هذا الرجل قط بمقابلة شخصية للانضمام كعضوٍ إلى الكنيسة. فلم يكن هناك وقت لهذا. لكن هل تستطيع أن تتخيل معي شكل المقابلة الشخصية التي أجراها معه ملاكٌ عند باب السماء؟ فربما طرح عليه الأسئلة الحيوية التالية:

الملاك: هل تبرَّرتَ بالإيمان؟

اللص: حسنًا، لستُ متأكدًا إن كنتُ أعرف معنى هذا. فإنني لا أعتقد أنني سمعت بهذا التعبير من قبل.

الملاك: حسنًا، سأضطر إلى مناداة أحد المسؤولين، فربما هناك مشكلة أو خطب ما.

---

[٣٨٤] متى ٢٧: ٤٤.

[٣٨٥] لوقا ٢٣: ٤٠-٤٢.

ثم توالت الأسئلة على اللص. لكن بعد ذلك، حُسمت المسألة حين تحدث اللص مرة أخرى، قائلًا:

اللص:

كل ما أعرفه هو أنني كنتُ على الصليب بجوار يسوع. كنتُ مذنبًا، أعاني من الضيق والكرب. كنتُ أحتضر، وكان الغضب يملأني. ومن بين كل ما سمعته، سمعتُ الناس يتحدثون عن هذا الشخص، قائلين إنه ادَّعى كونه المسيا. حينئذ قلتُ لنفسي: حسنًا، إن كان كذلك، فلينقذنا من هذه الفوضى! لكنني بعد هذا راقبتُه واستمعت إليه. ثم سمعت البعض يتلفظون بكلمة «مخلِّص»، ففجأة استنار ذهني: لم يرتكب هذا الرجل أي خطأ، بل كان يموت بسبب خطايا الآخرين.

استنار عقلي بغتة، لا أعلم كيف بالتحديد. فإن هذا هو المسيا، لكنه كان يموت بسبب خطايا الآخرين. فإن اسمه يسوع، وكنت أعلم أن الاسم يعني «مخلِّص». ولذلك، التفتُّ إليه، عالمًا جيدًا أنه ليس بيدي شيء أفعله كي أسدد دين خطاياي، وطلبتُ منه هذا: «يا يسوع، هل تسمح بأن تدخلني إلى ملكوتك؟ وبأن تصير مخلِّصي والحامل لخطاياي؟ هل يمكن أن تكون حمل الله الذي يرفع خطاياي؟»

وحينئذ أجابني يسوع: «إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ».[٣٨٦] السبب الوحيد الذي لأجله أنا هنا هو أن يسوع كان مُعلَّقًا على الصليب في الوسط. أعلم أنه مات عن الخطاة. وهو قد وعدني بأنني أستطيع دخول ملكوته.

بمَ ستجيب في ذلك اليوم؟ قدَّم اللص الإجابة الوحيدة التي يمكن أن تفتح باب السماء: «قد مات يسوع عني». ونتيجة لهذا، كان هو موجودًا هناك، في مكان ما بين الجمع الكثير الذي رآه يوحنا، الذي سمع هذه الكلمات:

لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَٱشْتَرَيْتَنَا لِلهِ بِدَمِكَ.[٣٨٧]

لاحظ جيدًا معنى هذه الكلمات: «**ٱشْتَرَيْتَنَا** لِلهِ. فإن الكلمة **ٱشْتَرَيْتَنَا** هنا تعني «فداء، أو شراء لمالك جديد».

هل أدركنا بوضوح هذا الجانب من الإنجيل، في أذهاننا أولًا ثم في سلوكنا؟ فإننا قد اشتُرينا، كما كتب بولس: «أَنَّكُمْ لَسْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ... لِأَنَّكُمْ قَدِ ٱشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا ٱللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ».[٣٨٨]

حسنًا، وهل تفعلون هذا؟

---

[٣٨٦] لوقا ٢٣: ٤٣.

[٣٨٧] رؤيا ٥: ٩.

[٣٨٨] ١ كورنثوس ٦: ١٩-٢٠.

جمعٌ كثيرٌ:

تُظهِر الترنيمة السماويَّة الموجودة في الأصحاح الخامس من سفر الرؤيا أيضًا نطاق ومجال فداء المسيح. فإن ثمن الفداء هو دم الخروف، ونطاقه مذهل. فقد اشترى المسيح البشر لله «مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ».[٣٨٩] يعبر هذا عن الامتداد الضخم وواسع النطاق لخلاص الله إلى كل أنحاء العالم. لا توجد أية حدود جغرافيَّة أو عرقيَّة.

هل تتذكر اللحظة التي أدرك فيها بطرس هذا أخيرًا، حين سكب يسوع روحه على الأمم في بيت كرنيليوس قائد المئة الروماني؟[٣٩٠] فأخيرًا، أدرك بطرس المعنى الكامل للإرساليَّة العظمى ولعطية الروح القدس في يوم الخمسين — بالإضافة إلى جميع دلالات ومعاني العظة التي قدمها هو نفسه في ذلك اليوم. فقد قُطع لإبراهيم وعدٌ بأن في نسله تتبارك الأمم، كما سيُعطى الملك المسياني الأمم ميراثًا، وسينضح العبد المتألم أممًا كثيرين.[٣٩١] قال بطرس: «الآن فهمتُ كل شيء. صرتُ أعلم الآن أن ليس عند الله محاباة، ولا توجد لديه أمة مفضَّلة».

فإن رسالة الإنجيل الآن تذهب إلى العالم أجمع. لدينا أصدقاء — من كنائسنا ومن كنائس كثيرة أخرى أيضًا — يعملون بكل جهد وعناية لترجمة الكتاب المقدس بين

---

[٣٨٩] رؤيا ٥: ٩.

[٣٩٠] أعمال الرسل ١٠: ١-٤٨.

[٣٩١] تكوين ١٢: ١-٣؛ مزمور ٢: ٨؛ إشعياء ٥٢: ١٥.

هنـود جواتيـمالا، وفي جبـال الأنديـز، وفي المكسـيك، وبـين القبائـل البدائيَّـة في قـرى العـالم غـير الموجـودة عـلى الخريطـة، والتـي نعجـز حتـى عـن لفـظ أسـمائها، والتـي تتحـدث لغـات لا نعرفهـا البتـة، وتسـتخدم كلـمات لا يسـعنا أن ننطـق بهـا.

ولمـاذا؟ لأن اللـه، منـذ الأزل، قـد خطـط بـأن يـأتي بجمـع كثـير لا يسـتطيع أحـدٌ أن يعُـدَّه إلى الإيمـان بالمسـيح، وفي النهايـة إلى المجـد. وقـد عـيَّن الطريقـة والوسـائل التـي بهـا سـيتمم هـذا.

أدرك بولـس هـذا حـين قـال: «كَيْـفَ يَسْـمَعُونَ بِـلَا كَارِزٍ؟ وَكَيْـفَ يَكْـرِزُونَ إِنْ لَـمْ يُرْسَـلُوا؟»[٣٩٢]

يرسـلنا المسـيح إلى المناطـق المجـاورة لنـا، وإلى أماكـن عملنـا، وإلى مؤسسـات مجتمعنـا، وإلى المقاهـي، وإلى التعامـلات اليوميَّـة مـع تفاصيـل الحيـاة، حاملـين معنـا قصـة نخـبر بهـا الأمـم.

لدى المسيحيون قصة تختلف عن أيَّة قصة أخرى.

ليـس لـدى الإسـلام سـوى موازين، حيـث الحسـنات تُذهِـب السـيئات. وأفضـل مـا عنـد الهندوسـيَّة هـي آمـال في تناسـخات عديـدة لـلأرواح. وليـس لـدى بوذيَّـة الـزن أي إلـه حقيقـي عـلى الإطـلاق. أمـا نحـن، فلدينـا هـذه القصـة العجيبـة عـن المسـيح، التـي لأجلهـا ارتـضى الكثـير مـن المؤمنـين أن يهمَّشـوا، ويُضطهَـدوا، بـل ويقتَلـوا أيضًـا.

[٣٩٢] رومية ١٠: ١٤-١٥.

يقـول لنـا يوحنـا: «نعـم، سـيكون هنـاك ألم واضطهـاد. لكـن ينبغـي أن تعرفـوا، يـا أصدقـائي المؤمنـين الأعـزاء، أننـي قـد دخلـتُ مـن بـاب، أدخلنـي إلى السـماء، وألقيـتُ نظـرة إلى مـا وراء الكواليـس، وهـذا مـا لا بـد أن أخبركـم بـه: تقـف أمـام عـرش اللـه رفقـة لا تُحـصَى مـن الرجـال والنسـاء والصبيـان والفتيـات الذيـن افتـدوا بـدم الحمـل!»

ربمـا نجيـب قائلـين: «لكننـا كنـا نعتقـد أن الأصحـاح السـابع مـن سـفر الرؤيـا يقـول إنهـم فقـط مئـة وأربعـة وأربعـون ألفًـا!»[٣٩٣]

ألا تـرى أن جميـع هـذه الأرقـام رمزيَّـة؟ هـل تنظـر إلى الصـور والرمـوز وكأنهـا هـي الحقيقـة؟ فهنـاك مئـة وأربعـة وأربعـون ألفًـا لأن هـذا الرقـم هـو مربـع العـدد ١٢ (ليـس مـن قبيـل الصدفـة أنـه كان هنـاك اثنـا عـشر سـبطًا)، مضروبًـا في مكعَّـب العـدد ١٠. هـذا «رقـم كـمال» مـن نـوعٍ مـا، ذات نسـب ضخمـة. يعنـي هـذا أنـه لم يهلـك ولـو فـرد واحـد! لم يكـن عـدد هـؤلاء ١٤٣,٩٩٩,٠٠! وهـذا لأن يسـوع قـال لأبيـه: «يـا أبي، قـد حفظتُهـم جميعًـا. فقـد فعلـتُ كلَّ مـا طلبتـه منـي. ولم يهلـك منهـم أحـد».[٣٩٤]

---

[٣٩٣] انظر رؤيا ٧: ٤.

[٣٩٤] انظر يوحنا ١٧: ١٢.

ثم تطلَّع يوحنا، فرأى «جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ»،[٣٩٥] يشبهون رمل البحر، والنجوم في السماء المظلمة؛ جمعًا لا يُعَدُّ من كل قبيلة، وشعب، وأمة، ولسان.

يا له من خبر مجيد ومذهل، يُذَكِّرنا بنطاق الإنجيل الواسع والشامل، وبمدى عمل الفداء الذي تمَّمه الخروف الجالس على العرش!

امتياز تام:

بالإضافة إلى الثمن الباهظ لفدائنا، ونطاقه الواسع، هناك حقيقة أخرى أيضًا، وهي الامتياز التام الذي حصلنا عليه باختبارنا هذا الفداء. فقد سمع يوحنا فريق تسبيح مكوَّنًا من الحيوانات الأربعة، بالإضافة إلى الأربعة والعشرين شيخًا يرنمون الكلمات الختامية لترنيمة الحمد نيابة عن المفديين، قائلين:

وَجَعَلْتَنَا لِإِلَهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى ٱلْأَرْضِ.[٣٩٦]

ثم بدا وكأن جميع سكان السماء من الملائكة قد انضموا إلى هذا الفريق، «رَبَوَاتِ رَبَوَاتٍ وَأُلُوفَ أُلُوفٍ»،[٣٩٧] مرنمين ترنيمة حمد أخرى للخروف. ثم انضم إليهم أيضًا فريق التسبيح من كل الكون، «كُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي ٱلسَّمَاءِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ وَتَحْتَ ٱلْأَرْضِ، وَمَا عَلَى ٱلْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا»،[٣٩٨]

---

[٣٩٥] رؤيا ٧: ٩.

[٣٩٦] رؤيا ٥: ١٠.

[٣٩٧] رؤيا ٥: ١١.

[٣٩٨] رؤيا ٥: ١٣.

مرنمين وقائلين:

لله المجد، لأجل العظائم التي صنعها؛	To God be the glory, great things he has done;
فإنه هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه،	So loved he the world that he gave us his Son,
الذي أسلم حياته كفارة عن الخطايا،	Who yielded his life an atonement for sin,
وفتح باب الحياة ليدخل منه الجميع.	And opened the life gate that all may go in.
يا لهذا الفداء الكامل الذي اشتُري بالدم،	O perfect redemption, the purchase of blood,
وهو وعد الله لكل مؤمن؛	To every believer the promise of God;
فإن أشر خاطئ يؤمن حقًا،	The vilest offender who truly believes,
في تلك اللحظة ينال عفوًا من يسوع.	That moment from Jesus a pardon receives.[399]

هذه أيضًا حقيقة مجيدة تتحدث عن العبادة في السماء! فسيكون لدينا الكثير لنفعله، وسيكون الأمر رائعًا. ثم ماذا نجد إن ذهبنا إلى الأصحاح السابع من سفر الرؤيا، الذي يتشابه في العديد من الأوجه مع تسبيح الأصحاح الخامس؟ نجد هذا الجمع الكثير يرنم بتسابيح الله، ويخدم مقاصد الله.[٤٠٠] فإن القديسين في المجد

[399] Fanny Crosby, "To God Be the Glory."

[٤٠٠] رؤيا ٧: ١٢، ١٥.

واقفـون أمـام عـرش اللـه، يخدمونـه نهـارًا وليـلًا في هيكلـه. وهـم تحـت حمايـة عنايتـه الواسـعة: «وَٱلْجَالِسُ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَحِـلُّ فَوْقَهُـمْ».[٤٠١]

مـا نتيجـة كل هـذا؟ أنهـم «لَـنْ يَجُوعُـوا بَعْـدُ، وَلَـنْ يَعْطَشُـوا بَعْـدُ».[٤٠٢] فإنهـم مكتفـون تمامًـا بإعالـة اللـه لهـم. ثـم أضـاف يوحنـا ملاحظـة صغـيرة رائعـة تحـوي قليـلًا مـن الأسـلوب الشـعري: فـإن الخـروف الـذي ذُبـح مـن أجلهـم صـار هـو الراعـي الـذي يقتادهـم:

لِأَنَّ ٱلْخَرُوفَ ٱلَّذِي فِي وَسَطِ ٱلْعَرْشِ يَرْعَاهُمْ،
وَيَقْتَادُهُمْ إِلَى يَنَابِيعِ مَاءٍ حَيَّةٍ،
وَيَمْسَحُ ٱللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ.[٤٠٣]

هـذا هـو إذن الحـل النهـائي الـذي قدمـه اللـه لـكل اغترابنـا وشـتاتنا. هـذا هـو الحـل للقلـق الـذي يعـاني منـه جيلنـا وكل جيـل.

فمـن سـواه يسـتطيع أن يمسـح كلَّ دمعـة مـن عيوننـا؟ ومـن سـواه يسـتطيع دخـول أعـماق ظروفنـا والتعامُـل معهـا؟ ومـن سـواه يسـتطيع أن يمدَّنـا بالمـاء الحـي كي لا نعطـش ثانيـة أبـدًا؟ يسـوع وحـده هـو مَـن يسـتطيع. حمـل اللـه وحـده هـو مَـن يسـتطيع.

---

[٤٠١] رؤيا ٧: ١٥.
[٤٠٢] رؤيا ٧: ١٦.
[٤٠٣] رؤيا ٧: ١٧.

إن استطعتَ أن تقرأ الأصحاح الخامس وحتى الأصحاح السابع من سفر الرؤيا في جلسة واحدة، ستلاحظ أن هذا البساط المنسوج، يحيط يسوع، الذي يوجد في مركزه، بدائرة دائمة الاتساع من المدح والتسبيح:

- الحيوانات الأربعة والأربعة والعشرين شيخًا يسبحونه (٥: ٩)
- ربوات ربوات وألوف وألوف من الملائكة يسبحونه (٥: ١١)

لكن هناك المزيد والمزيد أيضًا:

- وَكُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي ٱلسَّمَاءِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ وَتَحْتَ ٱلْأَرْضِ، وَمَا عَلَى ٱلْبَحْرِ، كُلُّ مَا فِيهَا، سَمِعْتُهَا قَائِلَةً: «لِلْجَالِسِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ ٱلْبَرَكَةُ وَٱلْكَرَامَةُ وَٱلْمَجْدُ وَٱلسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ». (٥: ١٣)

قال صمويل راذرفورد (Samuel Rutherford)، اللاهوتي والواعظ والكاتب العظيم للقرن السابع عشر الذي يُعَد واحدًا من أبناء وطننا المفضَّلين، هذه الكلمات:

> ليس الرب بحاجة إلى شهادة من دودة مثلي. فلو سكت العالم أجمع، ستصرخ الحجارة نفسها. فإن اعترافي بالمسيح أمام كلٍّ من البشر والملائكة هو دَينٌ لا بد أن أسدده، بل وأكثر من دَين.

فإنني سأختبر شبعًا يفوق الوصف إن استطعتُ، أمام عرش الرب يسوع المرتفع فوق السحاب، وفوق سماء السماوات، على جانبي الشمس، أن أساهم، بنعمته، تلك المساهمة الواهنة، بأن أرنِّم مع أولئك الذين بصوت عالٍ يترنمون قائلين: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ ٱلسِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ». لِأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَٱشْتَرَيْتَنَا لِلهِ بِدَمِكَ.

ما أعظم البركة التي سأحصل عليها فقط إن استطعتُ أن أميل أذني إيماني كي أستمع إلى الترانيم التي ينشدها الملائكة الكثيرون الواقفون حول العرش، والحيوانات، والشيوخ، وربوات ربوات وألوف وألوف، وهم بصوت عالٍ يترنمون قائلين: «مُسْتَحِقٌّ هُوَ ٱلْخَرُوفُ ٱلْمَذْبُوحُ أَنْ يَأْخُذَ ٱلْقُدْرَةَ وَٱلْغِنَى وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلْقُوَّةَ وَٱلْكَرَامَةَ وَٱلْمَجْدَ وَٱلْبَرَكَةَ!»؛ وإن استطعتُ أن أسمع كُلُّ خَلِيقَةٍ مِمَّا فِي ٱلسَّمَاءِ وَعَلَى ٱلْأَرْضِ وَتَحْتَ ٱلْأَرْضِ، وَمَا عَلَى ٱلْبَحْرِ، كما سمعهم يوحنا، يقولون: «لِلْجَالِسِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَلِلْخَرُوفِ ٱلْبَرَكَةُ وَٱلْكَرَامَةُ وَٱلْمَجْدُ وَٱلسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ ٱلْآبِدِينَ».[٤٠٤]

[404] Samuel Rutherford, A Testimony to the Covenanted Work of Reformation from 1638 to 1649 in Britain and Ireland, Still Waters Revival Books, http://www.swrb.com/.

فقد أخذ هذا الشيخ قلمًا وورقة، ودوَّن فيها كلَّ ما كان في قلبه وأعماقه. يا لها من شهادة عن مجد المسيح!

وبعد ذلك بمائتي عام، تأثرت آن روس كاندل كوزين (Anne Ross Cundell Cousin) بكتاب «رسائل صامويل راذروفورد» بشدة لدرجة أنها نسجت الكثير من أقواله في ترتيلة واحدة مكوَّنة من تسعة عشر بيتًا، بعنوان (The Sands of Time Are Sinking). نادرًا ما ترنَّم هذه الترتيلة اليوم، لكن حتى إن حدث ذلك، فإن النسخة المعدَّلة المكوَّنة من خمسة أو ستة أبيات هي التي تُرنَّم. في هذه الترتيلة يوجد مقطع بارز بشكل خاص، ويبدأ كالتالي:

لا تنظر العروس إلى ثوبها، بل إلى وجه عريسها المحبوب.

يعلَم أي قس عقد زفافًا أن هذا صحيح. فبغض النظر عما أنفقه والد العروس من المال على ثوب زفاف ابنته الحبيبة؛ وبغض النظر عن مدى إجراء العروس تحسينات عليه في الليلة السابقة للزفاف؛ وبغض النظر عن عدد من نسقوه لها قبل دقيقتين من دخولها إلى الكنيسة لتسير في الموكب، فإننا لسنا نجد العروس منشغلة بثوبها بينما تسير في الموكب متجهة نحو الرجل الذي تحبه، بل هي لا تثبِّت عينيها سوى على رجل واحد فحسب.

لا تنظر العروس إلى ثوبها، بل إلى وجه عريسها المحبوب؛	The Bride eyes not her garment, but her dear Bridegroom's face;

لن أحدق في المجد، بل في وجه ملكي، ملك النعمة.	I will not gaze at glory but on my King of grace.
لن أنظر إلى الإكليل الذي يعطيه، بل إلى يده المثقوبة؛	Not at the crown he giveth but on his pierced hand;
فإن في الخروف كلُّ مجد أرض عمانوئيل.	The Lamb is all the glory of Immanuel's land.

يومًا ما، ستزول جميع الظلال، وستنتهي أيام الاستعداد، وسيبزغ فجر اليوم الأخير. نحن نعترف اليوم بالفعل بأن يسوع رب، لكننا حينئذ سنعرفه كما لم نعرفه قط من قبل. فإننا سنراه، في شركة وجهًا لوجه. وحينئذ نَكُونُ مِثْلَهُ، لِأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا **هُوَ**.[٤٠٥]

حينئذ سنرى يسوع نسلَ المرأة الذي سحق رأس الحية، ويسوع نبي الله الذي تقود كلماته حياتنا، ويسوع رئيس الكهنة العظيم الذي يشفع فينا، ويسوع الملك الذي يخضع كل أعدائنا ويملك علينا إلى الأبد. وحينئذ سنعرفه كابن الإنسان الجالس بجوار القديم الأيام، والعبد المتألم الذي ارتفع وتسامى الآن بصفته الخروف على العرش.

في ذلك اليوم سنرى دون أيِّ احتجاب لماذا أعطاه الآب اسمًا فوقَ كُلِّ اسمٍ.

---

[٤٠٥] ١ يوحنا ٣: ٢.